موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

ندوات تلفزيونية

قوانين القران الكريم
ومضات قرانية

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (01-30) : مقدمة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2008-09-01

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسان مكلف كي يعبد الله والعبادة علة وجوده :

أيها الأخوة ، الإنسان هو المعني بهذه القوانين ، وهو المخلوق الأول رتبة لقوله تعالى :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

(سورة الأحزاب الآية : 72)

والإنسان هو المخلوق المكرم ، لقوله تعالى :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)

(سورة الإسراء)

والإنسان هو المخلوق المكلف ، مكلف كي يعبد الله ، والعبادة علة وجوده ، والعبادة في أدق تعاريفها ، طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية .

التفوق و التطرف :

أيها الأخوة ، في هذا التعريف جانب سلوكي هو الأصل ، وجانب معرفي هو السبب ، وجانب جمالي هو النتيجة ، ومع ذلك فالإنسان عقل يدرك ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، غذاء العقل العلم ، وغذاء القلب الحب ، وغذاء الجسم الطعام والشراب ، فحينما يلبي الإنسان حاجات عقله ، وقلبه ، وجسمه يتفوق ، وحينما يلبي إحدى حاجات عقله ، أو جسمه ، أو قلبه يتطرف ، فرق كبير بين التفوق ، وبين التطرف .

أيها الأخوة ، وفضلاً عن ذلك فالإنسان نفس هي ذاته ، هي التي تؤمن ، هي التي تكفر ، هي التي تسمو ، هي التي تسقط ، هي التي تحسن ، هي التي تسيء ، هي التي تسعد ، هي التي تشقى ، ذاته نفسه ، والجسم وعاء النفس في الدنيا ، والروح القوة الإلهية التي تمد الجسم بالحياة .

مقومات التكليف :

1 ـ الكون هو الثابت الأول كله آيات دالة على عظمة الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ، الله جلّ جلاله حينما كلفنا أن نعبده ، أعطانا مقومات التكليف ، ما مقومات التكليف ؟ الكون ، هو الثابت الأول ، هذا الكون الذي هو مظهر لأسماء الله الحسنى ، وصفاته الفضلى، هذا الكون هو قرآن صامت ، وهذا القرآن الذي بين أيدينا هو كون ناطق ، والنبي عليه الصلاة والسلام الذي كلفه ربنا أن يبين ما في القرآن هو قرآن يمشي ، أعطانا الكون في كل شيء ، في الكون آية تدل على أنه واحد ، آية تدل على وجوده ووحدانيته وكماله ، آية تدل على أسمائه الحسنى ، وصفاته الفضلى ، هذا الكون يقرأه كل إنسان ، من كل لغة ، ومن كل لون .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)

(سورة الحجرات الآية : 13)

الكون هو الثابت الأول ، كله آيات دالة على عظمة الله .

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

(سورة آل عمران)

فالكون أحد مقومات التكليف .

2 ـ العقل :

أيها الأخوة الكرام ، والعقل ، العقل أداة معرفة الله ، جهاز من أعظم الأجهزة بل إن العقل حتى الآن عاجز عن فهم ذاته ، العقل له مبادئ السببية والغائية ، وعدم التناقض وهي متوافقة توافقاً تاماً مع خصائص الكون ، ومع قوانين الكون .

3 ـ الفطرة :

ثم إن الله سبحانه وتعالى أعطانا فطرة مقياس دقيق ، يكشف لنا خطأنا ، قال تعالى :

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

(سورة الشمس)

الله عز وجل هذه النفس البشرية حبب إليها الإيمان ، وزينه في قلوب الخلق ، وكره إلى الإنسان الكفر والفسوق والعصيان .

إذاً أعطاه كوناً ينطق بوجود الله ، ووحدانيته ، وكماله ، أعطاه عقلاً هو أداة لمعرفة الله ، أعطاه فطرة يكشف بها خطأه ذاتياً ، لأن الله سبحانه وتعالى سوى هذه النفس بطريقة عجيبة أنها تكتشف خطأها ذاتياً.

4 ـ الشهوات :

ثم إن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان الشهوات ، وما أودع في الإنسان الشهوات إلا ليرقى به إليه صابراً ، أو شاكراً ، فالشهوة قوة محركة .

أيها الأخوة ، لو تصورنا سيارة ، الشهوة هي المحرك ، والعقل هو المقود والمنهج الشرعي هو الطريق ، فمهمة العقل أن يبقي هذه المركبة على الطريق وهي مندفعة بقوة المحرك .

5 ـ حرية الاختيار :

أعطى الإنسان فضلاً عن كل ذلك أعطاه اختياراً ، ليثمن عمله ، فلو أن الله أجبرنا على الطاعة لبطل الثواب ، ولو أجبرنا على المعصية لبطل العقاب ، و لو تركنا هملاً لكان عجزاً في القدرة ، إن الله أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يعصَ مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، أعطاه الكون أعطاه العقل ، أعطاه الفطرة ، أعطاه الشهوة ، أعطاه حرية الاختيار ، ثم جعل الوقت تعبيراً عن هذا الإنسان فقال الله عز وجل :

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

(سورة العصر)

فالإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه .

العلم و القانون :

هذه مقومات التكليف ، فماذا عن تعريف العلم ؟ لأننا نتكلم في البرنامج عن قوانين القرآن ، والقانون أحد أكبر ثمار العلم ، العلم هو الوصف المطابق للواقع مع الدليل ، أما القانون إنما هو علاقة بين متغيرين ، علاقة ثابتة ، قطعية الثبوت ، هذه العلاقة ، يوافقها الواقع ، وعليها دليل ، لو ألغينا الدليل

لكان هذا الكلام تقليداً ، لو ألغينا الواقع لكان هذا الكلام جهلاً ، لو ألغينا القطعية لكان وهماً ، أو ظناً ، أو شكاً .

أيها الأخوة ، القانون أحد أكبر ثمار العلم ، لذلك نحن نجد في القرآن الكريم قوانين ، نجد علاقات ثابتة، والتعامل مع الله وفق القوانين شيء مريح جداً .

من اتبع القواعد الثابتة التي وضعها الله في قرآنه سلم وسعد في الدنيا والآخرة :

الإنسان أحياناً يكون في دائرة ، ولها مدير عام ، هذا المدير مزاجي ، التعامل معه صعب جداً ، لا تعرف متى يرضى ، لا تعرف متى يغضب ، قد يغضب لسبب تافه وقد يرضى بلا سبب ، فالتعامل المزاجي صعب جداً ، لو أن هذا المدير العام وضع قواعد في ترقية الموظف منها الدوام ، منها الإنجاز، منها حسن العلاقة مع الناس ، هذه القواعد الثابتة تريح جميع الموظفين ، وربنا جل جلاله ، إلهنا ، وربنا ، وخالقنا ، جعل هناك قواعد ثابتة في التعامل معه ، هذه القواعد الثابتة سماها الله جل جلاله في قرآنه سنناً .

(وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً)

(سورة الأحزاب)

(وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً)

(سورة فاطر)

هذه القواعد الثابتة لو أن الإنسان أخذ بها لسلم ، وسعد في الدنيا والآخرة .

اقتراب صيغة القانون من جملة الشرط :

أيها الأخوة الكرام ، الله عز وجل يقول :

(لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ)

(سورة النساء الآية : 123)

دققوا في أن صيغة القانون تقريباً تقترب من جملة الشرط ، اسم شرط جازم ، له فعل شرط ، وجواب شرط ، وجواب الشرط لا يقع إلا إذا وقع فعل الشرط ، هذه الصيغة أقرب صيغة للغة العربية إلى القانون ،

(مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ)

حقيقة ، وقاعدة ، وقانون ثابت على مدى الأيام ، وعلى مدى الدهور ، والحقب ، وفي كل مكان .

من وقف عند قوانين الله و أخذ بها ربح الدنيا و الآخرة :

قانون آخر :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

(سورة النحل الآية : 97)

قانون آخر :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)

(سورة طه)

قانون ثالث :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)

(سورة الطلاق)

قانون رابع :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

(سورة الرعد الآية : 11)

حبذا لو أن أخوتنا الكرام وقفوا عند هذه القوانين ، وأخذوا بها ، وجعلوها منهجاً في تعاملهم مع الله عز وجل .

يا إخوتنا الأحباب ، هذه القوانين ، أو تلك السنن في المصطلح القرآني ومثيلاتها سوف نشرحها إن شاء الله تعالى في هذا البرنامج ، الذي جُعل عنوانه قوانين القرآن الكريم .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (02-30) : قانون العزة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

حاجات الإنسان حاجات حيادية :

لازلنا في قواعد القرآن الكريم ، والقاعدة اليوم قاعدة العزة ، ولابدّ من مقدمة .
أيها الأخوة الأحباب ، الإنسان عقل يدرك ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، وغذاء العقل العلم ، وغذاء القلب الحب ، وغذاء الجسم الطعام والشراب ، ولكن الله سبحانه وتعالى خلق في الإنسان حاجات ثلاث: الحاجة الأولى حاجته إلى الطعام والشراب ، ليحافظ على بقائه ، أما الحاجة الثانية فهي حاجته إلى الطرف الآخر ، إلى زوجة ، وحاجة الزوجة إلى زوج ، حاجة كل من الذكر والأنثى إلى الطرف الآخر ، هذه الحاجة تحقق بقاء النوع .
لكن قانون العزة متعلق بالحاجة الثالثة ، الحاجة الثالثة هي حاجة إلى تأكيد الذات ، فالإنسان بعد أن يأكل ، ويشرب ، ويشبع ، ويرتوي ، ويتزوج ، ويحقق هذه الحاجة في الطرف الآخر هو بحاجة عميقة جداً إلى أن يكون شيئاً مذكوراً ، إلى أن يؤكد ذاته ، إلى أن يشار إليه بالبنان ، هذه حاجة في أي إنسان.
وحاجات الإنسان لحكمة بالغةٍ بالغة حاجات حيادية ، يمكن أن تكون سلماً نرقى بها إلى أعلى عليين ، أو أن تكون دركات نهوي بها إلى أسفل سافلين ، ألم يقل الله عز وجل يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام :

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)

(سورة الشرح)

هذا الرفع للذكر تلبية لحاجة في الإنسان ، لكن هذه الحاجة كما أقول دائماً : حيادية ، قد تكون سلماً نرقى بها إلى أعلى عليين ، وقد تكون دركات نهوي بها إلى أسفل سافلين .

حاجة الإنسان إلى أن يكون مكرماً و عزيزاً حاجة أودعها الله فيه :

أيها الأخوة الكرام ، حاجة الإنسان إلى أن يكون مكرماً ، إلى أن يكون عزيزاً ، إلى أن يكون مهماً ، إلى أن يكون في قلوب الناس ، إلى أن يكون ملء سمعهم وبصرهم ، إلى أن يكون مقرباً ، هذه حاجة أودعها الله في الإنسان ، ويمكن أن يلبيها وفق منهجه فيسعد في الدنيا والآخرة ، ويمكن أن يلبيها

بخلاف منهجه فيشقى في أثناء تلبيتها في الدنيا والآخرة ، الآية الكريمة التي تعد قانوناً لتلبية هذه الحاجة هي قوله تعالى :

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

(سورة يونس)

أكبر جزاء للذين أحسنوا في الدنيا الجنة و النظر إلى وجه الله الكريم :

من هؤلاء الذين يستحقون التكريم ؟ من هؤلاء الذين يكونون في مكانة علية في مجتمعهم ؟

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا)

وكلمة أحسنوا كلمة جامعة مانعة شاملة ، أحسنوا في عملهم ، أحسنوا في زواجهم ، أحسنوا في حرفهم ، أحسنوا في علاقاتهم ، أحسنوا في كسب أموالهم ، أحسنوا في إنفاق أموالهم ، أحسنوا في وقت غضبهم ، أحسنوا في رضاهم .

الإحسان كلمة جامعة مانعة مطلقة ، أنت حينما تكون محسناً ، حينما تبني حياتك على العطاء ، حينما تكون لبنة أساسية في بناء ، حينما تكون متفوقاً على أقرانك ، أنت محسن ، والإحسان بشكل دقيق نصفان ، التزام وانضباط بتعليمات الخالق ، ثم عطاء للمخلوق ، التزام ، وعطاء ،

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا)

أكبر جزاء لهذا الإحسان الجنة ،

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)

قال علماء التفسير : هي النظر إلى وجه الله الكريم ، هي الزيادة .

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)

(سورة القيامة)

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ)

أي تقنين ، أو حرمان ،

(وَلَا ذِلَّةٌ)

ما الذي يؤلم الإنسان ؟ أن يكون محروماً ، أو مهاناً .

فمن أجل أن أكون كريماً ، متفوقاً ، متألقاً ، محبوباً ، عزيزاً ، أشعر بقيمتي في مجتمعي ، يجب أن أكون محسناً .

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

* * *

فأنت إن كنت محسناً رفعك المجتمع شئت أو أبيت ، لأن الإنسان مفطور على حبّ الكمال ، على حبّ الإحسان ، على حبّ الالتزام ، على حبّ النقاء .

القرب من الله عز وجل والسكينة لا يكونان إلا بالاتصال بالله والإحسان إلى خلقه :

إذاً من أجل أن تكون مكرماً ، من أجل أن تكون عزيزاً ، من أجل أن يشار إليك بالبنان ، ينبغي أن تحسن

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا)

لهم مكانة في الدنيا ، وجنة يوم القيامة ، وهذا معنى قوله تعالى :

(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)

(سورة الرحمن)

جنة في الدنيا ، وجنة في الآخرة ، وفي الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة .

(وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ)

(سورة محمد)

في الدنيا ، هم حينما اتصلوا بربهم ، وأحسنوا إلى خلقه ، قربهم الله عز وجل ومنحهم السكينة التي تألقوا بها .

المحترم من انضبطت كلماته و تصرفاته وفق القواعد المشروعة :

شيء آخر : يقول عليه الصلاة والسلام :

((إياك وما يعتذر منه))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عمر]

أي موقف ، أي سلوك ، أي حركة ، أية سكنة ، أي كلام تضطر معه إلى أن تعتذر ، وإلى أن تندم ابتعد عنه ، كلام جامع مانع :

((وإياك وما يعتذر منه))

قيل مرة لداهية من دهاة الصحابة ، قيل لعمرو بن العاص : ما بلغ من دهائك ؟ قال : والله ما دخلت مدخلاً إلا أحسنت الخروج منه ، هو الحقيقة الذي سأله سيدنا معاوية ، فقال معاوية : لست بداهية ، أما أنا والله ما دخلت مدخلاً أحتاج أن أخرج منه .

فأنت حينما تنضبط ، أو حينما تضبط كلماتك وفق القواعد المشروعة تكون محترماً ، ومعززاً ، ومكرماً .

أربعة أدعية خطيرة :

أيها الأخوة الكرام ، قرأت كتاباً في أدعية أربعة في الصفحة الأولى ، هذه الأدعية متصلة أشد الاتصال بهذه الحلقة المتعلقة بقانون العزة :

الدعاء الأول :

" اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني " .
مصيبة كبيرة أن تنطق بالحكمة وألا تطبقها ، فيسعد الناس بها ، وتشقى بعدم تطبيقها ، من أسعد الناس من سعد بعلمه " إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني " .

الدعاء الثاني :

" اللهم إني أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك " .
يعني أنا أصبح قصة يتعظ بها الناس ، فلابدّ من أن أكون مع المشاهدين ، لا أن أكون على خشبة المسرح ، وتكون قصتي موعظة للناس ، " اللهم إني أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك " .
هناك آية دقيقة يقول الله فيها :

(وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ)

(سورة المؤمنون الآية : 44)
أصبحوا عبراً للخلق ، فالإنسان حينما يستقيم على أمر الله لا يكون عبرة بل يكون عنصراً إيجابياً يقدم للمجتمع المثل الأعلى .

الدعاء الثالث :

" اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك ، ألتمس به أحداً سواك " .
هذا هو النفاق ، " أن أقول قولاً فيه رضاك ، ألتمس به أحداً سواك " المنافق يسقط من عين الله ، ومن عين المجتمع ، فيكون لك موقفان ، موقف معلن ، وموقف حقيقي ، أن يكون لك سرّ وعلن ، شيء تفعله وحدك ، وشيء تفعله أمام الناس ، هذا الإنسان تسقط كرامته بين مجتمعه .

الدعاء الرابع :

" اللهم إني أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك " .

إذاً كرامة الإنسان مطلب أساسي عند كل إنسان ، وهذا المطلب يمكن أن يكون سبباً لرقي الإنسان إلى أعلى عليين ، وأن يكون هذا المطلب نفسه سبباً لسقوط الإنسان إلى أسفل سافلين .

من يخطئ يسقط أول ما يسقط من عين نفسه :

لذلك لن نقطف ثمار هذا الدين من سلامة ، وسعادة ، وعزة ، وكرامة ، إلا إذا كنا محسنين ، فالإنسان طريق العزة ، وقد تجد موظفاً متواضعاً جداً لكنه محسن ، ويؤدي واجبه تماماً ، يتمتع بعزة ، وكرامة لو وزعت على أهل بلد لكفتهم .

فالإنسان حينما يخطئ يسقط أول ما يسقط من عين نفسه ، ويكون سقوطه دليلاً على أن فطرة الإنسان فطرة سليمة أودعها الله في الإنسان لتكون رادعاً ، ودافعاً لكماله الذي يرقى به عند الله ، وعند الناس .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحياة الطيبة تتوق لها كل النفوس :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، وقانون القرآن الكريم اليوم : (الحياة الطيبة) من منا لا يتمنى الحياة الطيبة ؟ من منا لا يتمنى أن يعيش سليماً معافىً سعيداً ؟.

ذلك لأن كل إنسان فُطر على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ كمال وجوده ، وعلى حبّ استمرار وجوده ، هذا شأن أي إنسان على وجه الأرض ولكن من أن يأتي الشقاء ؟ يأتي الشقاء من الجهل ، فالجهل أعدى أعداء الإنسان ، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به .

لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك ، إلا أن العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ، بل يظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظنّ أنه علم فقد جهل .

الإيمان بالله والعمل الصالح سببان رئيسان للحياة الطيبة :

إذاً الحياة الطيبة تتوق لها كل النفوس ، الحياة الطيبة يسعى إليها كل إنسان ، الحياة الطيبة هي محط الرحال عند كل البشر ، ولكن هل لها قانون ؟ هل لها معادلة ثابتة ؟ هل ينطوي القرآن على قانون للحياة الطيبة ؟ الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى حينما يقول :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

(سورة النحل الآية : 97)

ندقق في الآية :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً)

من كان عمله صالحاً ، معنى عمله صالحاً أي مطبقاً لمنهج الله أولاً ، ويقدم من علمه وماله وجاهه الشيء الكثير لبني البشر ، لأن الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله ، لكن لن يستطيع أن يقدم هذه الخدمات وأن ينضبط هذا الانضباط ، إلا إذا آمن بالله ، إلا إذا آمن بالذي خلق السماوات ،

إلا إذا عرف سرّ وجوده وغاية وجدوده ، فالإيمان بالله أولاً ، والعمل الصالح ثانياً ، هما سببان رئيسان للحياة الطيبة نعيد الآية مرة ثانية :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

تسخير الكون بكل ما فيه للإنسان :

أيها الأخوة ، الإنسان إذا تفكر في خلق السماوات والأرض ، وهذا القرآن الصامت ، أو إذا تدبر القرآن الكريم وهو الكون الناطق ، أو تأمل في سنة سيد المرسلين وهو القرآن الذي يمشي ، إذا تأمل في خلق السماوات والأرض ، وتدبر آيات القرآن الكريم ، وحاول أن يفهم سنة سيد المرسلين نستنبط حقائق كبرى ، ما الكون ؟ الكون مسخر بكل ما في فيه للإنسان بدليل قوله تعالى :

(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ)

(سورة الجاثية الآية : 13)

ثم هو يعرف الحياة الدنيا ، وقد سماها الله دنيا لأنها تمهيد لحياة عليا ، التي فيها :

((ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ ، ولا خطر على قلبِ بَشَرْ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

ويعرف حقيقة الإنسان ، هو المخلوق الأول من بين جميع المخلوقات لأنه قبل حمل الأمانة ، وهو المخلوق المكرم ، لأنه قبل حمل الأمانة ، ولأنه المخلوق المكلف بعبادة الله عز وجل ، كلفه الله أن يعبده ، والعبادة طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة قلبية تفضي إلى سعادة أبدية .

من جاءت حركته مطابقة لمنهج الله عز وجل سعد في الدنيا و الآخرة :

والإنسان أيها الأخوة ، ينبغي أن يعلم حقيقة الحياة الدنيا لأنها دار ممر وليست مقراً ، منزل ترح لا منزل فرح ، من عرفها لم يفرح لرخاء ، لأنه مؤقت ، ولم يحزن لشقاء لأنه مؤقت ، قد جعلها الله دار بلوى ، وجعل الآخرة دار عقبى ، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً ، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، فيأخذ ليعطي ، ويبتلي ليجزي ، عرف حقيقة الكون ، وعرف حقيقة الحياة الدنيا ، وعرف حقيقة الإنسان الذي خلقه الله لجنة عرضها السماوات والأرض ، يدفع ثمنها في الدنيا .

أيها الأخوة الأحباب ، من عرف حقيقة الكون ، والحياة ، والإنسان ، وحقيقة المنهج الذي أنزله الله لهذا الإنسان ، وحقيقة ماذا بعد الموت ، وحقيقة الذي يسعده والذي لا يسعده ، عندئذٍ يكون قد مشى في طريق الحياة الطيبة .

أيها الأخوة ، كي أوضح هذا الموضوع النظري :

لو شخص سافر إلى بلد ، سافر إلى فرنسا ، ونام في أحد الفنادق ، واستيقظ في صبيحة اليوم الأول ، وسأل : إلى أين أذهب ؟ نحن نعجب من هذا السؤال ! نسأله نحن لماذا جئت إلى هنا ؟ إن جئت تاجراً اذهب إلى المعمل والمؤسسات ، وإن جئت سائحاً اذهب إلى المقاصف والمتنزهات ، وإن جئت طالب علم اذهب إلى الجامعات .

متى تصح الحركة ؟ حينما تعرف الهدف ، فأنت أيها الإنسان تعرف أن الله خلقك لجنة عرضها السماوات والأرض ، وجاء بك إلى الدنيا كي تعرفه في الدنيا ، وتعرف منهجه ، وتحمل نفسك على طاعته ، وكي تتقرب إليه بالعمل الصالح عندئذٍ تصح حركتك في الحياة الدنيا .

وحينما تأتي حركتك مطابقة لمنهجك ، حينما تأتي حركتك في الحياة مطابقة لسرّ وجودك ، ولهذا المنهج الذي وضع لك عندئذٍ تسعد ، فالإنسان يسلم ويسعد إذا عرف سرّ وجوده ، وغاية وجوده ، ثم عرف أبرز شيء في الحياة الدنيا ، وهو العمل الصالح .

الحياة الطيبة أن تتصل بالله وتطيعه وتسعى لمرضاته :

أيها الأخوة الكرام ، لئلا يتوهم أحدنا أن الحياة الطيبة تعني أن تكون غنياً لا أبداً ، ليست الحياة الطيبة أن تكون غنياً ، ولا أن تكون قوياً ، لا مانع من أن تكون غنياً ، ولا مانع من أن تكون قوياً ، بل إنك إن رأيت طريق الغنى ، وطريق القوة سالكاً وفق منهج الله ، يجب أن تكون قوياً ، أو غنياً ، أو قوياً غنياً ، لأن فرص العمل الصالح المتاحة أمام القوي الغني ليست متاحة لكل إنسان ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلّ خير))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

إذاً الحياة الطيبة أن تتصل بالله ، وأن تطيعه ، وأن تسعى لمرضاته ، عندئذٍ يتفضل الله عليك أيها المؤمن بسعادة سمّها السكينة ، سمّها الراحة ، سمّها الرضا ، هذه كلها من صفات الحياة الطيبة التي وعد الله بها المؤمنين .

الحياة الطيبة سرور و طمأنينة و ثقة بالله :

على كلٍ لو أردنا أن ندخل في بعض التفاصيل ، الحياة الطيبة سرور ، طمأنينة ، تفاؤل ، ثقة بالله ، راحة نفسية ، إحساس بالأمن ، النظرة الثاقبة ، القرار السليم ، الموقف الحكيم ، السمعة الطيبة ،

الراحة النفسية ، الراحة الأسرية ، هذه كلها حياة طيبة مع شيء لا يعرفه إلا من ذاقه وهو الاتصال بالله عز وجل .

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لـــغيرنا

و لـو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب و جئتنا

ولــو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا

* * *

الحياة الطيبة أن تتصل بأصل الجمال وهو الله جلّ جلاله ، وبأصل الكمال وهو الله جلّ جلاله ، وبأصل النوال وهو الله جلّ جلاله ، أنت مع الأصل ، أنت مع المنعم لا مع النعمة ، العالم الغربي مع النعمة ، والمؤمن مع المنعم ، تجاوز النعمة إلى المنعم ، ووصل إلى أصل السعادة ، وإلى أصل العطاء، وإلى أصل الجمال ، وإلى أصل الكمال ، لذلك قال تعالى :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

من لا يصل إلى الحياة الطيبة ضيّع عمره سدى :

الحياة الطيبة ذاقها من عرفها ، ومن عرفها ذاقها ، والإنسان حينما لا يصل إلى الحياة الطيبة ضيّع عمره سدى ، وقد وصف الله هؤلاء الذين شردوا عنه فقال :

(يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)

(سورة الروم)

ويقول بعض العارفين بالله : ماذا يفعل أعدائي بي ؟ بستاني في صدري ، إن حبسوني فحبسي خلوة ، إن أبعدوني فإبعادي سياحة ، إني قتلوني فقتلي شهادة ، وفي الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ، إنها الحياة الطيبة ، وثمنها أن تكون مؤمناً ، وأن يكون عملك صالحاً ، بشِقّي صالح العمل الاستقامة والبذل والتضحية .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (04-30) : قانون قبول العمل
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2008-09-04

بسم الله الرحمن الرحيم

أكبر خطر يتهدد الإنسان أن تأتي حركته بعيدة عن منهج الله تعالى :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم : (قانون قبول العمل)الإنسان أيها الأخوة ، ما الذي يحركه ؟ أودع الله فيه الشهوات ، ليرقى بها صابراً أو شاكراً إلى رب الأرض والسماوات ، أودع فيه حاجة إلى الطعام والشراب ، هو إذاً يتحرك ليأكل ، أودع فيه رغبة في الطرف الآخر ، يتحرك ليزوج، أودع فيه رغبة في تأكيد الذات ، هذه الحاجات الأساسية التي أودعها الله في الإنسان تجعله كائناً متحركاً ، لكن هذه الحركة إما أن تكون وفق تعليمات الصانع ، وفق منهج الله ، أو أن تكون حركة لا تنضبط بمنهج الله.

فالذي يؤكد خطورة هذا التحرك هو مدى مطابقته لمنهج الله ، مثلاً الله عز وجل حينما يقول :

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

(سورة الكهف)

هؤلاء يتحركون ، ولكن يتحركون بخلاف منهج الله ، إذاً لا يحققون لا سلامتهم ولا سعادتهم . إذاً أكبر خطر يتهدد الإنسان أن تأتي حركته بعيدة عن منهج الله ، لذلك الإنسان لا يسلم ، ولا يسعد إلا إذا جاءت حركته متوافقة مع الأمر والنهي الذين هما من عند خالق السماوات والأرض .

(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)

(سورة فاطر)

العلاقة بين الأمر والنهي علاقة علمية :

أيها الأخوة ، الله عز وجل يقول :

(أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)

(سورة آل عمران الآية : 102)

يعني اتقوا أن تعصوه ، و

(حَقَّ تُقَاتِهِ)

أن تطيعه أيها الإنسان فلا تكفره ، وأن تذكره فلا تنساه ، وأن تشكره فلا تكفره ، إذاً حق التقوى أن تكون طائعاً ، وذاكراً ، وشاكراً ، فالإنسان حينما يقصر بذكر الله يشعر بالكآبة ، والضيق ، والضياع ، والإحباط ، وحينما يقصر بذكر الله يؤدبه الله عز وجل ، وحينما يقصر بطاعة الله يكون قد خالف تعليمات الصانع ، لأن العلاقة بين الأمر والنهي علاقة علمية بمعنى أن الطاعة في بذور النتائج ، وأن المعصية فيها بذور النتائج .

ثمن الجنة التناقض بين الطبع والتكليف :

أيها الأخوة الكرام ، الله عز وجل يقول :

(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ)

(سورة الحج الآية : 78)

يعني أن تحمل نفسك على طاعة الله ، لأن الله سبحانه وتعالى أودع فيك طبعاً وكلفك تكليفاً ، فالطبع مناقض للتكليف ، أودع فيك حبّ الراحة ، والاسترخاء ، والنوم ، وكلفك أن تستيقظ على صلاة الفجر ، أودع فيك رغبة في أخذ المال ، وكلفك أن تنفقه ، أودع فيك رغبة أن تملأ عينيك من محاسن المرأة والتكليف أن تغض البصر ، هذا التناقض بين الطبع والتكليف هو ثمن الجنة .

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)

(سورة النازعات)

من لوازم قبول العمل أن يكون خالصاً لوجه الله و صواباً :

لكن من لوازم قبول العمل كما قال الله عز وجل :

(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا)

(سورة الإسراء الآية : 19)

لم يقل وسعى لها ، قال :

(وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا)

السعي الخاص ، السعي المطلوب ، السعي الذي يحقق نتائج باهرة .

(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً)

(سورة الإسراء)

إذاً كما نقول لكلية الطب علاماتها ، ما كل طالب ينال شهادة ثانوية يسمح له بدخول كلية الطب ، فلابدّ من مجموع خاص ، وهذا معنى

(وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا)

لذلك الله عز وجل يقول :

(لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ)

(سورة النساء الآية : 123)

والأماني بضائع الحمقى ، والله سبحانه وتعالى لا يتعامل مع تمنيات الإنسان إطلاقاً بل يتعامل مع صدقه في الطلب ، والله عز وجل يقول :

(كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً)

(سورة الإسراء)

أيها الأخوة الأحباب ، الله عز وجل يقول :

(وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ)

(سورة النمل الآية : 14)

متى يرضى الله عن العمل ؟ قال العلماء : يرضى الله عن العمل ويقبله ، ويثيب عليه ، ويحفظ صاحبه، ويوفقه ، ويلهمه الحكمة ، والسداد ، والرشاد ، والأمن ، والطمأنينة ، إذا كان خالصاً وصواباً ، خالصاً ما ابتغي به وجه الله ، وصواباً ما وافق السنة .

قانون قبول العمل مهم جداً في حياة كل إنسان :

لذلك ما كل عمل يقبله الله عز وجل ، هناك بعض البدع ، كأن تقول حفل غنائي ساهر يرصد ريعه للأيتام ، هذا عمل ليس وفق منهج الله ، مع أن نيته فيما يبدو العمل الصالح ، أو أن تقول يانصيب خيري ، فالعمل لا يقبل عند الله إلا إذا كان خالصاً ما ابتغي به وجه الله ، وصواباً ما وافق السنة ، فهذا من أجل أن نوفر أوقاتنا ، وجهدنا ، وألا تنطبق علينا الآية المؤلمة ، لمن تنطبق عليه :

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

فلابدّ من التأكد من صواب العمل ، هل يوافق السنة ؟ هل يوافق منهج الله عز وجل ؟ هل يرضي الله عز وجل ؟ هل يقبله الله عز وجل ؟ هل في هذا العمل إيذاء للآخرين ؟ هل في هذا العمل ابتزاز لأموالهم ؟ هل في هذا العمل عدوان على أعراضهم ؟ هل في هذا العمل أخذ ما ليس أن تأخذه ؟ فلذلك قانون قبول العمل مهم جداً في حياتنا ، ما منا واحد إلا ويتحرك ، يتحرك بحكم الدوافع التي خلقها الله فيه ، ولكن هذه الحركة إما أن تأتي وفق منهج الله ، فتكون السلامة ، والسعادة ، والتفوق ، والسرور ، وإما أن يكون الإحباط ، والإخفاق ، والبعد عن الله عز وجل ، والشعور بالبعد ، والشعور

بالشقاء .

من علامات الإخلاص في العمل :

1 ـ عدم تغير العمل إن كنت وحدك أو أمام الناس :

أيها الأخوة الكرام ، شيء آخر : العمل متى يقبل ؟ قال تعالى :

(فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ)

(سورة الزمر)

ما الإخلاص ؟ أن تبتغي بهذا العمل وجه الله ، بل ما علامات الإخلاص ؟ علامات الإخلاص أيها الأخوة ، أن لا يتغير العمل ، وأنت تعمله أمام الناس ، أو تعمله وحدك في البيت ، ليس هناك فرق بين خلوتك وجلوتك ، ولا بين سرك وعلانيتك ، ولا بين العمل الذي تفعله تحت ضوء الشمس ، أو في مكان خافت ، خافت الإضاءة ، العمل واحد لا يزيد ولا ينقص ، ولا يتأثر ، ولا يتبدل ، ولا يعدل ، ولا يضاف عليه في خلوتك ، وفي جلوتك ، في سرك ، وفي علانيتك ، في باطنك ، وفي ظاهرك ، هذا من علامات الإخلاص .

2 ـ عدم زيادة العمل بالمديح و نقصانه بالذم :

وعلامات الإخلاص أيضاً تؤكد أن العمل لا يزيد بالمديح ، ولا ينقص بالذم ، هذا أيضاً من علامات الإخلاص .

3 ـ الشعور بالسكينة بعد هذا العمل :

من علامات الإخلاص أنك تشعر بعد هذا العمل بالسكينة ، والسكينة شعور لا يوصف ، تسعد بها ولو فقدت كل شيء ، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء .

بطولة الإنسان أن تأتي حركته وفق منهج الله و يكون عمله مقبولاً :

أيضاً أيها الأخوة ، نحن حينما نقرأ قوله تعالى :

(قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)

(سورة الأنعام)

معنى ذلك أنه من عرف نفسه ما ضرته مقالة الناس به ، وإذا لم تستح من الله فاصنع ما تشاء ، لذلك يقول الله عز وجل :

(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)

(سورة الزمر الآية : 3)

لا يكون الدين مقبولاً عند الله إلا إذا كان خالصاً ، وصواباً ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((والله لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر واعتكافه في مسجدي هذا))

[الترغيب والترهيب عن ابن عباس بسند ضعيف]

بل من شدة الورع الذي علمنا إياه النبي عليه الصلاة والسلام بعض العلماء فهموا من أقوال النبي المتعددة ، فقالوا هذا القول الرائع ، قال :

((والله لترك دانق من حرام ـ قال العلماء : الدانق سدس الدرهم ـ ترك دانق من حرام ، خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام))

إذاً البطولة أيها الأخ الكريم أن تتحرك لكن أن تأتي الحركة وفق منهج الله ، وأن يكون العمل مقبولاً ، إن في إخلاصه ، وإن في مطابقته لمنهج الله عز وجل ، وهنيئاً لمن جاء إلى الدنيا ، وعمل صالحاً ، وقبل الله هذا العمل ، فسلم في الدنيا وسعد ، وسمح الله له أن يكون من أهل الجنة .

على الإنسان ألا يعبأ برأي الناس إن كان عمله عند الله مقبولاً و صالحاً :

يقول عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح :

((إذا لم تَسْتَحِ فافْعَلْ مَا شِئْتَ))

[أخرجه البخاري وأبو داود عن أبي مسعود الأنصاري]

قد يفهم بعضهم من هذا الحديث أنه متعلق بالحياء ، ولكن الحديث له أبعاد دقيقة يعني إذا كان هذا العمل وفق منهج الله ، ويرضي الله ، المجتمع الذي تعيش به لا يقبل هذا العمل ، فلا تعبأ برأي الناس فيك ، البطولة أن يكون العمل عند الله مقبولاً ، وأن يكون العمل صالحاً وفق تعليمات الصانع ، ووفق منهج الله .

((إذا لم تَسْتَحِ فافْعَلْ مَا شِئْتَ))

[أخرجه البخاري وأبو داود عن أبي مسعود الأنصاري]

ولا تعبأ بكلام الناس المثبطين ، الذين تحكمهم عادات وتقاليد .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (05-30) : قانون التمايز
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 05-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون التمايز :

لازلنا في قواعد القرآن الكريم ، والقانون اليوم : (قانون التمايز)

المفارقة الحادة والتناقض المريع بين المؤمن وغير المؤمن :

في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين المفارقة الحادة والتناقض المريع بين المؤمن وغير المؤمن ، لئلا يتوهم الناس أن الفرق بينهما فرق عبادات ، الحقيقة أن الفرق جوهري يصل إلى بنية الإنسان ، إلى أنماط تفكيره ، إلى قيمه ، إلى مواقفه ، إلى انضباطه ، إلى التزامه ، لذلك قال تعالى :

(أفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فاسِقاً)

(سورة السجدة الآية : 18)

لعل ذهن الإنسان ينصرف حينما بدأ قوله تعالى :

(أفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً)

كمن كان غير المؤمن لكن جاء بديل غير المؤمن بأنه فاسق ، ومن لوازم البعد عن الله الفسق .
أيها الأخوة الأحباب ، هذه الآيات التي تبين المفارقة الحادة والتناقض المريع بين المؤمن وغير المؤمن ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار ، الفرق كبير ، الفرق جوهري ، الفرق في البنية ، الفرق في المواقف ، في الالتزام ، في المبادئ ، في القيم ، المؤمن يعطي ، ولا يأخذ ، وغير المؤمن يأخذ ولا يعطي ، المؤمن يعيش للناس ، غير المؤمن يعيش الناس له ، المؤمن يملك القلوب ، غير المؤمن يملك الرقاب .

البشر على اختلاف أنواعهم و مذاهبهم عند الله عز وجل نموذجان لا ثالث لهما :

1 ـ نموذج عرف الله فانضبط بمنهجه وأحسن إلى خلقه فسلم وسعد في الدنيا والآخرة :

أيها الأخوة الأحباب ، آيات كثيرة تتحدث عن المفارقة الحادة والتناقض المريع بين من عرف الله ، ومن لم يعرف الله ، بل إن الحقيقة الكبرى أن البشر على اختلاف أنواعهم ، وأجناسهم ، وأعراقهم ،

وأنسابهم ، وطوائفهم ، واتجاهاتهم ، ومذاهبهم ، هم عند الله عز وجل نموذجان لا ثالث لهما ، نموذج عرف الله فانضبط بمنهجه ، وأحسن إلى خلقه ، فسلم وسعد في الدنيا والآخرة ، ونموذج غفل عن الله ، وتفلت من منهجه ، وأساء إلى خلقه فشقي وهلك في الدنيا والآخرة ، يؤكد هذا المبدأ قوله تعالى :

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

هذا النموذج الأول ، الرد الإلهي :

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

(سورة الليل)

من هو النموذج الأول ؟

(أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

صدق أنه مخلوق للجنة ، فاتقى أن يعصي الله ، وبنى حياته على العطاء ، فاستحق السلامة والسعادة في الدنيا والآخرة .

(وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

2 ـ نموذج غفل عن الله وتفلت من منهجه وأساء إلى خلقه فشقي في الدنيا والآخرة :

و نموذج بنى حياته على الأخذ ، واستغنى عن طاعة الله لأنه كفر بالآخرة وآمن بالدنيا ، الرد الإلهي :

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)

(سورة الليل)

إذاً فرق حاد ، وتناقض مريع بين حياة المؤمن وحياة غير المؤمن .

الإيمان سور وسياج للإنسان :

أحياناً الإنسان إذا غفل عن الله ، ونسي أن هناك إلهاً عظيماً سيحاسبه ، وكان هذا الإنسان قوياً يستخدم قوته لابتزاز أموال الناس ، بانتهاك أعراضهم ، بأخذ ما ليس له ، وكأنه في الحقيقة مجرم بسبب قوته ، من هنا قال عليه الصلاة والسلام :

((المؤمن القويُّ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

ما قال القوي ، قال :

((المؤمن القويُّ))

لأن الإيمان يضبط الإنسان ، الإيمان سور وسياج للإنسان .

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

فلذلك :

(أفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً)

الآية الثالثة :

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

(سورة الجاثية)

لا شك أن الآخرة فيها تمايز واضح ، لكن هذه الآية تشير إلى الدنيا ، إلى حياة المؤمن ، إلى سمعته ، إلى زواجه ، إلى تربية أولاده ، إلى اختيار زوجته ، إلى اختيار حرفته .

استواء المؤمن مع الفاسق لا يتناقض مع عدل الله فحسب بل يتناقض مع وجوده :

هناك فرق جوهري وحاد بين حياة المؤمن ، وحياة غير المؤمن ،

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ـ ندقق في هذه الكلمة ـ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ)

دنياهم ، المؤمن له مكانته ، له سمعته ، له حفظه من الله عز وجل ، له تأييده ، له توفيقه ، له محبته ، يعيش حياة ممتلئة بالود والحب ، يحسن اختيار زوجته ، يحسن تربية أولاده ، يحسن اختيار حرفته ، لذلك :

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

بل إن الإنسان قد يعجب أنه مستحيل ، وألف ألف ألف مستحيل أن يستوي عند الله مؤمن وغير مؤمن، محسن ومسيء ، منصف وظالم ، مقصر ومجتهد ، أن يستوي هؤلاء مع هؤلاء ، هذا لا يتناقض مع عدل الله فحسب ، بل يتناقض مع وجوده .

فلذلك مستحيل وألف ألف ألف مستحيل أن تكون حياة المؤمن بكل تفاصيلها كحياة غير المؤمن بكل تفاصيلها . لذلك :

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

العبرة بالنتيجة :

أيها الأخوة الكرام ، لو نظرنا إلى المصير ، المؤمن يعيش مع غير المؤمن ، يعيش في أرض واحدة ، وفي بلد واحدة ، وفي ظروف واحدة ، وفي معطيات واحدة ، وفي ضغوط واحدة ، وفي مغريات واحدة ، وفي صوارف واحدة ، لكن ما مصير هذا ؟ وما مصير هذا ؟ قال تعالى :

(وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

(سورة الأعراف)

العبرة بالنتيجة ، لذلك قال تعالى :

(أفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً)

(سورة القصص الآية : 61)

إله عظيم خالق السماوات والأرض يعد المؤمن بجنة عرضها السماوات والأرض ، يعد المؤمن بعطاء كبير ، يبدأ من لحظة إيمانه واستقامته ، ويستمر إلى أبد الآبدين ، الآية الكريمة :

(أفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)

(سورة القصص)

هذا مثل هذا ؟ هل يستويان ، هل يصح أن يسوى إنسان عاش سنوات معدودة في بحبوحة ، وفي بذخ، وفي إسراف ، وفي علو في الأرض ، وفي غطرسة ، وفي استعلاء ، مع إنسان استحق الجنة إلى أبد الآبدين ، هل يوازن الأول مع الثاني ؟

(أفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)

الناجي يوم القيامة من أوتي كتابه بيمينه واستحق دخول الجنان :

أيها الأخوة الكرام ، هناك مفارقات طويلة ، وكثيرة في القرآن الكريم بين أهل الإيمان ، وأهل العصيان ، الله عز وجل يقول :

(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ)

(سورة الحاقة الآية : 19)

كان ناجياً يوم القيامة ، استحق دخول الجنان .

(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ)

(سورة الحاقة)

كتاب أعمالي .

(إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ)

(سورة الحاقة)

مرة سُئل طالب حقق الدرجة الأولى في الشهادة الثانوية ، كيف نلت هذا المجموع ؟ قال : لأن لحظة الامتحان لم تفارق مخيلتي ولا ثانية في أثناء العام الدراسي

(إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ)

(فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)

(سورة الحاقة)

هذا مشهد من مشاهد أهل الجنة .

من آمن بالله العظيم حُجب عن كل معصية لا تليق به :

أما المشهد الثاني :

(وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ)

(سورة الحاقة)

آمن بالله خالقاً كم آمن إبليس ، قال ربي :

(فَبِعِزَّتِكَ)

(سورة ص الآية : 82)

لكنه ما آمن بالله العظيم ، لذلك لو تفكر الإنسان في خلق السماوات والأرض لو تفكر في هذه المجرات، لو تفكر في هذه الكواكب ، لو تفكر في طعامه ، في شرابه ، في الأمطار ، في البحار ، في البحيرات ، في النباتات ، في الأسماك ، في الأطيار ، في الإنجاب ، في الولادة ، في خصائص الجسم، لعرف الله عز وجل ، وآمن بالله العظيم ، وإيمانه بالله العظيم ربما حجبه عن معصية لا تليق به .

لذلك قيل : لا تنظر لصغر الذنب ، ولكن انظر على من اجترأت .

أهل الإيمان يؤيدهم الله و يرفع ذكرهم و أهل الفسوق تسود وجوههم و يخفض ذكرهم :

أيها الأخوة :

(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)

(سورة آل عمران الآية : 106)

لو انتقلنا إلى الدار الآخرة :

(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

(سورة آل عمران)

هذه بعض الآيات أيها الأخوة ، ذكرت بعض الآيات ، وما أكثر الآيات التي تتحدث عن المفارقة ، والموازنة ، والمقارنة بين أهل الإيمان وأهل الكفر والعصيان ، جعلنا الله جميعاً من أهل الإيمان ، لأن الله سبحانه وتعالى أعطاهم ، وكرمهم ، ورفع ذكرهم ، وحفظهم وأيدهم ، ونصرهم .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (06-30) : قانون الفرقان
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2008-09-06

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون الفرقان :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم : (قانون الفرقان)

العمل الصحيح ينطلق دائماً من رؤيا صحيحة :

لابدّ من مقدمة : الله عز وجل خلق الأكوان ، ونورها بالقرآن ، إذاً :

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(سورة النور الآية : 35)

أحياناً يُشق الطريق ، وبعدها توضع الشاخصات لتنور لسالكي الطريق دربهم والأخطار التي تحيط بهم ، ما من عمل يعمله الإنسان إلا وتسبقه رؤيا ، هذه الرؤيا إن صحت صحّ العمل ، وإن فسدت فسد العمل ، هذه الرؤيا إما أن تكون محصلة تجارب أو محصلة رؤيا صحيحة تنطلق من منهج الله في الأرض .

فلذلك الإنسان بحاجة إلى رؤيا صحيحة تكون سبباً في صحة عمله ، وبالتالي في سلامته ، وفي سعادته .

نور الله النور الذي يقذف في قلب المؤمن فيرى به الخير خيراً فيتبعه والشر شراً فيجتنبه:

قانون الفرقان فيه آية تعد أصلاً في هذا الباب ، هذه الآية :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً)

(سورة الأنفال الآية : 29)

أي يجعل لكم حالة تفرقون فيها بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين ما يجوز وبين ما لا يجوز، بين الجمال والقبح ، بين القيم السامية والحاجات الوضيعة .

إذاً هذا التفريق بين الصح وبين الآخر الغير صحيح هو من محصلة الرؤيا الصحيحة .

الآن يمكن أن نسميه نوراً يقذف في قلب المؤمن ، تؤكده آيات كثيرة ، لعل الآية الأولى التي تؤكد هذا النور الذي يقذف في قلب المؤمن فيرى به الخير خيراً فيتبعه ، والشر شراً فيجتنبه ، إنه نور الله .

مخاطبة الله عز وجل الناس في القرآن الكريم بأصول الدين :

الله عز وجل يقول :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)

كلمة

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)

تشير إلى عقد إيماني بين العبد وربه ، يعني يا من آمنت بي ، يا من آمنت بحكمتي ، يا من آمن بقدرتي ، يا من آمنت برحمتي ، يا من آمنت بعطائي ،

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)

الله عز وجل في القرآن الكريم يخاطب الناس بأصول الدين :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

(سورة البقرة)

ويخاطب ربنا جلّ جلاله المؤمنين بفروع الدين ، هذا آمن بالله ، آمن به إلهاً ورباً وخالقاً ، آمن به مسيراً ، آمن به واحداً ، وكاملاً ، آمن بأسمائه الحسنى ، آمن بصفاته الفضلى ، كأن هناك عقداً إيمانياً بين العبد وربه .

لذلك الله خاطب المؤمنين بما يقترب من ثلاثمئة آية ، لأن بينه وبينهم عقداً إيمانياً بينما لم يخاطب الطرف الآخر إلا بآية واحدة يوم القيامة :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ)

(سورة التحريم)

تمتع المؤمن برؤيا صحيحة تمكنه من معرفة الخير و الشر :

إذاً حيث ما قرأنا

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)

تعني أن كل من آمن بالله ، وحمله إيمانه على طاعته معنياً بهذا الخطاب ،

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ)

أطيعوه ، وتقوى الله بالمفهوم البسيط طاعته ، أي اتقوا معصيته ، اتقوا غضبه ، اتقوا عقابه .

(يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ)

(سورة الحديد الآية : 28)

في قرآنه كليات ، ونجد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم التفصيلات ، الله عز وجل كلف النبي عليه الصلاة والسلام أن يبين للناس ما نزل إليهم ،

(يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ)

الآن :

(يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ)

(سورة الحديد الآية : 28)

قال علماء التفسير : رحمة في الدنيا ، ورحمة في الآخرة ، هذا تؤكده الآية الكريمة :

(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)

(سورة الرحمن)

هذا تؤكد آية أخرى :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

(سورة النحل الآية : 97)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ)

(سورة الحديد الآية : 28)

يتمتع المؤمن أيها الأخوة ، في ضوء هذه الآية برؤيا صحيحة ، يرى الخير خيراً ، يرى الشر شراً ، يرى الحق حقاً ، يرى الباطل باطلاً ، يرى ما ينبغي رؤيا واضحة فيسلكه ، ويرى ما لا ينبغي رؤيا واضحة فيجتنبه .

تقوى الله نور يقذفه الله في قلب المؤمن :

أيها الأخوة الكرام ، هذه الآية الثانية أصل في الموضوع ،

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ)

من هنا قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : تقوى الله تعني أن نوراً يقذفه الله في قلب المؤمن ، فيرى به الخير خيراً ، والشر شراً .

يعني المؤمن يشبه تماماً إنسان يمشي ليلاً في طريق ، فيه حفر ، فيه أكمات ، فيه حشرات ، فيه حيوانات ، فيه أخطار ، فيه منزلقات ، لكن نجاته من كل أخطار هذا الطريق بنور قوي كشاف ، هذا النور القوي الكشاف جعله يبتعد عن الحفرة ، ويتلافى الأكمة ، ويقتل الحشرة ، وينجو من كل خطر ، هذا هو نور الله حينما يقذفه الله في القلب .

الحق واحد لا يتعدد :

أيها الأخوة الكرام ، آية ثانية :

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا)

(سورة البقرة الآية : 257)

وليهم ، يربيهم ، يرشدهم ، يؤدبهم ، يخوفهم أحياناً ، يبشرهم ، يرفع قدرهم .

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)

(سورة البقرة الآية : 257)

الذي يلفت النظر في هذه الآية أن الظلمات جاءت جمعاً ، وأن النور جاء مفرداً ، الجواب اللطيف : الحق لا يتعدد ، يعني بين نقطتين لا يمر إلا خط مستقيم واحد ، ولو حاولت أن ترسم بين نقطتين آلاف الخطوط المستقيمة تأتي جميعها فوق بعضها بعضاً ، الحق لا يتعدد ، لذلك جاء النور مفرداً ، أما الباطل كالخطوط المنكسرة ، والمنحنية ، قد نرسم بين نقطتين آلاف الخطوط المنحنية والمنكسرة .

الله عز وجل ولي الذين آمنوا يرشدهم و يؤدبهم و يرفع قدرهم :

لذلك :

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ)

(سورة البقرة)

يتضح من هذه الآيات أن الإنسان يتحرك ، هو كائن متحرك ، تحركه حاجاته ، وشهواته ، وغرائزه ، وطموحاته ، هذه الحركة إما أن تسبقها رؤيا صحيحة ، وهذا هو المؤمن ، وإما أن تسبقها رؤيا خاطئة وهذا غير المؤمن الذي ضلّ سواء السبيل وتحرك في غير سعادته وهناءته ، فلذلك الآية الكريمة :

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ)

أيها الأخوة الكرام ، الحقيقة الصارخة الهدى من عند الله وحده.

((يا عبادي ، كُلُّكم ضالّ إلا مَنْ هَدَيْتُه ، فاسْتَهْدُوني أهْدِكم))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي ذر الغفاري]

قال تعالى :

(وَمَن لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)

(سورة النور)

النور من عند الله ، الرؤيا الصحيحة من عند الله ، اتخاذ القرار الحكيم من عند الله .

قوى الأرض مجتمعة لن تفسد على الله هدايته لخلقه :

أيها الأخوة ، بطولة المؤمن أنه يهتدي بنور الله ، يتحرك بتوفيق الله ، يمشي بهدف واضح كان نتيجة رؤيا صحيحة ، فكلما اتقينا ربنا ، وأطعناه قذف في قلوبنا نوراً .

فالإنسان أحياناً يعيش بمجتمع فاسد ، ومنحرف ، هذا المجتمع رؤيته غير صحيحة ، بينما المؤمن يتمتع برؤيا صحيحة فلا يقع في المنزلقات والأخطاء التي يقع بها غيره .

الآية التي تلفت النظر هي قوله تعالى :

(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ)

(سورة التوبة الآية : 32)

تصور ضوء الشمس ، لا أقول نور الله ، ضوء الشمس ، تصور ضوء الشمس كيف أن إنساناً بسذاجة ما بعدها سذاجة أراد أن يطفئها بنفخة من فمه ، لذلك هذا الذي يحاول أن ينهي الحق ، أو أن يلغي الهداية ، أو أن يفسد على الله هدايته لخلقه ، هذا مستحيل وألف ألف ألف مستحيل تماماً كمن يحاول إطفاء ضوء الشمس بنفخة من فمه :

(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)

(سورة التوبة)

إذاً لن تستطيع قوى الأرض مجتمعة أن تفسد على الله هدايته لخلقه ، لذلك يبقى الإسلام شامخاً ، ولا تقلق على هذا الدين إنه دين الله ، ولكن اقلق على نفسك أيها الأخ الكريم ما إذا سمح الله لك أو لم يسمح أن تكون جندياً له .

لذلك ما ضرّ السحاب نبح الكلاب ، وما ضرّ البحر أن ألقى فيه غلام بحجر .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (07-30) : قانون الأمن
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون الأمن :

لازلنا في قوانين القرآن ، والقانون اليوم قانون الأمن .

الأمن و الشبع أعظم نعمتين ذكرهما الله في القرآن الكريم :

بادئ ذي بدء : لقد أودع الله في الإنسان حاجة إلى الطعام والشراب حفاظاً على وجوده ، وأودع في الإنسان حاجة إلى الجنس ، أو إلى الطرف الآخر ، حفاظاً على بقاء النوع ، وأودع في الإنسان حاجة ثالثة إلى تأكيد الذات حفاظاً على تأكيد الذكر ، ولكن الحاجة إلى الطعام والشراب مقترنة بالحاجة إلى الأمن ، فأنت من خوف الفقر في فقر ، وأنت من خوف المرض في مرض ، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها .

لذلك حينما يمتن الله على عباده بأعظم نعمتين ذكرهما في القرآن الكريم قال :

(أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

(سورة قريش)

وأحياناً يعاقب الله المنحرفين ، والذين طغوا وبغوا بعقابين شديدين أنه يسلب منهم نعمة الأمن ، ونعمة الشبع ، قال تعالى :

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)

(سورة النحل)

إذاً هناك حاجة أساسية إلى الطعام والشراب والأمن .

تميز المؤمن وحده بنعمة الأمن :

لكن قد لا يخطر في بال الأخوة الكرام أن نعمة الأمن يتميز بها المؤمن وحده ، وليس أحد غير المؤمن، قال تعالى :

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

(سورة الأنعام)

من خلال هذه الآية يتضح أن قانون الأمن أساسه الإيمان بالله ، الإيمان الذي يحمل على طاعته ، والإيمان الذي يمنعك أن تؤذي مخلوقاً ، وشيء آخر ألا يقع بظلم لمن حوله .

لذلك سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام جاء في القرآن على لسانه :

(وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً)

(سورة مريم)

فنعمة الأمن ثمنها إيمان يحمل صاحبه على الاستقامة ، والشيء الآخر أن يبتعد عن إيذاء أي مخلوق ظلماً وعدواناً .

علاج الخوف و الهلع الاتصال بالله عز وجل :

لكن حينما يقول الله عز وجل :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً)

(سورة المعارج)

أي هناك نقطة ضعف في أصل خلقه :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً)

هناك نقطة ضعف في أصل خلقه ، هذه النقطة في الأصل لصالحه

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً)

ومعنى هلوعاً جاء التفسير بعدها :

(إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

(سورة المعارج)

فهذا الخوف ، وهذا الهلع ، وهذا الحرص على ما في يد الإنسان علاجه الاتصال بالله عز وجل

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

فالمصلون مستثنون من هذا الحكم .

لكن كما ورد في بعض الآثار القدسية :

((ليس كل مصلٍ يصلي إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وكفّ شهواته عن محارمي ، ولم يصر على معصيتي ، وأطعم الجائع ، وكسا العريان ، ورحم المصاب ، وآوى الغريب ، كل ذلك لي ، وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوء عندي من نور الشمس على أن أجعل الجهالة له حلما ،

والظلمة نورا ، يدعوني فألبيه ، ويسألني فأعطيه ، ويقسم علي فأبره ، أكلأه بقربي ، وأستحفظه ملائكتي ، مثله عندي كمثل الفردوس لا يتسنى ثمرها ولا يتغير حالها))

[أخرجه الديلمي عن حارثة بن وهب]

التوحيد يطرد الخوف من نفس الإنسان :

أيها الأخوة الأكارم ، حقيقة دقيقة جداً هي : لو أن الله خلق الإنسان قوياً ، لاستغنى بقوته فشقي باستغنائه ، خلقه ضعيفاً ليفتقر في ضعفه فيسعد بافتقاره ، هي حكمة بالغة ، بل إن هذا الخوف والهلع الذي رُكّب في أصل خلق الإنسان هو لصالحه .

تماماً كنقطة ضعيفة في سير التيار الكهربائي في الآلة ، تسمى اليوم بالفيوز هذه النقطة الضعيفة لصالح الآلة ، لو جاء تيار شديد هذه الوصلة الضعيفة تسيح فينقطع التيار نصون هذه الآلة .

إذاً خصائص الإنسان أنه هلوع ، وأنه عجول ، وأنه ضعيف .

التوحيد يطرد الخوف من نفس الإنسان ، قال تعالى :

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

(سورة الشعراء)

أحد أكبر العذاب أن تدعو مع الله إلهاً آخر ،

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

فالتوحيد يطرد الخوف من قلب الإنسان ، فالمؤمن حينما يتصل بالله عز وجل يرى أن الأمر كله بيده ، هو الرافع ، هو الخافض ، هو المعز ، هو المذل ، هو المعطي ، هو المانع ، هو الذي يعطي ما يتمناه الإنسان ، هو الذي يصرف السوء عن الإنسان ، هذه المعاني التوحيدية تطرد الخوف من نفس الإنسان، وحاجة الإنسان إلى الأمن حاجة ثابتة .

من اتبع رضوان الله عز وجل لا يضل عقله ولا تشقى نفسه :

أيها الأخوة الأحباب ، لو قرأنا قوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)

(سورة فصلت الآية : 30)

آية رائعة ، قد لا ننتبه لدقة معانيها ،

(أَلَّا تَخَافُوا)

يعني في المستقبل ، و

(وَلَا تَحْزَنُوا)

على الماضي ، فكأن هذه الآية غطت الماضي ، والمستقبل ، هناك آية أخرى :

(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)

(سورة طه)

لا يضل عقله ، ولا تشقى نفسه ، آية أخرى :

(فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

(سورة البقرة)

لو جمعنا الآيتين الذي يتبع هدى الله عز وجل لا يضل عقله ، ولا تشقى نفسه ، ولا يندم على ما فات ، ولا يخشى مما هو آت .

ثمن الأمن أن تؤمن بالله الإيمان الذي يحملك على طاعته :

الله عز وجل حينما يقول :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

وقف العلماء وقفة متأنية عند قوله تعالى :

(وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

قال بعضهم : ذكر الله أكبر ما في الصلاة ، لكن بعض العلماء يقول : ذكر الله لك أكبر من ذكرك له ، إنك إن ذكرته أديت واجب العبودية تجاهه ، لكنه إن ذكرك نعمة الأمن ، أكبر عطاء إلهي أن تتمتع بالأمن ، وفرق كبير بين السلامة والأمن ، السلامة ألا يحصل مكروهاً ، لكن الأمن ألا تتوقع هذا المكروه ، حالة ينعم بها المؤمن ، وفي نفس المؤمن من الأمن ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم .

ثمن الأمن أن تؤمن بالله الإيمان الذي يحملك على طاعته ، وألا تظلم مخلوقاً عندئذٍ تتميز ، وتنفرد بهذه النعمة التي عزت على معظم الناس ألا وهي نعمة الأمن .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (08-30) : قانون المعيشة الضنك
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2008-09-08

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون المعيشة الضنك :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم :(قانون المعيشة الضنك)

عدم تمني الحياة الضنك من قِبل أحد من البشر :

سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه .
ولعل اختيار هذا القانون من هذا القبيل ، المعيشة الضنك لا يتمناها أحد من بني البشر ، بل إن كل الناس تنفر نفوسهم من المعيشة الضنك ، حياة الشقاء ، حياة القلق ، حياة الضياع ، حياة السوداوية ، حياة التشاؤم ، حياة الإحباط ، حياة اليأس ، المعيشة الضنك لها قانون في القرآن الكريم .
ومرة ثانية أيها الأخوة الكرام ، حينما تتعامل مع جهة قيادية في الأرض مزاجية ترضى بلا سبب ، أو ترضى لسبب تافه ، وتغضب بلا سبب ، أو تغضب لسبب تافه ، التعامل مع هذه الجهة القيادية متعب جداً ، أما حينما تتعامل مع جهة قيادية لها قواعد ثابتة وواضحة في التعامل معها ، تعلم ما الذي يرقى بك عند هذا الإنسان ، وما الذي يهوي بك عند هذا الإنسان ، التعامل مع جهة قيادية ، وفق قواعد ثابتة، شيء مريح جداً للإنسان .

الإعراض عن ذكر الله جلّ جلاله سبب أساسي من أسباب المعيشة الضنك :

لذلك من فضل الله علينا أن الله سبحانه وتعالى وضع قواعد تشبه القوانين ، هذا الذي دفع إلى تسمية هذه القواعد في القرآن الكريم : قوانين القرآن الكريم ، فلكل وضع مصيري خطير في حياة الإنسان قانون ثابت ، له مقدمات وله نتائج .
من هذه القوانين : قوانين المعيشة الضنك ، عيش الشقاء ، عيش الضياع ، عيش الإحباط ، عيش الإخفاق ، عيش السوداوية ، عيش التطرف ، عيش الانهيار ، المعيشة الضنك لها قانون .
من أين نجد آية في كتاب الله تشير إلى المعيشة الضنك كقانون ،

الله عز وجل يقول :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)

(سورة طه)

أيها الأخوة ، لعل صياغة من كاسم شرط جازم لها فعلان ، الأول فعل الشرط والثاني جوابه ، وجزاؤه ، ولا يقع الثاني إلا إذا وقع الأول ، هذه الصياغة في اللغة العربية تشير إلى القانون ، وكأن القانون مضطرد يقع في كل زمان ومكان ،

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً)

المعيشة الضنك سببها الإعراض عن ذكر الله جل جلاله .

الاتصال بالله عز وجل يولد النجاح في الحياة :

الله عز وجل يقول :

(إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

(سورة طه)

الصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين .

أيها الأخوة الأحباب ،

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

لذلك يقول الله عز وجل :

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

(سورة الرعد)

تسعد القلوب ، تطمئن ، تشعر بالراحة ، تشعر بالسكينة ، تشعر بالتفاؤل ، تشعر بحفظ الله ، بتأييد الله، بنصر الله ، بتوفيق الله ، كل هذه المشاعر المسعدة التي هي سبب النجاح في الحياة بسبب الاتصال بالله عز وجل .

من ذكر الله أدى واجب العبودية نحوه :

أيها الأخوة الكرام ، حينما قال الله عز وجل :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

(سورة طه)

وفي آية أخرى :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

(وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

إشارة إلى أن أكبر ما في الصلاة ذكر الله ، هذا رأي بعض المفسرين ، ولكن هناك مفسرون آخرون لهم اجتهاد في فهم هذه الآية ،

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

قال هؤلاء العلماء : إنك حينما تصلي أيها المؤمن ، إنك تذكر الله ، وذكر الله الذي تذكره هو واجب العبودية تجاه الله عز وجل ، لكن ذكر الله لك وأنت تصلي أكبر من ذكرك له ، بمعنى ، إنك إن ذكرته أديت واجب العبودية نحوه .

من ذكره الله منحه الأمن و الحكمة :

لكن الله سبحانه وتعالى إذا ذكرك ، ما الذي يحصل ؟ إذا ذكرك الله عز وجل منحك الأمن ، قال تعالى:

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

(سورة الأنعام)

إذا ذكرك منحك الحكمة .

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً)

(سورة البقرة الآية : 269)

بالحكمة تسعد بدخل محدود ، ومن دون حكمة تشقى بدخل غير محدود ، بالحكمة تجعل العدو صديقاً ، ومن دون حكمة تجعل الصديق عدواً ، بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة الخامسة ، ومن دون حكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً)

الصلاة التي أرادها الله عز وجل ترقى بالإنسان إلى رب الأرض والسماوات :

ما سبب المعيشة الضنك ؟ الإعراض عن ذكر الله ،

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

فالذكر هو الله ، الصلاة كما أرادها الله عز وجل ، الصلاة التي يشفى الإنسان من أمراضه من خلالها، الصلاة التي يرقى بها إلى الله ، الصلاة التي يسعد بها ، ينسى الدنيا وهو في صلاته التي أرادها الله عز وجل ، إن الله سبحانه وتعالى إذا ذكر المؤمن في الصلاة منحه الحكمة ، منحه الأمن ، منحه الرضا ، منحه التفاؤل ، منحه كل الصفات التي تسعده .

فلذلك حقيقة الصلاة أن ترقى بها إلى رب الأرض والسماوات .

ضيق القلب هي المعيشة الضنك للأقوياء والأغنياء :

أيها الأخوة الكرام ، هذا قانون :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً)

هذا القانون مضطرد ، أي شامل لكل زمان ومكان ، ومع كل إنسان ، وقد يسأل سائل : ما بال الأغنياء ، والأقوياء ؟ هم يعيشون معيشة ضنكا ؟ أجاب علماء التفسير : إن المعيشة الضنك للأقوياء والأغنياء هي ضيق القلب ، لذلك قال بعض العارفين بالله وقد كان ملكاً : لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليها بالسيوف .

أيها الأخوة الكرام ، يقول الله عز وجل :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً)

(سورة المعارج)

هكذا خلقه الله عز وجل ، هناك نقطة في أصل خلقه ، نقطة ضعف .

(إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

(سورة المعارج)

نقاط الضعف التي في خلق الإنسان ، والتي قد تحيل حياته إلى معيشة ضنك المؤمن معفى منها ،

(إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

من هم المصلون ؟

أخوتنا الكرام ، كتعليق لطيف ، قالوا في علم المنطق : الصفة قيد ، يعني إذا قلت إنساناً هذه الكلمة تغطي ستة آلاف مليون ، أما إذا قلت إنساناً مسلماً مليار ونصف ، أما إذا قلت إنساناً مسلماً عربياً ثلاثمئة مليون ، أما إذا قلت إنساناً مسلماً عربياً مثقفاً مئتا مليون ، أما إذا قلت إنساناً مسلماً عربياً مثقفاً طبيباً مئتا ألف ، أما إذا قلت إنساناً مسلماً عربياً طبيباً جراحاً خمسمئة ، كلما أضفت صفة ضاقت الدائرة .

فهؤلاء المصلون الذي نجوا من المعيشة الضنك من هم ؟ قال تعالى :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

(الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ)

(سورة المعارج)

كلما أضفنا صفة ضاقت الدائرة :

(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ)

(سورة المعارج)

على كل إنسان أن يبتعد عن المعيشة الضنك من خلال إحكام صلته بالله تعالى :

إذاً المعيشة الضنك معيشة الشقاء ، واليأس ، والإحباط ، والسوداوية ، والتشاؤم ، معيشة ينفر منها أي إنسان ، وهذه المعيشة قانونها في القرآن الكريم هو الإعراض عن ذكر الله ، وذكر الله في حقيقته الصلاة التي فرضها الله على كل المؤمنين ، بالصلاة يرقى الإنسان إلى رب العالمين .

أيها الأخوة الأكارم ، كما قال سيدنا حذيفة : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه ، والمعيشة الضنك يجب أن يبتعد عنها كل إنسان حينما يبتعد عن الغفلة عن الله ، وحينما يُحكم صلته بالله .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (09-30) : قانون الرزق
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون الرزق :

لازلنا في قوانين القرآن، والقانون اليوم ، بل قوانين زيادة الرزق ، ولابد من مقدمة .

تثبيت الله عز وجل ملايين القوانين و تحريك الصحة و الرزق لتأديب البشر :

الله جلّ جلاله ثبت ملايين ملايين القوانين في الكون ، قانون الحركة ثابت ، وقانون السقوط ثابت ، الجاذبية ثابت ، خواص المواد ثابت ، ملايين ، ملايين القوانين ثبتها الله عز وجل كي تستقر الحياة ، كي يتعامل الإنسان معها تعاملاً مريحاً .

فكل شيء له قانون ، والقانون يعني ببعض تعريفاته : علاقة ثابتة بين متغيرين تطابق الواقع ، وعليها دليل ، ومقطوع بصحتها .

أيها الأخوة الأحباب ، هذه القوانين ثبتها الله عز وجل ، ولكن حرك قضيتين خطيرتين ، حرك قضية الصحة ، وقضية الرزق ، فالإنسان قد يمرض ، بل إن الإنسان حريص حرصاً لا حدود له على صحته، وعلى حياته ، وعلى رزقه ، من هنا من خلال هذين المتحركين يأتي التأديب الإلهي ، قال تعالى :

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

(سورة السجدة)

(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)

(سورة الشورى)

قوانين زيادة الرزق :

اليوم الحديث عن قوانين زيادة الرزق ، لأن الإنسان حريص حرصاً لا حدود له على زيادة رزقه ، والحقيقة : إن الله سبحانه وتعالى هو الرزاق .

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)

(سورة الذاريات)

ولأنه رازق وضع قواعد ثابتة نجدها في كتاب الله ، وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم لزيادة الرزق، فالذي يرى أنه لابدّ من أن يزداد رزقه عليه أن يسلك القواعد التي شرعها الله عز وجل ، لا أن يسلك طريقاً آخر ، لأن هذا الرزق إما أن يكون وفق طريق غير شرعي يسمى رزقاً حراماً ، غير مشروع يسبب تدهور الإنسان في الشقاء في الدنيا وفي الآخرة ، وإما أن يكون رزقاً حلالاً يسبب للإنسان سعادة في الدنيا والآخرة .

1 ـ تقوى الله عز وجل وطاعته :

أيها الأخوة الأحباب ، القانون الأول : تقوى الله عز وجل وطاعته ، قال تعالى :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

(سورة الطلاق)

أحياناً كلمة مخرج توحي أن الأبواب كلها مغلقة ، فحينما يتساءل الإنسان من أين المخرج لحكمة بالغةٍ بالغة يغلق الله جميع الأبواب يفتح باب السماء ، حتى يتوجه الإنسان إلى الله عز وجل

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

(وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)

(سورة الطلاق الآية : 3)

فمن كان يعاني من ضائقة مالية وهو مقيم على مخالفات شرعية ، فيزيل كل مخالفة ، ويأتمر بما أمر، وينتهي عما نهى الله عنه ، وهذه الآية زوال الكون أهون على الله من ألا تحقق لأنها السهم الأخير في حلّ مشكلات الإنسان

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

من كل ضائقة ، يجعل له مخرجاً من الضيق المادي ، يجعل له مخرجاً من الضيق المعنوي ، يجعل له مخرجاً من الإحباط ، يجعل له مخرجاً من مشكلات قد لا تحل

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

2 ـ التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب :

هذا القانون الأول ، أما القانون الثاني ، الله عز وجل يقول :

(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)

(سورة الطلاق الآية : 3)

أنت حينما تتوكل على الله لا بجوارحك ، تسعى جاهداً بالأخذ بالأسباب ، وبعدها تتوكل على رب الأرباب ، تسعى جاهداً لإغلاق كل ثغرة في حياتك ، وبعدها تتوكل .

لذلك الإنسان ينبغي أن يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، ثم يتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، لكن الله جلّ جلاله يقول

(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)

لكن المسلمين حينما ضعف عندهم الإيمان بالله ، وحينما تخلفوا عن فهم دينهم جعلوا محل التوكل الجوارح ، مع أن محل التوكل هو القلب ، أما الجوارح ينبغي أن تتحرك .

لذلك رأى سيدنا عمر أناساً يتكففون الناس في موسم الحج ، فسألهم من أنتم ؟ فقالوا : نحن المتوكلون ، قال : كذبتم ، المتوكل من ألقى حبة في الأرض ثم توكل على الله .

3 ـ صلة الرحم :

أيها الأخوة الأحباب ، قانون ثالث لزيادة الرزق إنه صلة الرحم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

((من سره أن ينسأ له في أجله ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه))

[رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك]

يبدو أن الناس فهموا صلة الرحم فهما محدوداً جداً ، يعني في العيد يطل على بعض أقربائه ، ويتمنى ألا يجدهم ليضع بطاقة مكان زيارته ، وجلسته معهم ، لكن الحقيقة أن صلة الرحم تعني أن تتصل به ، وأن تزوره ، وأن تتفقد أحواله ، وأن تمد له يد العون ، العون المادي ، أو الروحي أحياناً ، أو العلمي ، لابدّ من أن يرعى الغني الفقير ، ويرعى القوي الضعيف ، ويرعى العالم غير المتعلم ، صلة الرحم أحد أسباب زيادة الرزق .

الاستقامة على أمر الله عز وجل دوام للنعمة :

أيها الأخوة الكرام ، يقول الله عز وجل :

(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)

(سورة إبراهيم الآية : 7)

الإنسان حينما يكرمه الله بمأوى ، يقول : الحمد لله لهذا المأوى ، حينما يكرمه الله بشهادة عالية ، أو بمنصب معقول ، أو بدخل يغطي حاجاته ، أو بزوجة صالحة ، أو بأولاد أبرار ، حينما يعزو هذه النعم الجليلة إلى الله عز وجل ، ويشكره عليها ، هذه النعم تدوم وتزيد ،

(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)

يعني ضمان النعمة لا أن تفكر كيف تهاجم خصومك المنافسين ، لا ، دوام النعمة أن تستقيم على أمر الله ، وأن تشكر الله عليها ، شكر النعمة حصن لها ، وبالشكر تدوم النعم ، والنعمة حينما تعزوها إلى الله أولاً ، ثم يمتلئ قلبك امتناناً منه ثانياً ، ثم حينما تقابل هذه النعمة بخدمة الخلق ثالثاً كقوله تعالى :

(اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً)

(سورة سبأ الآية : 13)

فأنت شاكر لها ، وهذه النعمة لم تتحول عنك .

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

(سورة الرعد الآية : 11)

من استغفر ربه و اعترف بذنبه فهو في بحبوحة زيادة الرزق :

أيها الأخوة الكرام ، في القرآن الكريم :

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)

(سورة نوح)

فما دام الإنسان معترفاً بذنبه ، مستغفراً لربه ، تائباً من ذنبه فهو في بحبوحة ، بحبوحة زيادة الرزق ،

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

(سورة الأنفال الآية : 33)

أي ما دامت سنتك قائمة في حياتهم ، في بيوتهم ، في أعمالهم ، في كسب أموالهم ، في إنفاق أموالهم ، أي وما داموا يستغفرون .

(وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

(سورة الأنفال)

هم في بحبوحة ، وفي خير ، وفي عطاء .

4 ـ الصلاة :

أيها الأخوة الكرام ، أما القانون الذي يلي هذا القانون هو الصلاة : فالصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين ، ولا خير في دين لا صلاة فيه ، يقول الله عز وجل :

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ)

(سورة طه الآية : 132)

بيت تؤدى فيه الصلوات ، يتلى فيه القرآن ، فيه انضباط ، انضباط أخلاقي انضباط اجتماعي ، العورات مستورة ، هذا البيت مرزوق ، ومحل تجاري تؤدى فيه الصلوات ، وفيه أمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، وفيه انضباط أخلاقي ، وفيه غض بصر ، هذا المحل أيضاً مرزوق عند الله .

5 ـ الصدقة :

أيها الأخوة ، أما الصدقة الله عز وجل يقول ، وكلمة رائعة جداً في هذه الآية :

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَنَاً)

(سورة البقرة الآية : 245)

أية آية كائن من كان هو قرض لله عز وجل ،

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَنَاً)

(فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً)

(سورة البقرة الآية : 245)

6 ـ الإحسان إلى مخلوقات الله عز وجل :

لذلك أحد أسباب زيادة الرزق أن تحسن إلى مخلوقات الله عز وجل ، والبيت الذي يتلى فيه القرآن الكريم بيت مرزوق ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره))

[أخرجه البزار عن أنس بن مالك]

7 ـ التوسعة على العيال :

بل إنه من غرائب الحديث : أن التوسعة على العيال أحد أسباب زيادة الرزق .

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

[الديلمي عن عائشة]

لذلك :

((يا ابن آدم ، أنفقْ أنفِقْ عليك))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

((أنفق بلالُ ولا تخش من ذي العرش إقلالاً))

[أخرجه الطبراني عن بلال]

8 ـ النكاح :

أيها الأخوة ، قانون آخر من قوانين زيادة الرزق وهو النكاح ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

((ثلاثة حقّ على الله عَوْنُهم : المجاهدُ في سبيل الله ، والمُكَاتِبُ الذي يريد الأداءَ ، والناكحُ الذي يريد العَفافَ))

[أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

ومن بحث عن الحلال أكرمه الله ، حق العباد على الله أن يعين الشاب إذا طلب الحلال .

9 ـ طلب العلم :

قانون آخر : هو طلب العلم ، من طلب العلم تكفل الله له برزقه .

هذه بعض القوانين التي تزيد الرزق والإنسان حريص حرصاً لا حدود له على زيادة رزقه .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (10-30) : قانون الإحباط
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 10-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون الإحباط :

لازلنا في قوانين القرآن، والقانون اليوم : (قانون الإحباط)

الأعمال المحبطة كالأمراض العضالة تلغي العبادات كلها :

أيها الأخوة الأحباب ، الإنسان يصاب في الدنيا بأمراض كثيرة ، وقد أنبأ النبي صلى الله عليه وسلم أن لكل داء دواء ، هذه الأمراض الكثيرة لها أدوية ناجحة ، وشافية ، ولكن هناك بعض الأمراض الوبيلة ، بعض الأمراض المميتة ، بعض الأمراض العضالة ، هذه أمراض خطيرة ، تنهي حياة الإنسان ، فرق كبير جداً بين مرض طارئ له دواء وشفاء وبين مرض ينتهي بحياة الإنسان ، هذا المثل تمهيد لحقيقة خطيرة .

هناك أعمال كثيرة يعملها الإنسان ، بعضها يقبله الله ، وبعضها الآخر لا يقبله ، ولكن الذي لا يقبله ربما تاب منه ، ربما ندم ، لكن بعض الأعمال تشبه الأمراض العضالة تنهي الأعمال كلها ، تلغي العبادات كلها ، هذه الأعمال سماها العلماء (المحبطات)العمل يلغى ، هناك في بعض الأحاديث الشريفة قول للسيدة عائشة تقول :

((أبلغي زيد بن أرقم أنه قد أبطل جهادَه مع رسول الله))

[أخرجه الإمام أحمد و سعيد بن منصور عن عائشة أم المؤمنين]

فموضوع خطير ، حركتك في الحياة ، عباداتك ، صلاتك ، صيامك ، حجك ، وزكاتك ، هل يعقل أن تحبط ؟ وأن تلغى ؟

لذلك ورد في بعض الأحاديث الصحيحة :

((لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا ، قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صِفْهُمْ لَنَا ، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا))

[سنن ابن ماجه عن ثوبان]

إذاً هناك أعمال محبطة ، ربما استعرضنا في هذا اللقاء الطيب بعض هذه الأعمال المحبطة .

الأعمال المحبطة هي :

1 - الرفض الكلي لحقائق الإيمان ولمنهج الواحد الديان يلغي أي عمل صالح :

يقول الله عز وجل :

(وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ)

(سورة المائدة الآية : 5)

يعني إنسان رفض أن يؤمن بالله ، رفض أن يؤمن بالدار الآخرة ، آمن بالدنيا وجعلها نهاية آماله ، ومحط رحاله ، هذا الإيمان بالدنيا ، والإعراض عن الآخرة ، وعن قيم الإيمان ، وعن قيم الاستقامة ، هذا الموقف الرافض للدين يجعل عمله محبطاً ، أي لا قيمة له ولا وزن له في الآخرة ، بل ربما كان هذا العمل سبب شقائه الأبدي .

إذاً :

(وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ)

الإنسان حينما يرفض الإيمان أصلاً ، يرفض أن يخضع لله أصلاً ، يرفض أن يستقيم على أمر الله أصلاً ، هذا الرفض الكلي لحقائق الإيمان ، ولتفاصيل الإيمان ولمنهج الواحد الديان يلغي أي عمل صالح يتوهمه صاحبه أنه عمل صالح ، لأنه ما ابتغي به وجه الله ، ولا وافق سنة رسول الله .

2 - من يكفر بالعلامات والإشارات التي تنقلنا إلى معرفة الله فقد حبط عمله :

أيها الأخوة الكرام ، عمل آخر من المحبطات ، يقول الله عز وجل :

(وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ)

(سورة الأعراف الآية : 147)

هناك آيات عظيمة دالة على عظمة الله ، هذا الكون الذي ينطق بكل تفاصيله بوجود الله ، ووحدانيته ، وكماله ، هذه الآيات التكوينية أفعال الله عز وجل ، هذه الآيات القرآنية كلامه ، هذه الآيات هي العلامات والإشارات التي تنقلنا إلى معرفة الله ، فالإنسان حينما يكفر بها ولا يعبأ ، ويكذبها ، بل يسخر منها طبعاً لن يكون عمله وفق منهج الله ، عمله وفق مصالحه ، وغرائزه ، وشهواته ، هذا العمل قد

يبنى على إيذاء الآخرين ، أو على ابتزاز أموالهم ، أو على انتهاك أعراضهم ، لذلك هذا العمل يحبط كل عمل ، وقد يكون سبباً لشقاء الإنسان في الدنيا والآخرة .

3 ـ المناهج الدقيقة التي توصل إلى الله من رآها قيوداً لا مبرر لها فقد حبط عمله :

أيها الأخوة الكرام ، عمل آخر من المحبطات لكنه خطير ، قال تعالى :

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا)

(سورة محمد الآية : 9)

فقط كرهوا :

(مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)

(سورة محمد)

أي لم تعجبه هذه المناهج الدقيقة التي توصل إلى الله ، لم يعجبه تحريم الربا ، لم يعجبه تحريم الاختلاط ، لم يعجبه تحريم المنكرات الاجتماعية ، رآها قيوداً لا مبرر لها ، لم يفهم هذه المحرمات على أنها ضمان لسلامة الإنسان ، بل فهمها تقييداً لحريته ، فتمنى ألا تكون ، وتبرم منها ، بل لم يعبأ بها ، بل لم يلتزم بها .

حينما يكره الإنسان منهج الله ، وحينما يكره الإنسان تعليمات الصانع ، بل حينما يكره هذه التي يتوهمها قيوداً لحريته وهي بالحقيقة ضمان لسلامته .

تماماً لو أن إنسان يمشي في أرض فلاة ، رأى لوحة كتب عليها : ممنوع التجاوز ، حقل ألغام ، هل يشعر هذا الإنسان المواطن الواعي أن الذي وضع هذه اللوحة أراد أن يحد من حريته ؟ لا أبداً ، أراد واضع هذه اللوحة أن يضمن سلامته ، وألا يتورط بالسير في حقل ألغام .

إذاً حينما نفهم أوامر الله ، ونواهيه ضماناً لسلامتنا ، وليست حدّاً لحريتنا نكون فقهاء ، ومن أعظم الفضائل أن يفقه الإنسان في الدين .

4 ـ من بنى حركته على العدوان إن على أموال الناس أو على أعراضهم حبط عمله :

أيها الأخوة الأحباب ، محبط آخر من محبطات الأعمال ، الله عز وجل يقول :

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)

(سورة محمد)

الإنسان حينما يمشي في غضب الله ، حينما يمشي إلى إيذاء عباد الله ، حينما يمشي إلى إرواء لذائذه ، وغرائزه على حساب حقوق الآخرين ، حينما يعتدي على أعراضهم ، حينما يبتز أموالهم ، حينما يأخذ

ما ليس له ، من أموالهم ، هذه الحركة المبنية على العدوان والابتزاز ، هذه حركة تحبط أعماله التي تبدو للناس صالحة ، هذه الأعمال التي تبنى على ابتزاز أموال الآخرين ، والعدوان على أراضهم ، وقد يكون له عمل يبدو للناس صالحاً ، أعماله التي تبدو للناس صالحة سقطت ، ولا قيمة لها ، ولا وزن لها عند الله إطلاقاً ، لأنه بنى حركته في الحياة على العدوان ، إن على أموال الناس ، أو على أعراضهم .

5 ـ الشرك بالله :

أيها الأخوة ، ولكن المحبط الأكبر هو الشرك بالله ، لأن الله عز وجل :

(لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ)

(سورة النساء الآية : 48)

ولكي أوضح بدقة بالغة معنى الشرك :

إنسان ، نحن في سوريا مثلاً ، هناك مدينة في الشمال كبيرة ، تأتي بعد دمشق اسمها حلب ، حينما يكون لإنسان مبلغ كبير في هذه المدينة ، ولابدّ من السفر إليها كي يقبضه ، ركب قطاراً من دمشق ، لكنه وقع في خطأ كثير ، ركب مركبة أو قاطرة من الدرجة الثالثة ، وبطاقته من الدرجة الأولى ، فهذا خطأ ، لكن القطار في طريقه إلى حلب وهو متحرك ، ثم إنه جلس في قاطرة فيها شباب ليسوا كما ينبغي أزعجوه في السفر ، هذا خطأ ثانٍ ، لكن القطار متجه إلى حلب ، خطأ ثالث ركب عكس اتجاه القطار فأصيب بالدوار ، وهذا خطأ ثالث ، لكن القطار متجه إلى حلب ، خطأ رابع هو في أمس الحاجة إلى طعام يأكله فتلوى من الجوع ، وفي القطار عربة فيها مطعم ، غابت هذه الحقيقة عنه ، هذا خطأ رابع ، لكن القطار متجه إلى حلب ، كل هذه الأخطاء يمكن أن ينساها الإنسان بعد أن يصل إلى حلب ، وأن يقبض هذا المبلغ الكبير ، لكن خطأ كبيراً ماحقاً مدمراً يرتكبه الإنسان فيفوته هذا الحق ، وهذا المبلغ الكبير أن يركب قطاراً لا إلى حلب بل إلى الجنوب ، هذا القطار الآخر مع أنه فخم جداً ، مع أنه من الدرجة الأولى لكن هذا القطار يمشي في طريق مسدود ، ليس هناك مبلغاً يأخذه ، ولا هدفاً يحققه .

لذلك الآية الكريمة :

(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

(سورة الزمر)

6 ـ الإضرار في الوصية :

أيها الأخوة الكرام ، نحن في موضوع خطير جداً ، يعني ممكن إنسان أعماله في حياته كلها من صلاة، وصيام ، وحج ، وزكاة ، وله أعمال أخرى ، هذه تحبط العمل مثلاً :

((إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ، ثم يحضرهما الموت فيضِران في الوصية ، فتجب لهما النار))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

لا يعطي البنات حقهن ، تجب له النار ، فالإضرار في الوصية من محبطات الأعمال .

أنا قدمت بعض النماذج وحبذا لو يراجع الإنسان نفسه في جميع الأعمال المحبطة لئلا يخسر صلاته ، وصيامه ، وحجه ، وزكاته ، ولئلا يلقى الله وهو غاضب عليه .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (11-30) : قانون العداوة والبغضاء
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2008-09-11

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون العداوة والبغضاء :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم : (قانون العداوة والبغضاء)، وما أكثر العداوة والبغضاء بين بني البشر .

البشر عند الله وفي ضوء القرآن الكريم لا يزيدون عن نموذجين لا ثالث لهما :

أيها الأخوة الكرام ، حينما قال الله عز وجل :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

(سورة الأحزاب الآية : 72)

فالبشر بعضهم حمل الأمانة وأداها كما أرادها الله عز وجل ، هؤلاء لهم صفات ، والذين خانوا الأمانة لهم صفات ، تنطلق العداوة والبغضاء من تباين بين نموذجين من بني البشر ، نموذج حمل الأمانة ، وأداها كما ينبغي ، ونموذج لم يحملها فوقع في شرّ عمله .

أيها الأخوة الكرام ، لابدّ من أن نبين أن البشر على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم، وأنسابهم ، وطوائفهم ، ومذاهبهم ، وتياراتهم ، كل هذه التقسيمات وتلك المصطلحات من وضع البشر ، ولكن البشر عند الله ، وفي ضوء القرآن الكريم لا يزيدون عن نموذجين لا ثالث لهما ، نموذج عرف الله ، فانضبط بمنهجه ، وأحسن إلى خلقه فسلم وسعد في الدنيا والآخرة ، ونموذج غفل عن الله ، وتفلت من منهجه ، فشقي وهلك في الدنيا والآخرة ، بل هو نموذج غفل عن الله ، وتفلت من منهجه ، وأساء إلى خلقه ، فشقي وهلك في الدنيا والآخرة ، ولم تجد نموذجاً ثالثاً .

التناقض بين صفات المؤمنين و غير المؤمنين أحد أسباب العداوة والبغضاء :

من أين تأتي العداوة والبغضاء ؟ أن الذي عرف الله ، واتصل به اشتق منه الكمال ، فهو رحيم ، هو عدل ، هو منصف ، هو لطيف ، هو حكيم ، هو عفو ، مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى ، فإذا

أحبّ الله عبداً منحه خلقاً حسناً ، فهذا الذي عرف الله ، وأدى الأمانة ، واتصل به ، وأقبل عليه ، اشتق منه الكمال ، فله صفات يتميز بها ، بل يتفوق بها ، أما الذي غفل عن الله ، وتفلت من منهجه ، وأساء إلى خلقه ، خسر هذه الكمالات فصار لئيماً ، حقوداً ، كذوباً ، ظالماً ، متجنياً ، متعجرفاً ، متغطرساً .

فالتناقض بين صفات هؤلاء ، وصفات هؤلاء هو أحد أسباب العداوة والبغضاء وقانون العداوة والبغضاء في هذه الآية الرائعة :

(فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

(سورة المائدة الآية : 13)

الحكمة من بيان التباين الصارخ بين المؤمنين و غير المؤمنين :

ما دام الإنسان بعيداً عن الله فصفاته تتناقض مع صفات الذي آمن بالله تناقضاً مريعاً ، وقد يسأل سائل: لِمَ لم يجعل الله هؤلاء الذين لم يؤدوا الأمانة في كوكب آخر ؟ لأراحوا واستراحوا ، بل لِمَ لم يجعلهم في قارة أخرى ؟ بل لِمَ لم يجعلهم في حقبة بعيدة عنا ؟ لكن قرار الله أن نعيش معاً ، وأن نلتقي مع بعضنا بعضاً ، وأن يظهر التباين الصارخ بين المؤمنين ، وبين غير المؤمنين .

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ)

(سورة السجدة)

(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ)

(سورة القلم)

أيها الأخوة الكرام :

(أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة القصص الآية : 61)

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

(سورة الجاثية)

رأس الهرم البشري زمرتان هم الأقوياء والأنبياء والبشر تَبَع لقوي أو نبي :

إذاً هناك صنف من بني البشر أدى الأمانة ، فاتصل بالله ، واشتق منه الكمال ، وهناك صنف آخر لم يؤدِ الأمانة ، وانقطع عن الله ، وأصبح يعاني ما يعاني من أمراض البعد عن الله ، أو من أعراض الإعراض عن الله ، لؤم ، كبر ، غطرسة ، أنانية ، ظلم ، عدوان ، هذا التناقض بين صفات المؤمنين ، وصفات غير المؤمنين هو سبب العداوة والبغضاء .

لذلك كما يقال على رأس الهرم البشري زمرتان هم الأقوياء والأنبياء ، الأقوياء ملكوا الرقاب ، والأنبياء ملكوا القلوب ، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، الأقوياء عاش الناس لهم ، الأنبياء عاشوا للناس ، الأقوياء يمدحون في حضرتهم ، والأنبياء يمدحون في غيبتهم ، لذلك أحبّ الناس الأنبياء ، وخافوا من الأقوياء ، بل إن كل البشر تبع لقوي أو نبي .

فهذا الموظف الذي يستخدم ما أوتي من سلطة ، ليستعلي بها على الآخرين هو من أتباع الأقوياء ، وهذا المؤمن يستخدم كماله ، ليؤثر بالآخرين هو من أتباع الأنبياء .

قضية العداوة والبغضاء قضية أزلية أبدية :

لذلك أيها الأخوة ، قضية العداوة والبغضاء قضية أزلية أبدية ، بل إن معركة الحق والباطل معركة أزلية أبدية ، فهذا قدر المؤمنين ، وهذا أحد أسباب تفوقهم لأن الحق لا يقوى إلا بالتحدي ، وإن أهل الحق لا يستحقون عطاء الله يوم القيامة إلا ببذلهم ، وعطائهم ، وجهدهم الكبير ، الذي بذلوه من أجل سعادة البشرية .

لذلك ليس من حديث يصلح على هذا الموضوع على قانون العداوة والبغضاء كقول النبي صلى الله عليه وسلم :

((والذي نفس محمد بيده : ما تواد اثنان ، ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما))

[أخرجه أحمد عن ابن عمر]

وقد نفسر هذه المودة ، والمحبة بين المؤمنين بهذا البحث العلمي :

في كل إنسان مجموعة من الصفات ، وفي إنسان آخر مجموعة أخرى ، فكلما كان التقاطع كثيراً بين صفات هؤلاء وهؤلاء ، كان الحبّ والود ، وكلما كان التقاطع قليلاً بين هؤلاء وهؤلاء كانت العداوة والبغضاء ، كلما ازدادت القواسم المشتركة بين إنسانين ، كان بينهما الحب والمودة ، فإذا ابتعدت هذه القواسم المشتركة كانت العداوة والبغضاء .

فلذلك ورد في بعض توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام :

((لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنا ، ولا يأكُلْ طعَامَكَ إلا تَقِيّ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبو سعيد الخدري]

أصل النجاح عند كل إنسان :

1 ـ إصلاح العلاقة بينك وبين الله بالإيمان به والتقرب إليه والإقبال عليه :

أيها الأخوة الأحباب ، الله عز وجل يقول في كتابه الكريم :

(فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)

(سورة الأنفال الآية : 1)

وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ،

(فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)

وقد فهم الإمام الغزالي رحمه الله تعالى هذا التوجيه القرآني على ثلاثة مستويات أولاً : أصلح العلاقة بينك وبين الله ، هي في الدرجة الأولى أساس كل نجاح ، ولا ننسى أيها الأخوة ، أنه ليس هناك نجاح جزئي ، النجاح شمولي ، فلابد من أن تنجح في علاقتك مع الله ، وفي علاقتك مع أهلك وأولادك ، وفي علاقتك في عملك ، وفي علاقتك مع صحتك .

فلذلك أصل النجاح أن تصلح علاقتك بينك وبين الله بالإيمان به ، وطاعته والتقرب إليه ، والإقبال عليه، ومحبته .

2 ـ إصلاح كل علاقة بينك و بين الآخر :

المستوى الآخر :

(وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)

أصلح كل علاقة بينك وبين الآخر ، أصلح علاقتك مع أهلك ، مع جيرانك ، مع أصدقائك ، مع زملائك ، مع أهل بلدتك ، مع مواطني أمتك ، أصلح هذه العلاقة ، ويصلحها العدل والإحسان .

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)

(سورة النحل الآية : 90)

3 ـ إصلاح كل علاقة بين كل إنسانين :

ثم ينبغي أن تصلح هذه العلاقة بين كل إنسانين ، كن وسيط خير ، تدخل لرأب الصدع ، ولمّ الشمل ، والإصلاح بين الزوجين ، أو بين أخوين ، أو بين شريكين ، فقانون العداوة والبغضاء ينطلق من قوله تعالى :

(فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (12-30) : قانون الاستخلاف
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 12-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون الاستخلاف :

لازلنا مع قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم (قانون الاستخلاف)، ولكن لابدّ من وقفة متأنية كتمهيد لهذا القانون .

زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين :

أيها الأخوة الأحباب ، العالم الإسلامي يعاني ما يعاني ، الله عز وجل يقول في كتابه الكريم :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)

(سورة النور الآية : 55)

(كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)

هذا قانون عند الله .

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً)

(سورة النور الآية : 55)

الحقيقة المرة هي أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، هل نحن مستخلفون في الأرض ؟ لا والله ، هل نحن ممكنون في الأرض ؟ لا والله ، هل نحن آمنون ؟ لا والله ، هذه وعود خالق السماوات والأرض ، وزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين هناك وعود أخرى :

(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الروم)

(وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)

(سورة الصافات)

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة غافر الآية : 51)

ماذا نفعل بهذه الوعود من عند خالق السماوات والأرض ؟ وكما تعلمون ، ومرة ثانية : زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين .

شروط قوانين الاستخلاف :

إذاً هذه القوانين قوانين الاستخلاف ، ما شروطها ؟ .

عبادة الله عز وجل العبادة التي أرادها و الخضوع لمنهجه بكل تفاصيله :

أيها الأخوة الأحباب ، نعيد النظر في هذه الآية :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً)

(يَعْبُدُونَنِي)

(سورة النور الآية : 55)

كأن هذا الوعد العظيم الكريم من عند خالق السماوات والأرض له ثمن ، ثمنه أن يعبد المسلمون ربهم حقّ العبادة ، العبادة التي أمروا بها ، أي أن يخضعوا لمنهج الله بكل تفاصيله فإذا عبدوه حُققت هذه الوعود الكبرى التي تحل بها مشكلات المسلمين .

أيها الأخوة الكرام ، العبودية لله عز وجل أن تخضع لمنهجه الشمولي ، منهجه الشمولي لعله يبدأ من فراش الزوجية ، وينتهي بالعلاقات الدولية ، منهج تفصيلي

(يَعْبُدُونَنِي)

والعبادة طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ، فإذا أخلّ الطرف الآخر بما عليه من عبادة الله ، فالله جلّ جلاله في حلٍّ من وعوده الثلاث .

قانون الاستخلاف بالأرض يقتضي أن نعبد الله العبادة التي أرادها :

إذاً قانون الاستخلاف بالأرض يقتضي أن نعبد الله العبادة التي أرادها ، ولكن هناك آية تلقي ضوءاً على حقيقة هذا القانون ، قانون الاستخلاف ، قال تعالى :

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً)

(سورة مريم)

وقد أجمع العلماء على أن ترك الصلاة شيء ، وإضاعة الصلاة شيء آخر ، إضاعة الصلاة لا يعني تركها ، بل يعني تفريغها من مضمونها ،

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً)

وقد لقي المسلمون ذلك الغي .

أما اِتباع الشهوات

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً)

من أدق ما شرح المفسرون قوله تعالى :

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

(سورة الشعراء)

قالوا : القلب السليم ، القلب الذي سلم من شهوة لا ترضي الله ، وسلم من تصديق خبر يتناقض مع وحي الله ، وسلم من عبادة غير الله ، وسلم أيضاً من الاحتكام إلى غير شرع الله ، هذا هو القلب السليم.

إذاً كأن الله سبحانه وتعالى في آية يفسر الذي أصاب المسلمين في آخر الزمان :

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً)

الاستخلاف في الأرض لا يكون إلا بالدين الذي يرتضيه الله لنا :

ولو دققنا قليلاً في ثنيات الآية

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)

الآن ندقق :

(وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ)

أي دين وعد بتمكينه ؟ الدين الذي يرتضيه لنا ، أما إذا فهمنا الدين فهماً يختلف عن فهم الصحابة الكرام ، فهمناه مظاهر ، فهمناه أشياء لا تقدم ولا تؤخر ، فهمناه خصومات ، فهمناه تعصبات ، هذا الفهم للدين لا يستحق أن ننتصر من خلاله ، إذاً

(وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ)

أحياناً نفهم الدين فهماً ما أراده الله عز وجل ، أحياناً نتحرك مع الدين تحركاً ما أراده الله .

لذلك مما يلفت النظر أن أحد العلماء الغربيين ، وقد هداه الله إلى الإسلام قال كلمة رائعة ، قالها في بريطانيا ، قال : أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور، لاتساع الهوة بينهما ، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين لا لأنهم أقوياء ولكن لأن خلاص العالم بالإسلام ، ولكن بشرط وقد سقت هذا القول كي أقف عند هذا الشرط ، بشرط أن يحسنوا فهم دينهم ، وأن يحسنوا تطبيقه ، وأن يحسنوا عرضه على الطرف الآخر .

خلاص العالم الإسلامي يقتضي أن نرجع إلى أنفسنا ونراجع حساباتنا و نصطلح مع ربنا :

لذلك أيها الأخوة الأحباب ، هذا الوعد الإلهي من خلال آية الاستخلاف لا يتحقق إلا إذا دفع المسلمون الثمن ، من هنا نفهم بعض جوانب هذه الآية ، قال تعالى يتحدث عن الطرف الآخر :

(وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)

(سورة إبراهيم)

تصور أن خالق السماوات والأرض يصف مكر الطرف الآخر بأنه يزيل الجبال مع أن أمم الأرض مجتمعة لا تستطيع أن تنقل جبلاً من مكان إلى مكان ،

(وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)

الآن نستمع إلى آية لعل فيها خلاص العالم الإسلامي هذه الآية قال تعالى :

(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً)

(سورة آل عمران الآية : 120)

فالطريق واضح إلى الخلاص ، وإلى القوة ، وإلى النصر ، وإلى التفوق ، لا يقتضي هذا الخلاص إلا أن نرجع إلى أنفسنا ، ونراجع حساباتنا ، وأن نصطلح مع ربنا ، وأن نصبر على ما نحن فيه ، ثم نتحرك إلى أن نصل إليه ، وقد نستحق إن شاء الله أن نستخلف في الأرض .

قانون الاستخلاف في الأرض يحتاج إلى تأمل عميق :

قانون الاستخلاف في الأرض يحتاج إلى تأمل عميق ، لأن خلاص المسلمين أن يستعيدوا دورهم القيادي بين الأمم ، خلاص المسلمين أن يصطلحوا مع ربهم ، خلاص المسلمين أن يعودوا إلى رشدهم، خلاص المسلمين أن يطبقوا منهج ربهم في حياتهم ، لا أن يكتفوا بالإطار الإسلامي فرق كبير أن يكون المسلم متعلقاً بإطار إسلامي وبين أن يكون المسلم متعلقاً بتفاصيل هذا الدين العظيم ، من هنا ينبغي أن ننتبه أن الله سبحانه وتعالى حينما قال :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

(سورة الرعد الآية : 11)

يعني المسلم أحياناً أمام قوى كبيرة جداً ، وتحت سيطرته بيته وعمله ، فإذا أقام أمر الله فيما يملك ، كفاه الله ما لا يملك ، فما من مسلم إلا والكرة في ملعبه ، حينما يأخذ قراراً مصيرياً بالصلح مع الله أولاً، وبطاعته ثانياً ، وبتطبيق منهج الله في نفسه أولاً ، وفي بيته ثانياً ، وفي عمله ثالثاً ، يكون قد دفع ثمن حفظ الله له ، وتوفيق الله له ، وتأييد الله له ، ونصر الله له ، هذا طريق الخلاص ، ما لم نعد إلى

منهج ربنا ، وما لم نطبق منهج ربنا تطبيقاً كما أراده الله لن نصل إلى ما نصبو إليه ، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن نوفق بتطبيق هذا القانون قانون الاستخلاف .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون الشفاعة :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم (قانون الشفاعة)

مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ : آية تعد أصلاً في قانون الشفاعة :

الأشياء وتر وشفع ، الوتر منفرد ، الشفع مزدوج ، معنى الشفاعة ؛ لا يلتقي اثنان ، لا يتعاون اثنان ، لا يتنافس اثنان ، لا يؤذي واحد الآخر ، أية حركة نحو الآخر إيجابية أو سلبية نوع من الشفاعة ، لذلك الآية الأصل في هذا الموضوع قول الله عز وجل :

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)

(آية الكرسي من سورة البقرة الآية : 255)

أيها الأخوة ، هذه آية الكرسي ، وهي من أعظم آيات القرآن الكريم

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)

يعني لا مسير للكون إلا هو ، لا معطي ، ولا مانع ، ولا خافض ، ولا رافع ، ولا معز ، ولا مذل ، هذا هو التوحيد ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)

(آية الكرسي من سورة البقرة الآية : 255)

عنده في ملكه ، يعني في ملك الله ، في السماوات والأرض ، في الكون ، لا يمكن أن يتصل كائن بكائن ، أن ينفع كائنٌ كائناً ، أن يؤذي كائنٌ كائناً ،

(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)

هذه الآية تعد أصلاً في قانون الشفاعة ، فكل شيء وقع أراده الله ، وكل شيء أراده الله وقع ، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة ، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق .

لله أمر تكليفي و أمر تكويني :

أيها الأخوة الأحباب ، كلنا يعلم أن لله أمراً تكليفياً ، وأن لله أمراً تكوينياً ، فالأمر التكويني

(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)

هذه الآية دقيقة جداً ، التي يمكن أن تنفي الحقد ، والألم ، والندم الشديد ، كل شيء وقع أراده الله ، لأنه لا يليق أن يقع في ملكه ما لا يريد ، ليس معنى أنه أراد أي أمر ولا رضي ، لكن سمح فقط لحكمة بالغةٍ بالغة عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها .

(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)

(آية الكرسي من آية البقرة)

كأمر تكويني

(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)

أما كأمر تكليفي ، متى يسمح لي أن أشفع لإنسان ؟ متى يسمح لي أن ألتقي بإنسان ؟ متى يسمح لي أن أتعامل مع إنسان ؟ هنا موضوع قانون الشفاعة كأمر تكليفي ، أما كأمر تكويني كل شيء وقع أراده الله وكل شيء أراده الله وقع ، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة ، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق.

أفضل شفاعة كأمر تكليفي هداية الناس إلى طريق الهدى و التوفيق بينهم :

الآن أيها الأخوة الأحباب ، الآية الأولى في الأمر التكليفي :

(مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا)

(سورة النساء الآية : 85)

يعني أنت وفقت بين زوجين ، ثمار هذا الزواج في صحيفتك عملاً صالحاً ، وفقت بين شريكين ، أنت دللت إنساناً على طريق الهدى ، أية علاقة من الآخر ، أية علاقة مع الآخر من دون استثناء ، للذي سبب هذه العلاقة الإيجابية أجر عند الله كبير .

لذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام مخاطب الإمام علياً رضي الله عنه :

((فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى الله بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))

[أخرجه البخاري و مسلم عن سهل بن سعد الساعدي]

((خير لك من الدنيا وما فيها))

[تخريج أحاديث الإحياء للعراقي]

دللت إنساناً على خير .

((الدَّال على الخير كفاعله))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

حذرت إنساناً من شر فابتعد عن هذا الشر ، وفقت بين زوجين ، دللت إنساناً على زوجة صالحة مؤمنة طاهرة ، فهذا الزواج المبارك الميمون كل نتائجه الإيجابية في صحيفة هذا الذي كان سبب هذا الزواج .

لذلك :

((أفضل الشفاعات : أن تشفع بين اثنين في نكاح))

[أخرجه الطبراني عن أبي رهم السمعي]

أفضل شفاعة أن توفق بين أم وولدها ، بين أخ وأخيه ، بين شريك وشريكه ، بين مسلم ومسلم ، هذه أفضل شفاعة كأمر تكليفي .

وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا :

ولكن بالمقابل أيها الأخوة هناك إيجابيات، وهناك سلبيات.

(وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا)

(سورة النساء الآية : 85)

يتحمل إثماً ، أي أيُّ شرٍّ ظهر من هذه الشفاعة السلبية ، دللت إنساناً على معصية فانغمس بها ، ومات عاصياً لله ، بعيداً عن ربه ، فاستحق عذاب النار ، فهذا الذي دلّه على هذه المعصية سبب شقاء كبيراً . لذلك فماذا فعل نوبل الذي اخترع البارود ، جعل كل ثروته من أجل عمل إنساني لأنه أدرك أن هذا البارود سوف يسبب للبشرية متاعب لا تنتهي ، لذلك

(وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا)

(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً)

(سورة النساء)

قضية الشفاعة قضية خطيرة جداً فالشفاعة الحسنة لصاحبها نصيب منها و كذلك السيئة :

أيها الأخوة الأحباب ، قضية الشفاعة قضية خطيرة جداً ، فالمؤمن لحرصه على طاعة الله ، ولحبه للخير ، ولحرصه الذي لا حدود له على خير البشرية ، لا يقبل أن يكون سبباً لحصول مشكلة ، لا يقبل أن يبني مجده على أنقاض الآخرين ، لا يقبل أن يبني حياته على موتهم ، عزه على ذلهم ، أمنه على خوفهم ، غناه على فقرهم ، كل شفاعاته حسنة لا يدل إلا على الخير ، لا على الشر .

مثلاً : إنسان أفسد فتاة ، فكل أخطائها ، وكل مستقبلها المظلم ، في صحيفة الذي أفسدها ، شيء خطير جداً أن الله عز وجل يحاسب كل إنسان عن عمله ، وهذا في قوله تعالى :

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ)

(سورة يس الآية : 12)

الأمر التكليفي الخطير في موضوع الشفاعة أن هناك شفاعة حسنة لمن سببها ولمن كان وسيطاً بها ، هذا له نصيب منها ، له نصيب من الأجر .

لذلك هذه حقيقة بالدين رائعة جداً ، هذه التجارة مع الله ، أي عمل صالح دللت الناس عليه ، أو روجته في المجتمع ، أي عمل خيري ، أي مؤسسة خيرية ، أي مؤسسة دار أيتام ، مأوى عجزة ، معهد شرعي ، جمعية خيرية ، أي عمل تقوم به ينطوي على شفاعة بين اثنين في صحيفتك إلى أبد الآبدين ، وهذا من فضل الله عز وجل ، ومن كرمه ، هذه الشفاعة الحسنة لصاحبها نصيب منها ، لكن الشيء الخطير أن كل عمل سيء ، وأن كل إضرار بالناس وأن كل ترويج لمعصية ، وأن كل زواج بني على الفساد ، وأن كل كسب غير مشروع ، وأن كل ضلالة راجت بين الناس ، وأن كل وهم روجه أناس مكاسب مادية الآثار السلبية التي نتجت عن هذا الترويج ، وعن هذه الدلالة في صحيفة من سببها ، ومن دلّ عليها إلى يوم القيامة ، وهذا شيء مخيف جداً ، ونسأل الله جل جلاله أن يقينا من الآثار المدمرة للشفاعة السيئة .

من كان سبباً في خير فله أجره إلى يوم القيامة :

أيها الأخوة ، الله عز وجل يقول :

(مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)

(سورة إبراهيم)

الكلمة الطيبة تطير في الهواء ، تطير في الآفاق ، قد ينتفع بها أناس كثيرون ، والكلمة الخبيثة بالمقابل أيضاً تطير في الهواء ، الضلالات تنتشر عبر وسائل الإعلام ، الضلالات تنتشر عبر المطبوعات ، عبر المقابلات ، عبر الندوات ، هذه الضلالات كل من روجها ، وأشاعها بين الناس ، فانعكست فساداً، وانحرافاً ، ومعصية ، وبعداً ، وأصحابها هم مسؤولون عن أعمالهم ، وعن نتائج أعمالهم ، وهذا تؤكد الآية الكريمة :

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ)

أيها الأخوة ، في بعض الأحاديث الشريفة :

((من شرك في دم حرام بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه : آيس من رحمة الله))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

((من أعان ظالماً سلطه الله عليه))

[الديلمي في الفردوس بلا سند عن ابن مسعود]

هذا الموضوع خطير جداً ، يجب أن نعد للمليون قبل أن نكون وسطاء في شفاعة سيئة ، ويجب أن نبحث بكل ما نملك بجهد كي نوفق بين اثنين ، ندل على خير ، نشيع الخير في الناس ، هذه قضية متعلقة بقانون الشفاعة ، والشفاعة كما قلت في هذا اللقاء الطيب شفاعة تكوينية ،

(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)

وشفاعة تكليفية ، ومن كان سبباً في خير فله أجره إلى يوم القيامة .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (14-30) : قانون الحب
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 14-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون الحب :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم (قانون الحب)، الحب في الله ، والحب مع الله .

الحبّ في الله عين التوحيد والحبّ مع الله عين الشرك :

أيها الأخوة ، العلماء قالوا : الحب في الله عين التوحيد ، والحب مع الله عين الشرك ، والإنسان كما تعلمون كائن من أرقى الكائنات ، هو في الحقيقة عقل يدرك ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، غذاء العقل العلم ، وغذاء القلب الحب ، وغذاء الجسم الطعام والشراب .
وأي إنسان لا يجد رغبة في أن يُحِب ، أو أن يُحَب ليس من بني البشر ، لأن الله عز وجل ركبه كعقل وكقلب ، والله خاطب عقله ، وخاطب قلبه ، وفي بعض الآيات خاطب عقله وقلبه معاً بآية واحدة ، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)

(سورة الانفطار)

خاطب قلبه أولاً

(مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)

ثم خاطب عقله

(الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)

الله عز وجل خلق الإنسان ليسعده في الدنيا و الآخرة :

أيها الأخوة ، بادئ ذي بدء : يجب أن نعلم علم اليقين أن الله عز وجل خلقنا ليسعدنا ، قال تعالى :

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)

(سورة هود الآية : 119)

بل حينما قال الله عز وجل :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات)

العبادة معرفة بالله أولاً ، وطاعة له ثانياً ، وسعادة أبدية ثالثاً ، إذاً خلقنا ليسعدنا .

المحبوبية هي العلاقة الوحيدة التي أرادها الله عز وجل بينه وبين عباده :

شيء آخر : الله عز وجل هو خالقنا ، ومربينا ، ومسيرنا ، ومشيئته نافذة فينا ، كن فيكون ، زل فيزول ، ومع ذلك ما أراد أبداً أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة قهر ، أرادها أن تكون علاقة حب ، فقال :

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

(سورة المائدة الآية : 54)

أرادك أن تأتيه طائعاً ، أرادك أن تأتيه بمبادرة منك ، أرادك أن تحبه ، لذلك قال بعضهم : من أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه ، بل من أعجب العجب أيضاً أن تحبه ثم لا تطيعه ، إذاً حينما قال تعالى :

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

أراد الله أن تكون المحبوبية هي العلاقة الوحيدة بينه وبين عباده .

لذلك قال تعالى :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

(سورة البقرة الآية : 165)

أراد الله أن تكون المحبوبية هي العلاقة الوحيدة بينه وبين عباده ، لذلك قال تعالى

(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

انطلاق القرآن الكريم من التأكيد على حبّ الله ورفض الإكراه :

من هنا ينطلق القرآن الكريم من التأكيد على حب الله ويرفض الإكراه ، فيقول الله عز وجل :

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

(سورة البقرة الآية : 256)

فإذا كان خالق السماوات والأرض ، ومن بيده كل شيء ، ما أراد أن يكرهنا على اعتناق دينه ، أفيعقل لإنسان في الأرض أن يكره الخلق على دين معين ، هذه القضية قضية حرية ، والله عز وجل أعطانا الحرية ليثمن عملنا ، ولا قيمة لعملنا إلا إذا كنا أصحاب قيادة و إرادة حرة .

لذلك قال بعض العلماء الكبار : لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب ، ولو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب ، ولو تركهم هملاً لكان عجزاً في القدرة ، إن الله أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً .

الله عز وجل منح الإنسان نعماً كثيرة منها نعمة الإيجاد و الإمداد و الهدى و الرشاد :

إذاً أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة حب ، لكن الحب في الأصل لمن منحك نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهدى والرشاد .

أيها الأخوة ، نعمة الإيجاد :

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً)

(سورة الإنسان)

شيء آخر : الله عز وجل أعطانا نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، أمدنا بالهواء ، بالماء ، بالطعام ، بالشراب ، أكرمنا بزواج ، بأولاد ، كل هذه النعم منحة من الله عز وجل فلذلك أراد أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة حب ، من هنا ورد :

((يا داود ذكرهم بآلائي ونعمائي وبلائي))

[البيهقي عن ابن عباس]

أي ذكرهم بآلائي كي يعظموني ، وبنعمائي كي يحبوني ، وببلائي كي يخافوني .

من ادعى محبة الله عز وجل من دون دليل فدعواه لا قيمة لها إطلاقاً :

أيها الأخوة ، إذاً إلا أن الله سبحانه وتعالى ما قبل دعوى محبته إلا بالدليل ، فقال:

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ)

(سورة آل عمران الآية : 31)

إذاً أن يدعي الإنسان محبة الله من دون دليل ، هذه دعوى لا وزن لها إطلاقاً عند الله .

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيع

لـو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

* * *

الإعجاب السلبي في الدين لا يرفع الإنسان إلى طاعة الله ولا إلى عبادته :

لذلك الإعجاب السلبي في الدين ، الموقف البعيد عن الالتزام ، هذا لا يرفع الإنسان إلى طاعة الله ، ولا إلى عبادته ، لذلك قال تعالى :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا)

(سورة الأنفال الآية : 72)

لم يتحركوا ، لم يأخذوا موقفاً .

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا)

(سورة الأنفال الآية : 72)

أيها الأخوة ، كلمة ولي الله كلمة متداولة كثيراً ، وقد فسرها بعض المفسرين تفسيرات غريبة ، وبعيدة عن حقيقتها ، لكن التفسير السريع لولي الله رائع وواضح جداً ، قال تعالى :

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)

(سورة يونس)

حبّ الله هو الأصل وهذا الأصل له فروع:

الآن أيها الأخوة ، هناك شيء دقيق هو أن حبّ الله هو الأصل ، لكن هذا الأصل له فروع ، فمحبة أنبياء الله جميعاً الذين هم قمم البشر فرع من محبة الله ، من محبة سيد الأنبياء والمرسلين ، بل محبة سيد الأنبياء والمرسلين فرع آخر من فروع محبة الله عز وجل ، بل محبة أصحاب رسول الله جميعاً من دون استثناء فرع من محبة الله عز وجل ، بل محبة المؤمنين من بعثة هذا النبي الكريم إلى نهاية الدوران فرع أيضاً من فروع محبة الله عز وجل ، بل حبّ الأعمال الصالحة ، حبّ خدمة الخلق ، حبّ البذل والتضحية ، حبّ بيوت الله ، حبّ المساجد ، حبّ تلاوة القرآن ، هذه كلها فروع من محبة الله ، لذل قال العلماء : الحب في الله عين التوحيد فروع من محبة الله .

من أحبّ جهة لا ترضي الله فالطريق إلى الله ليس سالكاً :

أيها الأخوة الكرام ، اتضح من قبل أن الحب في الله عين التوحيد ، ولكن الشيء الخطير هو أن الحب مع الله عين الشرك ، هناك آية خطيرة جداً وهي قوله تعالى :

(قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)

(سورة التوبة)

يعني إذا أحببت جهة كائنة من كانت ، هذه الجهة ليست على ما يرضي الله ، بل هي ظالمة ، أحببتها لمصلحة تحققها من هذا الحب لمكسب أو لاتقاء شر ، هذا الحب يعد عين الشرك ، فالذي يحب إنساناً لا يطيع الله عز وجل ، لكنه قوي أو غني ، يحقق له مكاسب في الدنيا ، هذا الحب سماه العلماء حباً مع الله ، وهو عين الشرك ، أي أنك إذا أحببت جهة لا ترضي الله فالطريق إلى الله ليس سالكاً ، والدليل :

(فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)

من ذاق حلاوة الإيمان سعد بها في الدنيا والآخرة :

من هنا تتضح هذه الحقيقة من حديث شريف ، يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجدَ بهنَّ طعْمَ الإيمان : مَن كان اللَّهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك]

هنا الشاهد ، قد يفهم من هذا الكلام أنك إذا سألت مليار وخمسمئة مليون مسلم ألا تحب الله ورسوله أكثر من أي شيء ؟ الجواب : نعم ، ليس هذا هو المعنى ، المعنى : أن يكون الله في قرآنه ، والنبي عليه الصلاة والسلام في سنته ، في الأمر والنهي ، أن يكون الله في قرآنه أي في أمر القرآن ، وأن يكون النبي في سنته ، أحبّ إليك من مصالحك المتوهمة القريبة ، تضعها تحت قدمك ، وتؤثر طاعة الله عز وجل ، عندئذٍ تذوق حلاوة الإيمان التي من ذاقها عرفها ، ومن ذاقها سعد بها في الدنيا والآخرة، ومن ذاقها قدم الغالي والرخيص ، والنفس والنفيس ، وأصبح مؤمناً متألقاً كما يرضي الله ورسوله .

أيها الأخوة الكرام ، نحن مع موضوع خطير هو الحبّ في الله ، وهو عين التوحيد ، والحبّ مع الله وهو عين الشرك .

إذاً أرجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الصواب ، وأن نجعل من حبنا أداة للتقرب من الله عز وجل ، وألا يكون الحب حجاباً بيننا وبين الله .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (15-30) : قانون لقاء الله
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون لقاء الله عز وجل:

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم (قانون لقاء الله عز وجل)، لابدّ من مقدمة بسيطة تلقي ضوءاً على محور هذا اللقاء .

أساس الدين الاتصال بالله عز وجل :

أيها الأخوة الأحباب ، التجارة لها نشاطات لا تعد ولا تحصى ، بدءاً من شراء المحل التجاري ، إلى شراء المستودعات ، إلى مكتب الاستيراد ، إلى تعيين الموظفين ، إلى شراء البضاعة ، إلى توزيعها ، إلى جمع ثمنها ، إلى توزيع الأرباح ، نشاطات لا تعد ولا تحصى ، ولكن هل يمكن أن نضغط التجارة كلها بكلمة واحدة ؟ يمكن ، إنها الربح ، فإن لم تربح فلست تاجراً .
لو أنني أردت أن أقيس هذا المثل البسيط على الدين ، نشاطات المسلم لا تعد ولا تحصى ، يطلب العلم، يسافر ، يلقي محاضرة ، يقرأ كتاباً ، يؤسس جمعية ، يتصدق ، يصلي قيام الليل ، هذه النشاطات التي لا تعد ولا تحصى ، هل يمكن أن تضغط بكلمة واحدة ؟ أنا أقول : هذه الكلمة هي الاتصال بالله ، ما لم نتصل بالله لن نقطف من ثمار الدين شيئاً ، ما لم نتصل بالله يبقى الدين فلكلوراً ، عادات ، تقاليد ، خلفية إسلامية ، أرضية إسلامية ، نزعة إسلامية ، اهتمامات إسلامية ، عاطفة إسلامية ، تصور إسلامي ، مشاعر إسلامية ، لكن الدين شيء آخر ، الدين أساسه الاتصال بالله ، والإحسان إلى الخلق ، يقول الله عز وجل على لسان سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام :

(وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً)

(سورة مريم)

ثمار الدين الإسلامي تقطف من خلال الاتصال بالله تعالى :

لذلك حقيقة الدين الاتصال بالله ، كل ثمار هذا الدين تقطف من هذا الاتصال ، من هذا الاتصال تقطف الحكمة ، تقطف الكمالات التي استمدها المصلي من ربه في أثناء صلاته ، تقطف الحكمة ، والعلم ،

والتؤدة ، والراحة ، والسعادة ، والسكينة ، والحركة الناجحة ، والعمل الصالح ، وما إلى ذلك .

لذلك ما هو قانون الاتصال بالله ؟ ما هو قانون لقاء الله ؟ هنا مركز الثقل ، الله عز وجل يقول :

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ)

(سورة الكهف الآية : 110)

لولا أن النبي بشر ، تجري عليه كل خصائص البشر ، لما كان سيد البشر :

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ)

(سورة الكهف الآية : 110)

لقاء الله عز وجل ثمنه العمل الصالح :

ما ملخص هذا الوحي كله ؟ أن القرآن كله أراد الله أن يلخصه بكلمتين ،

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ
أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)

(سورة الكهف الآية : 110)

التوحيد فحوى دعوة الأنبياء جميعاً :

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)

(سورة الكهف الآية : 110)

هذه الآية أصل في قانون لقاء الله عز وجل ،

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً))

معنى ذلك أن لقاء الله عز وجل ثمنه العمل الصالح .

ذلك أن الإنسان مفطور ، ومجبول ، ومبرمج ، ومولف على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ وكمال وجوده ، وعلى حبّ استمرار وجوده ، سلامة وجوده في طاعة الله ، واستمرار وجوده في تربية أولاده ، ولكن كمال وجوده في الاتصال بالله ، وهذا الاتصال ثمنه العمل الصالح ، فكأن هذه الآية تبين قانون اللقاء مع الله عز وجل

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً)

من أقام أمر الله فيما يملك كفاه الله ما لا يملك :

أيها الأخوة الأحباب ، الله عز وجل ما كلفنا فوق طاقتنا :

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)

(سورة البقرة الآية : 286)

ما كلفنا أن نقف ، وأن نمنع الطغاة من أن يمارسوا هذه الضغوط ، ولكن كلفنا ما نستطيع ، الذي نستطيعه أن نقيم الإسلام في نفوسنا ، وفي بيوتنا ، وفي أعمالنا ، من خلال إقامة الإسلام في نفسي أولاً، وفي البيت ثانياً ، وفي العمل المهني ثالثاً ، لو فعل كل مسلم هذا لكان الحال غير هذا الحال .
أيها الأخوة الكرام ، هناك حقيقة دقيقة تقول : أقم أمر الله فيما تملك يكفك ما لا تملك ، أنت حينما تقيم أمر الله في نفسك ، وفي بيتك ، وفي عملك ، الله عز وجل يكفيك ما لا تستطيع أن تواجهه ، هذه حقيقة دقيقة وصارخة تؤكدها آية كريمة :

(بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)

(سورة الزمر)

يعني الإنسان خلال حياته المديدة حينما يتوفاه الله عز وجل تلخص أعماله كلها بكلمة واحدة ، يقول الناس : رحمه الله ، والذي عاش لإيذاء الناس ، وابتزاز أموالهم ، وانتهاك أعراضهم ، إذا مات يلخص عمله كله بكلمة واحدة ، يقول الناس : لا رحمه الله .

الولاء لله لا يكون إلا من خلال الاستقامة على أمره و القيام بالأعمال الصالحة :

أيها الأخوة الكرام ، لذلك قضية اللقاء مع الله ، الاتصال بالله هو جوهر الدين تماماً : لو عندك عشرات الآلات الكهربائية في البيت ، بدءاً من الغسالة ، الثلاجة ، المكواة ، المروحة ، المكيف ، لو جمعت في بيتك كل الآلات الكهربائية ، وليس في البيت كهرباء لا قيمة لها إطلاقاً ، عبء عليك ، تحتل مكاناً ، وهي ليس نافعة إطلاقاً .
لذلك كل نشاطات الدين إن لم يسرِ بها الاتصال بالله لا تنفع ، ولا تجدي ، وتصبح عبئاً ، وقد يملوا الناس تطبيق بعض قواعد الدين إن لم يكن هناك اتصال بالله .
فهذا اللقاء من أجل ما قانون الاتصال بالله ؟

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً))

سهل جداً أن يكون لك ولاء لجهة أرضية ، هذا الولاء لا يكلفك إلا أن ترفع صورة ، أو أن تبعث بكلام لطيف يؤكد انتماءك ، لكن الولاء مع الله يحتاج إلى استقامة ودقة ، ووقف دقيق عند حدود الله ، ألا تؤذي إنساناً ، لا بكلامك ، ولا بأعمالك ، ولا بمالك ، أنت حينما تؤمن بالله الإيمان الصحيح وتستقيم على أمره ، وتعلن ولاءك له تكون ملكاً ، ولا يمكن أن يقبل الله عز وجل إنساناً إلا إذا كان مستقيماً ، بنى حياته على العطاء لا على الأخذ ، ولا على إيذاء الناس .
أيها الأخوة ، إذاً الولاء لله يعني أن تستقيم على أمره ، وأن تعمل أعمالاً صالحة تقربك إليه .

العمل الصالح قرض لله عز وجل ثمنه المكافأة بسكينة و حكمة و تأييد :

لكن الذي يلفت النظر أن الإنسان كما قال الله عز وجل :

(بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ)

(سورة القيامة)

حتى أوضح هذا الأمر الدقيق ، هذا القانون المهم جداً في الوصول إلى الله لابدّ من مثل :

لو أن جندياً غراً التحق بقطعة عسكرية ، وهذا الجندي الغر يريد أن يقابل قائد اللواء شبه مستحيل أن يقابل هذا القائد ، لماذا ؟ لأنه في تسلسل ، يوجد أمامه سبعة عريف ، وسبعتين عريف أول ، وثمانية مساعد ، وثمانيتين مساعد أول ، ونجمة ، ونجمتين ، وتاج ونجمة ، وتاج ونجمتين ، في رتب عديدة جداً تنتهي بقائد هذا اللواء ، لا يمكن لهذا المجند الغر أن يصل لهذا اللواء إلا بحالة واحدة ، أن يرى ابن هذا اللواء يسبح ، وكان على وشك الغرق لينقذه ، بهذا العمل الطيب الذي أنقذ به ابن هذا اللواء بإمكانه أن يدخل عليه من دون استئذان ، ويرحب به ، ويضيفه ، ويشكره .

أيها الأخوة ،

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً))

قال تعالى :

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً)

(سورة البقرة الآية : 245)

أي عمل صالح تجاه أي مخلوق كائناً من كان ، هو قرض لله عز وجل ، والقرض لله عز وجل ثمنه المكافأة ، المكافأة بسكينة ، بسعادة ، بحكمة ، باستقرار ، بتوفيق ، بتأييد ، بحياة طيبة ،

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً)

ثمن الاتصال بالله الحقيقي المسعد أن يكون عملك صالحاً مع خلقه :

لذلك أيها الأخوة ، حقيقة التدين ليست في بيوت الله ، في بيت الله تذهب إلى بيت الله كي تتلقى تعليمات الخالق ، في خطبة جمعة ، أو في درس علم ، وتذهب ثانية إلى بيت الله كي تقبض الثمن بالاتصال بالله، ولكن حقيقة الدين في بيتك ، وفي عملك ، وفي تجارتك ، وفي كسب مالك ، وفي إنفاق مالك ، فإذا كان العمل صالحاً ، وكنت في خدمة خلق الله ، ولم تكذبهم ، ولم تظلمهم ، قال عليه الصلاة والسلام :

((من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن حرمت غيبته ، وكملت مروءته ، وظهر عدله ، ووجبت أخوته))

[سلسلة الأحاديث الضعيفة]

إذاً

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً)

ثمن الاتصال بالله الحقيقي المسعد أن يكون عملك صالحاً مع خلقه لأن :

((الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله))

[أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك]

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون التغيير :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم (قانون التغيير)

إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ : هذه الآية تعد أصلاً في التغيير :

أيها الأخوة الكرام ، المجتمعات الإنسانية تتطلع إلى التغيير ، تتطلع إلى تغيير الحال ، من التفرق إلى التجمع ، من التنافس إلى التعاون ، من الضعف إلى القوة ، ولكن هذا التغيير بيد من ؟ وثانياً ما أسبابه؟ ما القوانين التي تحكمه ؟ لو اطلعنا على القرآن الكريم لنبحث عن قانون يتحدث عن التغيير ، لوجدنا هذه الآية التي تعد أصلاً في التغيير ، الله عز وجل وكتابه كتاب عظيم يقول :

(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ)

(سورة فصلت الآية : 42)

((فَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى كَلَامِ خَلْقِهِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ))

[أخرجه الدرامي عن شهر بن حوشب]

الله عز وجل يقول :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

(سورة الرعد الآية : 11)

هذه الآية على إيجازها ، وعلى تماسكها ، تسطر حقيقة صارخة ، ثابتة ، قطعية ، لا تتبدل ، ولا تتغير، ولا تطور ، ولا تعدل ، ولا تلغى .

من أراد التغيير نحو الأحسن ينبغي عليه أن يبدأ من نفسه بالصلح مع الله عز وجل :

إن التغيير ينبغي أن يبدأ من الداخل ، وأي تغيير يأتينا من الخارج لا يسهم في حلّ مشكلاتنا ، ولا في تحسين أوضاعنا ، ولا في تماسكنا ، ولا في قوتنا ، إن الله عز وجل يقول

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

كيف ؟ :

لو تتصور أن إنساناً في كرة يحكمها ، هو وهذه الكرة ضمن كرة كبيرة لا يحكمها ، بل تحكمه قوى كبيرة تملك من أنواع الأسلحة والقوى ما تفرض رأيها عليه ، فكيف ينجو من هذه القوى ، أو كيف ينتصر عليها ؟ الله عز وجل يقول :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

هذه الكرة التي تملكها ، والذي يعد أمرك نافذ فيها ، هذه الكرة حينما تقيم فيها أمر الله ، يأتي الجواب: أقم أمر الله فيما تملك يكفك ما لا تملك ، إن أردنا التغيير نحو الأحسن ، نحو القوة ، نحو التماسك ، نحو الغنى ، نحو السمو ، ينبغي أن يبدأ التغيير من أنفسنا ، ينبغي أن يبدأ التغيير بصلحنا مع الله .

((إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السماء والأرض أن هنؤوا فلاناً فقد اصطلح مع الله))

[ورد في الأثر]

عظمة هذا الدين أنه دين جماعي فردي :

أيها الأخوة الكرام ، مشاريع كثيرة للتغيير لم تنجح ، لأنها لم تبدأ من الداخل ، من الذات ، من الخارج، أو من استيراد نظم هجينة عن واقعنا ، وعن قيمنا ، وعن مبادئنا ، فالله عز وجل

(لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

هذه الحقيقة الأولى .

هناك حقيقة أخرى : يمكن أن تكون هذه الحقيقة تشمل الأمة بأكملها ، أو تشمل أحد أفرادها ، وعظمة هذا الدين أنه دين جماعي فردي ، فإذا أخذت به الجماعة قطفوا ثمار هذا الدين ، إن لم تأخذ به الجماعة وأخذ به الفرد قطف وحده ثمار هذا الدين ، الأولى أن تأخذ الجماعة بأكملها بهذه الحقائق .

هذه الحقيقة أيها الإنسان على المستوى الفردي : إذا كنت في راحة نفسية ، إذا كنت في بحبوحة ، إذا كانت أسرتك متماسكة ، إذا كان دخلك يغطي حاجاتك ، إذا كان أولادك أبراراً ، إذا كانت سمعتك طيبة، هذا الوضع المريح الذي أنت فيه إن لم تغير فالله لا يغير اطمئن .

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا)

(سورة التوبة الآية : 51)

بطولة الإنسان لا أن يصل إلى المجد بل أن يبقى به :

إن لم تغير فالله لا يغير ، ينبغي أن تثق بالله عز وجل ، وأن تثق أن المستقبل وأنت مستقيم على أمر الله لا يخبئ لك إلا كل خير ، وهذا معنى قوله تعالى :

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا)

إن كنت في بحبوحة ، إن كنت في رفعة ، إن كنت في راحة ، لا تغير فالله لا يغير ، ابقَ متواضعاً . ودائماً وأبداً من السهل أن تصل إلى قمة المجد ، ولكن البطولة لا أن تصل ، بل أن تبقى ، لأن طرق المجد طريق وعر ، فيه أكمات ، فيه عقبات ، فيه صعوبات ، فيه صعود حاد ، ويمكن بعد جهد جهيد ، جهيد أن تصل إلى القمة ، ولكن البطولة لا أن تصل إليها ، بل أن تبقى فيها .

لذلك إذا كنت على خلق ، وعلى ورع ، وعلى استقامة ، وعلى طاعة ، وعلى عطاء ، وعلى أعمال صالحة ، لا تغير هذه الأعمال فالله عز وجل متكفل لك ألا يغير ما أنت فيه .

تجاوز مرحلة الهزيمة إلى مرحلة النصر لا يكون إلا بنصر الضعيف و تعليم الجاهل :

الآن يقابل هذه الحقيقة الرائعة حقيقة مرة : إن كنت أيها الإنسان في ضائقة ، في مشكلة ، في خلاف داخلي ، في ضعف سمعة ، في مشكلات خارجية ، إن كنت تعاني ما تعاني ، ارجع إلى نفسك لأن الله عز وجل يقول :

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ)

(سورة النساء الآية : 147)

إذاً إن لم تغير فالله لا يغير ، غيّر حتى يغير ، وإن لم تغير فالله لا يغير ، فهذه الآية على إيجازها قانون دقيق جداً تحتاجه الأمة بأكملها ، ويحتاجه الفرد المسلم ، إن كنت في راحة لا تغير فالله لا يغير ، وإن كنت في ضائقة غيّر حتى يغير ،

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

لذلك ورد في بعض الأحاديث :

((هل تُنصَرون وتُرزَقون إلا بضعفائكم))

[أخرجه البخاري والنسائي عن سعد بن أبي وقاص]

من أجل أن تنتقلوا من الضعف إلى القوة ، من أجل أن تتجاوزوا مرحلة الهزيمة إلى مرحلة النصر :

((هل تُنصَرون وتُرزَقون إلا بضعفائكم))

[أخرجه البخاري والنسائي عن سعد بن أبي وقاص]

فالضعيف ينبغي أن تطعمه إن كان جائعاً ، وأن تكسوه إن كان عارياً ، وأن تعلمه إن كان جاهلاً ، وأن تؤويه إن كان مشرداً ، وأن تنصفه إن كان مظلوماً ، إنك إن فعلت هذا كافأك الله بمكافئتين ، المكافأة الأولى أن ينصرك على من هو أقوى منك بحكم التوحيد ، والمكافأة الثانية مكافأة تكتيكية ، أنت حينما تنصر الضعيف تتماسك هذه الأمة ، ويصعب اختراقها .

إذاً :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

نصر الله له ثمن و ثمنه أن تنصر دينه و تقيم شرعه :

أيها الأخوة ، من الآيات التي تؤيد هذا الأصل في التغيير أن الله سبحانه وتعالى يقول :

(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)

(سورة محمد الآية : 7)

نصر الله له ثمن ، ثمنه أن تنصر دينه ، أن تقيم شرعه ، أن يكون الأمر عندك مهماً ، أما حينما ترى أن الله تخلى عن المؤمنين هو في الحقيقة أدبهم ، لأنه هان أمر الله عليهم فهانوا على الله ،

(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)

وأحياناً تكون شدة الأقوياء تأديباً لهؤلاء المذنبين الضعفاء ، قال تعالى :

(وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

(سورة الأنعام)

حقّ العباد على الله إذا هم عبدوه ألا يعذبهم :

أيها الأخوة ، لا تنسوا أن الله سبحانه وتعالى حينما يقول :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً)

(سورة النور الآية : 55)

الثمن :

(يَعْبُدُونَنِي)

(سورة النور الآية : 55)

لذلك حقّ العباد على الله إذا هم عبدوه ألا يعذبهم .

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

(سورة الأنفال الآية : 33)

منهجك مطبق فيهم ، إذاً هذه آية دقيقة جداً

(يَعْبُدُونَنِي)

تمكين الدين الإسلامي في الأرض لا يكون إلا بفهمه و التطبيق الصحيح له :

قال بعض العلماء في قوله تعالى :

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

(سورة الشعراء)

القلب السليم القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله ، والقلب السليم هو القلب الذي لا يصدق خبراً يتناقض مع وحي الله ، والقلب السليم هو القلب الذي لا يحتكم إلا لشرع الله ، والقلب السليم هو القلب الذي لا يعبد إلا الله .

أيها الأخوة ،

(وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ)

فإن لم يمكن دينهم معنى ذلك أن فهمهم لهذا الدين ، وتطبيقهم له ، ودعوتهم إليه لا ترضي الله عز وجل .

إذاً ينبغي أن نراجع أنفسنا ، والكرة في ملعبنا ، وفي أية لحظة نصطلح مع ربنا ، ننتصر على أعدائنا، وتتحسن أحوالنا ، ويغير ما بنا إن غيرنا ما بأنفسنا .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (17-30) : قانون الولاء والبراء
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 17-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون الولاء والبراء :

لا زلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم (قانون الولاء والبراء)وهذا موضوع دقيق جداً وخطير في الدين .

الولاء والبراء أحد أركان الدين و أصل من أصوله :

أنت من ؟ تنتمي لمن ؟ هل تنتمي لهذه الأمة ؟ إن كنت كذلك ينبغي أن يؤلمك ما يؤلمهم ، ينبغي أن يفرحك ما يفرحهم ، ينبغي أن تسعى جاهداً لحمل همومهم ، للتخفيف عنهم ينبغي أن تسعى جاهداً لتكون قوياً بين الأمم ، الولاء والبراء أحد أركان الدين ، الذي يعد أصلاً في الدين ، كي تتوضح الحقيقة نضرب هذا المثل :

إنسان له أب يحبه ، يحترمه ، ويقدره ، سمع قصة عن أبيه لا تليق بأبيه ، لأن ولاءه لأبيه يسعى إلى فهم الحقيقة ، يسعى إلى التدقيق ، لعلها قصة مفترات ، لعل قصة مبالغ بها ، لعلها قصة لم تقع أصلاً ، يسأل أباه ، يستوضح ، يأتي بالدليل ، شدة ولائه لأبيه يجعله يتريث في قبولها ، بل يسعى إلى نفيها مع الدليل ، لأنه يؤلمه أشد الألم أن يكون أبوه في هذا المستوى وهو يظنه بعيداً عن هذا المستوى ، ولاء هذا الابن لأبيه جعله يتريث ، ويبحث ويدرس ، ويعلل ، لأنه يحب أباه .

أما العدو حينما يسمع قصة مؤلمة عن إنسان يقبلها سريعاً من دون دليل ، بل يروجها ، بل يفرح لها .

هذه النقطة الدقيقة في حياة المؤمن ، المؤمن ولاؤه لأمته ، ولاؤه لدينها ، ولاؤه لمستقبلها ، يؤلمه ما يؤلمها ، يفرحه ما يفرحها ، يدافع عنها ، قد يسعى إلى تبرير سلبياتها لا مبالغة ولكن واقعاً ، قد يسعى إلى كشف الحقائق التي تخفى عن أعدائها ، هو يروج لماضيها الذي شرفت به .

بطولة الإنسان أن يكون ولاؤه لأمته و للمؤمنين :

أيها الأخوة ، موضوع الولاء والبراء موضوع دقيق هو موضوع الانتماء في الحقيقة ، فحينما ينتمي الإنسان لأمته فإذا ذهب إلى بلاد الغرب هناك إيجابيات ، وهناك سلبيات ، لا مانع من ذكر الإيجابيات،

ولكن الذي ينتمي لأمته يرى أيضاً السلبيات ، يرى الأشياء المؤلمة جداً ، فإذا عاد إلى بلده ذكر الإيجابيات والسلبيات ، أما هناك أناس انعتقوا من أمتهم ، وذهبوا إلى بلاد الغرب لا يرون إلا الفضائل، والدقة ، والنظام ، والتفوق ، والتقنية ، ويتعامون عن كل الرذائل التي صادفتهم هناك ، فإذا جاؤوا إلى بلدهم نسوا فضائل هذه الأمة ، نسوا تماسك الأسرة ، نسوا الرحمة التي بين أفرادها ، نسوا إيجابياتها ، وروجوا سلبياتها .

فالبطولة أن يكون لك ولاء لأمتك ، هذا الولاء لا يعني أن تسكت عن الخطأ ولكن يعني أن تحاول إصلاح الخطأ ، هذا الولاء لا يعني أن تنتقص من أعدائها بلا مبرر ولكن إذا كان هناك أخطاء فادحة عند أعدائها ينبغي أن تبينها ، من أجل التوازن ، فالولاء والبراء تؤكده آيات كثيرة في القرآن الكريم ، من هذه الآيات :

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

(سورة التوبة)

وهناك آية ثانية :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)

(سورة الممتحنة الآية : 13)

ليكن ولاؤكم للمؤمنين ، ليكن ولاؤكم لأمتكم ،

(لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)

على الإنسان أن يكون رجل مبدأ لا يُغيّر قناعته أبداً :

لذلك الإنسان حينما يكون رجل مبدأ ، حينما تحكمه القيم ، ويحتكم إليها ، لا يسخر منها ولا يسخرها ، حينما تحكمه القيم ، ويحتكم إليها ، ولاؤه للحق ، ولاؤه للمبادئ ، ولاؤه للقيم ، لا يباع ، ولا يشترى ، هو يسمى الآن رقماً صعباً ، وأي إنسان غيّر قناعته بمبلغ من المال مهما كان كبيراً سقط من عين الله ، وسقط من منظومة القيم الإنسانية .

أيها الأخوة الكرام ، مرة كان أبو حنيفة النعمان عند المنصور ، وعنده قاض من ألد أعدائه ، أراد هذا القاضي أن يحرجه حرجاً شديداً ، سأله إذا أمرني الخليفة بقتل امرئ أأقتله أم أتريث ؟ لأن ولاؤه للحق ألهمه الله إجابة رائعة ، قال له : الخليفة على الحق أم على الباطل ؟ فوقع هذا القاضي بحرج شديد ، قال : الخليفة على الحق ، قال له : كن مع الحق حيثما كان ، فلما خرج من مجلسه قال أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى : أراد أن يقيدني فربطته .

يعني المؤمن ولاؤه للحق ، لا ينطق بكلمة تسبب له متاعب مع الله عز وجل ، ولا ينطق بكلمة لا تكون واقعية ولا صحيحة .

ولاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى قومه و التماس الأعذار لهم :

أيها الأخوة الكرام ، هناك ولاء مؤلم جداً ، النبي عليه الصلاة والسلام وهو في الطائف ، يدعو أهل الطائف إلى الإسلام ، إلى سعادة الدنيا والآخرة ، كذبوه ، وسخروا منه وبالغوا بإيذائه ، فجاءه ملك الجبال ليمكنه أن ينتقم منهم ، قال ملك الجبال : أمرني ربي أن أكون طوع إرادتك :

((إن شئت أطبق عليهم الأخشبين ، قال : لا يا أخي ، اللهم اهدِ قومي ـ هذا الولاء الصعب ، هذا الولاء الذي معه الوفاء ـ اللهم اهدِ قومي إنهم لا يعلمون ، أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))

[متفق عليه عن عائشة]

معنى ذلك أنه انتمى إلى قومه ، ودافع عنهم ، والتمس لهم العذر ، إنهم لا يعلمون وتمنى أن ينجبوا أولاداً صالحين موحدين ، هذا الولاء الصعب الذي كان فيه النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان في قمة الكمال .

أيها الأخوة الكرام ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنا ـ تطبيقاً للولاء ـ ولا يأكُلْ طعَامَكَ إلا تَقِيّ))

[أخرجه أبو داوود والترمذي عن أبي سعيد الخدري]

أريد أن أنوه إلى أن علاقات العمل علاقات مشروعة ، ولكن العلاقات الحميمة الحميمة جداً هذه ينبغي أن تكون مع من تواليه بقلبك وقالبك .

أيها الأخوة الكرام ، مرة التقيت بإنسان ، له مكتب فخم جداً ، قال : إن عملي عمل قذر ، استغربت من هذه الكلمة ، يبدو أن عمله مبني على الإساءة للآخرين ، هذا العمل لا يؤكد انتماء الإنسان لأمته ، الإنسان حينما ينتمي لأمته يكون سبب خير لها ، سبب رشد لها ، سبب إكرام لها ، فالإنسان حينما يستخدم كأداة رخيصة تجاه مصالح أمته هو كمنديل مُسحت به أقذر عملية ثم يلقى في المهملات ، فالإنسان ينبغي أن يكون موالياً لأمته ولمجتمعه ولبلده ، حتى يكون ولاؤه للحق ، وحتى يكون ولاؤه لخير هذه الأمة .

على المؤمن أن يوالي المؤمنين و لو كانوا فقراء و يتبرأ من الكفار و لو كانوا أغنياء :

أيها الأخوة الكرام ، نحن مع آية دقيقة جداً ، أرجو الله سبحانه وتعالى ، أن يمكنني أن أوضحها لكم ، الله عز وجل يقول :

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)

(سورة الأنفال الآية : 72)

هذه حقيقة أولى ، أي ولاؤك أيها المؤمن للمؤمنين ، ولاؤك للمؤمنين ولو كانوا ضعافاً وفقراء ، وينبغي أن تتبرأ من أعداء الأمة ولو كانوا أقوياء وأغنياء ، هذا هو الولاء والبراء ، ثم يقول الله عز وجل في آية دقيقة جداً :

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا)

(سورة الأنفال الآية : 72)

أي أن الانتماء الحقيقي انتماء عملي ، الانتماء الحقيقي التزام ، أما هذا الإعجاب السلبي بالإسلام دون التطبيق لا يقدم ولا يؤخر .

من لم يجاهد بأمواله و نفسه في سبيل الله ستصيبه فتنة و شقاء كبير :

لكن الملمح الدقيق الدقيق في تتمة هذه الآية :

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)

(سورة الأنفال الآية : 73)

(إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ)

(سورة النساء الآية : 104)

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)

الآن دقق :

(إِلَّا تَفْعَلُوهُ)

(سورة الأنفال الآية : 72)

ضمير غائب مفرد .

(إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)

(سورة الأنفال)

أيها الأخوة ، من أدق ما فسر العلماء هذه الآية أن هذا الضمير يعود على الآية السابقة :

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا)

إن لم تؤمنوا ، وإن لم تهاجروا ، وإن لم تجاهدوا ، وإن تؤمنوا ، وإن لم تنصروا سوف تكون هناك فتنة ينتج عنها شقاء كبير ،

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)

الولاء والبراء من لوازم الإيمان :

أيها الأخوة الكرام ، من لوازم الإيمان الولاء والبراء ، من لوازم الإيمان أن توالي أخوانك المؤمنين ، ولو كانوا ضعافاً وفقراء ، تدافع عنهم ، تأخذ بيدهم ، تحمل همومهم وأن تتبرأ من أعداء الأمة ولو كانوا أقوياء وأغنياء .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (18-30) : قانون الدعاء
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون الدعاء :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم (قانون الدعاء)

الدعاء مخ العبادة :

أيها الأخوة ، الدعاء هو العبادة ، بل الدعاء مخ العبادة ، والله عز وجل يقول :

(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ)

(سورة الفرقان الآية : 77)

لولا أنكم تدعونه لا يعبأ بكم ، لماذا ؟ لأن الدعاء يعني أول ما يعني أنك مؤمن بوجود الله ، وإلا لما دعوته ، ما دمت مؤمناً بوجود الله فأنت تدعوه ، وأنت مؤمن أيضاً بأنه يسمعك ، بل إن الله جلّ جلاله إن تكلمت يسمعك ، وإن تحركت يراك ، وإن أضمرت شيئاً يعلمه ، تؤمن بوجوده ، و بأنه مطلع عليك، ظاهراً وباطناً ، ولولا أنك مؤمن أيضاً بقدرته .

(إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

(سورة الأحقاف)

وأمره :

(إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)

(سورة يس)

((ما شاءَ اللهُ كانَ ، وما لم يشأ لم يكن))

[أخرجه أبو داود عن بعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم]

وأن الله :

(فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)

(سورة البروج)

وكل شيء وقع أراده الله ، وكل شيء أراده الله وقع ، لو لم يكن الله جلّ جلاله أمره كن فيكون لما دعوته .

قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ : هذه الآية أصل في الدعاء :

أيضاً لولا أنك مؤمن برحمته ، وبأنه يحب عباده ، وبأنه يحب سلامتهم وسعادتهم لما دعوته ، إذاً هذه آية دقيقة جداً :

(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ)

يعبأ بكم إذا دعوتموه ، لأنكم إذا دعوتموه آمنتم بوجوده ، وبعلمه ، وسمعه ، وآمنتم بقدراته ، وآمنتم برحمته ، فأنت أيها الإنسان لا يمكن أن تدعو جهة ليست موجودة ، بل لا تدعو جهة لا تسمعك ، بل لا تدعو جهة ليست قديرة ، بل لا تدعو جهة لا تحبك .

إذاً هذه الآية أصل في الدعاء .

الله تعالى يحب الملحين بالدعاء :

أيها الأخوة الكرام ، كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ، فالآية الدقيقة هي قوله تعالى :

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)

(سورة غافر الآية : 60)

أي أنه ما أمرنا أن ندعوه إلا ليستجيب لنا ،

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)

هو ينتظر أن ندعوه ، يحب الملحين بالدعاء ، يحب من عبده أن يسأله شسع نعله إذا انقطع ، يحب من عبده أن يسأله ملح طعامه ، يحب من عبده أن يسأله حاجته كلها ، يحبنا أن ندعوه لأنه ينتظر دعاءنا ليسعدنا ويسلمنا في الدنيا والآخرة ، هذا معنى قوله تعالى :

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)

عدم وجود أي حجاب بين العبد و ربه :

لكن هناك آية دقيقة وهي أن الله سبحانه وتعالى يقول :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)

(سورة البقرة الآية : 186)

هناك آيات كثيرة ، فيها كلمة قل بين السؤال والجواب :

(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ)

(سورة البقرة الآية : 219)

من هذه الآية هناك عشرات ، إلا أن هذه الآية الوحيدة في كتاب الله ليس بين السؤال والجواب كلمة قل، أي ليس بينك أيها الإنسان وبين الواحد الديان وسيط ولا حجاب .

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)

(سورة البقرة الآية : 186)

شروط الدعاء المقبول :

أما شروط الدعاء :

1 ـ الاستجابة لله :

(فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي)

(سورة البقرة الآية : 186)

2 ـ الإيمان به :

أن يطبقوا منهجي .

(وَلْيُؤْمِنُوا بِي)

(سورة البقرة الآية : 186)

بعد الإيمان بي :

(لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

(سورة البقرة)

إلى الدعاء المستجاب ، إذاً تبين من هذه الآية أن شروط الدعاء أن تؤمن بالله أولاً ، وأن تستجيب له ثانياً ، عندئذٍ تعرف ماذا تسأله ، تسأله من خير الدنيا والآخرة إذاً :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

من اشتق من كمال الله عز وجل كمالاً تقرب به إليه كان مستجاب الدعوة :

أيها الأخوة ، يقول الله عز وجل :

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)

(سورة الأعراف الآية : 180)

يعني كأن الله سبحانه وتعالى أرشدنا إلى أحد الأسباب الفعالة في استجابة الله لدعائنا ، يعني الله عز وجل صاحب الأسماء الحسنى ، والصفات الفضلى ، فإذا التقطت من كماله كمالاً وتقربت به إليه فإنك عندئذٍ مستجاب الدعوة .

يعني الله رحيم فإذا اشتققت من رحمته رحمة رحمت بها عباده ، إن أردتم رحمتي فارحموا خلقي ، فرحمتك لعباده أحد الأسباب الفعالة في استجابة دعائك .

الله عز وجل عدل إذا كنت منصفاً في معاملة العباد فالله سبحانه وتعالى يستجيب لك ، هذا معنى قول الله عز وجل

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)

أي توصلوا بكمال مشتق من كمال الله ، اجعلوه وسيطاً بينكم وبين الله كي يستجيب دعاءكم .

الإخلاص في الدعاء عامل أساسي في الاستجابة لك :

أيها الأخوة الكرام ، الله عز وجل يقول :

(وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ)

(سورة غافر الآية : 65)

لابدّ من الإخلاص أن تدعوه قلباً وقالباً ، أن تدعوه بلسانك وبجنانك ، أن تدعوه ولا ترجو سواه ، أن تدعوه وأنت موقن بالإجابة ، أن تدعوه وأنت مؤمن أنه واحد لا شريك له ، بيده الأمر ، هو المعطي ، هو المانع ، هو الخافض ، هو الرافع ، هو المعز ، هو المذل هذا مما يفهم من قول الله عز وجل

(وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ)

آداب الدعاء :

1 ـ التضرع لله عز وجل و التذلل له أثناء الدعاء :

أيها الأخوة الأحباب ، الله جلّ جلاله يبين في بعض الآيات القرآنية آداب الدعاء الله عز وجل يقول :

(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

(سورة الأعراف)

أولاً يحبك أن تتضرع له ، أن تتذلل له ، لأنه إن خضعت له وتذللت يرفع شأنك ، ويعلي قدرك ، ويعزك ، من هنا كان من آداب الدعاء أن تدعوه متضرعاً ، متذللاً ، أن تمرغ جبهتك في أعتاب الله

عز وجل ، الله عز وجل مكافأة لك على عبوديتك لله عز وجل يعلي قدرك ويرفع ذكرك ، وينصرك على من هو أقوى منك .

2 ـ ألا ترفع صوتك بالدعاء :

أدب آخر من آداب الدعاء : ألا ترفع الصوت بالدعاء ، لأن الله عز وجل يسمعك لو دعوته بقلبك ، وهناك شاهد دقيق يقول الله عز وجل يتحدث عن سيدنا زكريا فيقول :

(إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً)

(سورة مريم)

يعني بإمكانك أن تدعوه بقلبك دون أن تحرك شفتيك ، فالله عز وجل يسمعك ويعلم ما في قلبك ، ويراك .

إذاً من آداب الدعاء التضرع أولاً وخفض الصوت بالدعاء ثانياً ، أما رفع الصوت ، والتفاصح ، والتقعر في اللغة ، فهذا لا يرضي الله عز وجل ، يريد قلباً خاشعاً يريد قلباً منيباً .

3 ـ أن تجمع بين الخوف و الرجاء أثناء الدعاء :

أدب آخر من آداب الدعاء ، أيها الأخوة الأحباب ، يقول الله عز وجل :

(وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً)

(سورة الأعراف الآية : 56)

أي ينبغي أن تجمع بين الخوف والرجاء ، لا أن تجعل الخوف يفضي بك إلى اليأس ، ولا أن تجعل من الرجاء سبباً لعدم استقامتك على أمره ، ينبغي أن تعبده خائفاً ، وأن تعبده طائعاً ، وقد ورد في بعض الآثار القدسية أن يا رب :

((أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ؟ قال : أحب عبادي إليّ تقي القلب ، نقي اليدين ، لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني ، وأحب من أحبني ، وحببني إلى خلقي ـ لكن الشاهد في تتمة هذا الأثر ـ قال: يا رب تعلم إني أحبك ، وأحب من يحبك ، فكيف أحببك إلى خلقك ؟ قال : ذكرهم بآلائي ، ونعمائي ، وبلائي ـ أي اجمع بين الخوف والرجاء ـ ذكرهم بآلائي كي يعظموني ، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني ، وذكرهم ببلائي كي يخافوني))

[الدر المنثور عن ابن عباس]

استجابة الله للمضطر و المظلوم و لو لم تتوافر فيهما شروط الدعاء لرحمته العظيمة :

أيها الأخوة الكرام ، حقيقة دقيقة جداً : هي أن شروط الدعاء ذُكرت في آيات كثيرة أن تؤمن بالله أولاً، وأن تستجيب له ثانياً ، وأن تدعوه مخلصاً ثالثاً ، وأن تخفض صوتك بالدعاء ، وأن يكون مع الدعاء تضرع ، وأن تدعوه راجياً ، وخائفاً ، هذه شروط الدعاء وردت في آيات القرآن الكريم ، ولكن رحمة الله العظيمة أن هذه الشروط لو لم تحقق في إنسان كان مضطراً إلى استجابة دعائه ، يقول الله عز وجل:

(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)

(سورة النمل الآية : 62)

المضطر يستثنى من شروط الدعاء ، الله عز وجل يستجيب له لا لأنه مؤهل بدعائه ، بل لأن الله عز وجل برحمته استجاب له ، أما الشيء الخطير هو أن الله عز وجل يستجيب أيضاً للمظلوم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

((اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً فإنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا ، وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عباس]

فالإنسان يجب أن يعلم علم اليقين أن المضطر ، وأن المظلوم يستجيب الله لهما ولو لم تتوافر فيهما شروط الدعاء .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون التيسير والتعسير :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم (قانون التيسير والتعسير)

محبة النفس البشرية للتيسير و كرهها للتعسير :

لاشك أن التيسير شيء محبب جداً للنفس البشرية ، ولا يؤلمها ، ولا يضرها كالتعسير ، فلذلك من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام :

((اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا))

[أخرجه ابن حبان عن أنس بن مالك]

ولكن هذا التيسير الذي يكون تارةً ، وذاك التعسير الذي يكون تارةً أخرى أليس له قانون ؟ أي علاقة ثابتة في القرآن الكريم كي نتعامل مع هذا القانون فنقطف ثمار التيسير ونبتعد عن نتائج التعسير ؟.

الآيتان التاليتان هما قانون التيسير والتعسير :

أيها الأخوة الكرام ، هذا القانون إنه قوله تعالى :

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)

(سورة الليل)

هاتان الآيتان هما قانون التيسير والتعسير ، وأي فهم آخر ، وأي وهم آخر ، وأي تصور آخر فهو باطل لا أصل له ، العوام لهم كلمات كثيرة في أسباب التعسير ، أو التيسير مثلاً في التعسير هذا الإنسان ما له حظ ، ما معنى الحظ ؟ هذا الإنسان قلب له الدهر ظهر المجن ، هذا الإنسان القدر يسخر منه ، هذه الكلمات التي لا معنى لها ، ولا تستند إلى حقيقة تلغيها هذه الآية الكريمة والتي بعدها :

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

ما الحسنى ؟ هي الجنة .

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)

(سورة يونس الآية : 26)

الحسنى الجنة ، فالذي صدق أنه مخلوق للجنة ، وأن الله سبحانه وتعالى جاء به إلى الدنيا ليتعرف إليه، وليتعرف لمنهجه ، ويطبق منهجه ، وليترقب إليه عندئذٍ يستحق جنة عرضها السماوات والأرض إلى أبد الآبدين ؟.

من اتقى أن يعصي الله و بنى حياته على العطاء استحق التيسير من الله تعالى :

الإنسان الذي آمن أنه مخلوق للجنة ماذا يفعل ؟ قال :

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى)

يتقي أن يعصي الله ، أولى خصائص هذا الإنسان الذي آمن بالحسنى أنه يتقي أن يعصي الله ، خوفاً من أن يغيب عن هذا الهدف الكبير ، والخصيصة الثانية له :

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى)

بنى حياته على العطاء ، يسعده أن يعطي ، يرى الفوز والنجاح في العطاء .

فلذلك من خصائص المؤمن الكبرى أنه يعيش ليعطي ، يعطي من ماله ، يعطي من علمه ، من وقته ، من جاهه ، قال تعالى :

(الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)

(سورة البقرة)

أي شيء آتاه الله لهذا المؤمن ينفقه في سبيل الله ، بل إن الله سبحانه وتعالى يقول :

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ)

(سورة القصص الآية : 77)

يعني الذي آمن أنه مخلوق للجنة ، فاتقى أن يعصي الله أي استقام على أمره ، وبنى حياته على العمل الصالح ، هذا حقق الهدف من وجوده ، حقق الهدف الكبير الذي خلق الإنسان من أجله ، فلذلك يستحق مكافأة لا تقدر بثمن ، إنها التيسير ، أموره ميسرة ، زواجه ميسر ، عمله ميسر ، مكانته عند الناس كبيرة ، الله عز وجل يحفظ له صحته ، يحفظ له أهله ، يحفظ له أولاده ، يدافع عنه ، يلهمه الخير .

كلٌّ ميسر لما خلق له :

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

وقد خُلق الإنسان لليسرى ، كلٌ ميسر لما خلق له ، أنت خلقت للسعادة .

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)

(سورة هود الآية : 119)

هذا هو قانون التيسير ، و أما كلمات الدهر قلب له ظهر المجن ، القدر يسخر منه ، هذا الإنسان ليس له حظ ، هذا شيء يتناقض مع هذا القانون الرائع الذي جاء في القرآن الكريم

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

سمِّ هذا التيسير التوفيق ، سمِّ هذا التيسير النصر ، سمِّ هذا التيسير التأييد ، سمِّ هذا التيسير الحفظ ، هذا كله يصب في خانة واحدة أن الله سبحانه وتعالى يقول :

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ)

(سورة النساء الآية : 147)

من أيقن بالدنيا واستغنى عن طاعة الله حبطت أعماله في الدنيا و الآخرة :

أما التعسير ، أما الإحباط ، أما الضياع ، أما السوداوية ، أما التشاؤم ، فتأتي من قانون التعسير ، قال تعالى :

(وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

كفر بالآخرة آمن بالدنيا ، والدنيا قوامها المال ، فالمال كل شيء ، فكسب المال من حلال أم حرام ، ولم يعبأ بطريقة كسبه ، وأنفقه على ملذاته لأنه آمن بالدنيا ، ولم يؤمن بالآخرة ، ولم ينقل اهتماماته إلى الدار الآخرة ، ألقاها في الدنيا .

الآن من أجل أن يستمتع بالحياة في أعلى درجة لابدّ من أن يعتدي على حقوق الآخرين .

(وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ)

(سورة المؤمنون)

(وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

كذب بالجنة ، وأيقن بالدنيا فاستغنى عن طاعة الله ، لم يطع الله عز وجل ، هو يريد الدنيا ، يريد متعها، مباهجها ، استغنى عن طاعة الله ، وبنى حياته على الأخذ ، هذا مقياس دقيق ، اسأل نفسك هذا السؤال المحرج ، ما الذي يسعدك أن تعطي أم أن تأخذ ؟ إذا كان يسعدك أن تعطي فأنت من أهل الآخرة ، أما إذا كان يسعدك أن تأخذ دائماً فأنت من أهل الدنيا ، فالإنسان حينما يكفر بالآخرة ويؤمن بالدنيا ، بالمناسبة أيها الأخوة ، ليس شرطاً أن تنطق بلسانك أنك لا تؤمن بالآخرة ، أحياناً لغة العمل أبلغ من لغة القول ، أنت حينما تنكب على الدنيا لتأخذ الأموال الطائلة بطريق غير مشروع ، حينما

تبني مجدك على أنقاض الآخرين ، حينما تبني حياتك على موتهم ، حينما تبني عزك على ذلهم ، حينما تبني غناك على فقرهم ، حينما تبني أمنك على قلقهم ، أنت بهذا لم تعبأ بمنهج الله ، ولم تؤمن بالآخرة ، بل لم تؤمن بحدود الله ،

(وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)

الله تعالى غني عن تعذيب عباده وما يسوق لهم الشدائد إلا ليعودوا إلى الطريق المستقيم:

لذلك هذا الإنسان الذي كذب بالحسنى ، وآمن بالدنيا ، واستغنى عن طاعة الله ، وبنى حياته على الأخذ بشكل مشروع ، أو غير مشروع هذا الإنسان يستحق التعسير لا التيسير ، لذلك هذا الذي يندب حظه تارةً ، ويندب ظروفه تارةً أخرى ، ليؤمن إيماناً دقيقاً أنه يدفع ثمن تفلته من منهج الله ، ويدفع ثمن بعده عن الدار الآخرة .

أيها الأخوة الكرام ، كل شيء وقع أراده الله ، وكل شيء أراده الله وقع ، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة ، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق ، الإنسان أحياناً يرفض التفسير التوحيدي لما يصيبه، يرفض تفسير السماء ، بل يقبل تفسير الأرض الشركي ، لكن حينما يقع في مشكلة ، ويقرأ قوله تعالى:

(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)

(سورة الشورى)

والله سبحانه وتعالى غني عن تعذيبنا لقوله تعالى

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ)

(وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً)

(سورة النساء)

بل إن الله سبحانه وتعالى ينتظر منا أنه إذا ساق لنا مصيبة أن نصحو من غفلتنا وأن نعود إلى ربنا .

(وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

(سورة الأنعام)

والظالم صوت الله ، ينتقم به ، ثم ينتقم منه ، وقد ورد في الأثر القدسي :

((أنا الله لا إله إلا أنا ، مالك الملوك وملك الملوك ، قلوب الملوك بيدي ، وإن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وإن العباد إذا عصوني حولت قلوبهم عليهم بالسخط والنقمة ، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ، وادعوا لهم بالصلاح ، فإن صلاحهم بصلاحكم))

[أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء]

من يفهم على الله سرّ الشدائد التي يسوقها له ينجو من عذاب الدنيا و الآخرة :

أيها الأخوة الكرام ، قانون التيسير والتعسير مهم جداً لحياة المؤمن ولكن لو الإنسان وقع في مشكلة آية واحدة تحل كل مشكلاته ، قال تعالى :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً)

(سورة الطلاق)

يكفي أن تتقي الله ، وأن تصطلح معه ، وأن تعود إليه ، وأن تعمل الصالحات تقرباً له ، عندئذٍ تقطف ثمار هذه العودة تيسيراً لأمورك ، وحلاً لمشكلاتك ، والله عز وجل ينتظرنا ، بل إن الذي نذوق من العذاب الأدنى من أجل ألا نصل إلى العذاب ، قال تعالى :

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

(سورة السجدة)

وحينما يفهم المؤمن على ربه سرّ هذه التصرفات ، وتلك الشدائد ينجو من عذاب الدنيا ، ومن عذاب الآخرة .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (20-30) : قانون التوبة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون التوبة :

لا زلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم (قانون التوبة)بل قوانين التوبة .

الله سبحانه وتعالى ما أمرنا أن نتوب إليه إلا ليتوب علينا :

أيها الأخوة الكرام ، العظام التي يتركب منها الهيكل العظمي قابلة للكسر ، لذلك هيأ الله لهذه العظام خصائص ، وهي النمو الذاتي ، وما على طبيب العظمية إلا أن يضع العظمة المكسورة في مكانها الصحيح ، ثم ينتظر أن يلتئم هذا العظم التأماً ذاتياً ، هذا من فضل الله علينا ، وهذا من النواحي المادية في خلق الإنسان .

ولكن الله سبحانه وتعالى علم أيضاً أن هذا الإنسان المخلوق الأول الذي كرمه الله ، وسخر له ما في السماوات والأرض ، منحه الكون كمظهر لأسماء الله الحسنى ، منحه العقل ، منحه الفطرة ، منحه المنهج ، منحه الشهوة ، منحه حرية الاختيار ، أعطاه كل مقومات التكليف ، الله عز وجل يعلم أن هذا الإنسان قد تضعف نفسه أحياناً ، وقد يستجيب لنداء غريزته أحياناً ، وقد تزل قدمه أحياناً .

لذلك كما أن الله سبحانه وتعالى صمم العظام التي إذا كُسرت تلتئم ذاتياً كذلك شرع لهذا الإنسان التوبة، فما أمرنا الله أن نتوب إليه إلا ليتوب علينا ، وما أمرنا أن تستغفره إلا ليغفر لنا ، وما أمرنا أن ندعوه إلا ليستجيب لنا ، من هنا شُرع باب التوبة .

التوبة مقوم من مقومات خلاص الإنسان من ذنوبه التي وقع فيها :

أيها الأخوة الكرام ، الله سبحانه وتعالى يقول :

(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً)

(سورة النساء)

إذاً إرادة الله أن نتوب إليه ، والله سبحانه وتعالى ما أمرنا أن نتوب إليه إلا ليتوب علينا ، لذلك يمكن أن ننطلق في قوانين التوبة ، من أن الله يحب التوابين ، من أن الله يحب العبد التائب ، بل إن الذي

يتوب إلى الله عز وجل كما ورد في بعض الأحاديث الله يفرح بتوبته .

((لله أفرح بعبده المؤمن من الضال الواجد ، والعقيم الوالد ، والظمآن الوارد))

[أخرجه ابن عساكر في أماليه عن أبي هريرة]

أيها الأخوة الأحباب ، لو تصورنا أنه ليس هناك توبة على الإطلاق ، فالإنسان إذا زلت قدمه ، وقع في خطأ ، وقع في معصية ، ولا توبة يستمرئ الخطأ ، ويتابع الخطأ بخطأ ، ويزيد مستوى الخطأ إلى أن يستحق هلاك الدنيا ، وعذاب الآخرة .

لذلك تقتضي رحمة الله عز وجل أن الله يعلم ضعف الإنسان أحياناً ، فشرع له باب التوبة ، لتكون التوبة حبل نجاة ، وشاطئ أمان ، ومقوم من مقومات خلاصه من ذنوبه التي وقع فيها .

فرحة الإله العظيم بتوبة عبده المؤمن :

أيها الأخوة ، شيء آخر : أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يصف لنا موقف الإله العظيم حينما يتوب عبده إليه ، ذكر قصة لطيفة أن أعرابياً ركب ناقته ، وعليها طعامه وشرابه ، بعد حقبة من السير شعر بالتعب ، فجلس ليستريح في ظل نخلة ، وأخذته سِنة من النوم ، فلما استيقظ لم يجد الناقة ، عندئذٍ أيقن بالهلاك ، أيقن بالموت المحقق ، فجلس يبكي ثم يبكي ، حتى أخذته سِنة من النوم ثانية ، فلما استيقظ رأى النافقة أمامه ، فاختل توازنه من شدة الفرح ، فقال : يا رب أنا ربك وأنت عبدي ، وقد نطق بكلمة الكفر ، لكن النبي عليه الصلاة والسلام لم يعلق على كلماته تلك ، بل قال : لله أشد فرحاً بتوبة المؤمن من ذاك البدوي بناقته .

لذلك الإنسان حينما يتوب إلى الله ، هو بالحقيقة يفعل عملاً يفرح الله به ، لأنه إذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنؤوا فلاناً فقد اصطلح مع الله ، من هنا قال الله عز وجل:

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)

(سورة الزمر الآية : 53)

عدم وجود أي وسيط بين العبد و ربه أثناء الدعاء :

أيها الأخوة الأحباب ، ملمح آخر من ملامح التوبة ، الله عز وجل يقول :

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ)

(سورة النساء الآية : 220)

(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ)

(سورة البقرة الآية : 212)

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ)

(سورة البقرة الآية : 222)

هناك أكثر من اثنتي عشرة آية في كتاب الله تبدأ بقول الله تعالى

(وَيَسْأَلُونَكَ)

وتأتي كلمة

(قُلْ)

وسيطاً بين السؤال والجواب ، لكن الذي يلفت النظر أن آية واحدة من سلسلة هذه الآيات ليست فيها كلمة قل ، فالله عز وجل يقول :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)

(سورة البقرة الآية : 186)

لم يقل قل ، استنبط العلماء من هذه الظاهرة أنه في آية واحدة لم نجد كلمة قل ، يدل ذلك على أنه ليس هناك حجاب بين العبد وربه ، بل ليس هناك وسيط بين العبد وربه .

من شروط التوبة الإيمان بالله و الاستجابة له :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

(سورة البقرة)

وكأن قانون التوبة أن تؤمن بالله أولاً ، وأن تستجيب له ثانياً ، عندئذٍ يتوب عليك من هنا قد يفهم بعضهم قوله تعالى :

(نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

(سورة الحجر)

غفور رحيم إذا عدتم إلى الله ، واصطلحتم معه .

ما من ذنب إلا وهو قابل لمغفرة الله عز وجل بشرط التوبة النصوح :

أيها الأخوة الأحباب ، الله عز وجل يقول :

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)

أي ما من ذنب مهما توهمته كبيراً إلا وهو قابل لمغفرة الله عز وجل ، ولكن بشرط أن تعود إليه تائباً ،

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)

ولكن بشرط :

(وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ)

(سورة الزمر الآية : 54)

لابدّ من العودة ، لابدّ من الإقلاع عن الذنب ، لابدّ من الندم ، من هنا قال عليه الصلاة والسلام :

((الندم توبة))

[أخرجه البزار والحاكم عن أنس بن مالك]

بل هناك من فصّل في هذا ، قال التوبة تحتاج إلى علم ، وإلى حال ، وإلى عمل ، بل إن هذا القانون ينطبق على علاقة الإنسان بما حوله ، لأوضح :

لو إنسان رأى أفعى ، إذا أدرك أنها أفعى ، وأن لدغتها قاتلة ، لابدّ من أن يضطرب ، فإذا اضطرب تحرك ، إما إلى قتلها أو من الهرب منها .

إذاً : هذا القانون يحكم العلاقة بين الإنسان وبين المحيط ، إدراك ، فحال ، فسلوك .

معرفة منهج الله عز وجل ضروري لتقييم العمل :

الإنسان حينما يطلب العلم ، ويعرف منهج الله ، يعرف في أي مكان هو من طاعة الله ، أي هل يمكن أن يعالج الإنسان ضغطه المرتفع إن لم يعلم أن معه ضغط مرتفع ؟ فمتى يتوب الإنسان من ذنبه ؟ إذا طلب العلم ، وعرف الحلال والحرام ، عندئذٍ أدرك أين هو من منهج الله عز وجل .

إذاً لابدّ من أن تعرف منهج الله حتى تقيّم عملك ، إذا قيّمته رأيت فيه أخطاءً كثيرة ، وتقصيرات كبيرة، عندئذٍ تفكر أن تتوب إلى الله عز وجل ، وعندئذٍ تتألم ، كنت في الإدراك ، فأصبحت في الانفعال ، والانفعال الصادق لابدّ من أن يقودك إلى سلوك .

لو أن إنساناً قال لإنسان : على كتفك عقرب شائلة ، بقي الإنسان هادئاً ، مرتاحاً ثم توجه إلى من قال له هذه الكلمة بالشكر والامتنان ، وقال : أرجو الله سبحانه وتعالى أن يعينني على مكافأتك على هذه الملاحظة .

أخوتي الكرام ، هل تصدقون بأن هذا الإنسان الذي بقي هادئاً مع هذه الكلمة سمع ماذا قال له هذا الأخ الكريم ؟ أبداً .

إذاً ما لم تدرك الحقيقة ، وتتعظ عند إدراكها ، وما لم تتحرك إلى الحل الأمثل بناءً على هذا الإدراك فلا تعد هذه توبة ، ولا يعد هذا سلوكاً مقبولاً عند الله .

باب التوبة مفتوح إلى يوم القيامة ما لم يغرغر الإنسان :

أيها الأخوة الكرام ، أبواب التوبة مفتحة إلى يوم القيامة ، ما لم يغرغر الإنسان .

(وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ)

(سورة النساء الآية : 18)

فرعون الذي قال :

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

(سورة النازعات)

فرعون الذي قال :

(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)

(سورة القصص الآية : 38)

حينما أدركه الغرق قال :

(آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ)

(سورة يونس الآية : 90)

فأجابه الله عز وجل :

(آَلْآَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ)

(سورة يونس الآية : 91)

باب التوبة مفتوح إلى يوم القيامة ، بشرط أن تصحو من غفلتك قبل فوات الأوان ، أما عند الموت ، أو عندما يحضر الموت عندئذٍ يغلق باب التوبة .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (21-30) : قانون معرفة الله
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون معرفة الله :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم (قانون معرفة الله)

أصل الدين معرفة الله :

الحقيقة الصارخة والدقيقة والمهمة : أن أصل الدين معرفة الله ، والإنسان إذا عرف الآمر وهو الله ، ثم عرف الأمر وهو المنهج ، تفانى في طاعة الآمر ، أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الآمر تفنن في التفلت من الأمر .
ولعل مشكلة المسلمين الأولى أنهم عرفوا الأمر ، لكن معرفتهم بالآمر ضعيفة لذلك تفننوا في التفلت من منهج الله عز وجل .
أيها الأخوة الكرام ، الآية التي هي أصل في معرفة الخالق ، المربي ، المسير ، الإله ، العظيم ، الآمر، هي قوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ)

(سورة النحل الآية : 104)

فكأن الطريق إلى الإيمان بالله أن تؤمن به من خلال آياته .

تقسيم العلماء آيات الله إلى أنواع ثلاثة :

1 – الآيات الكونية :

قسّم بعض العلماء الآيات التي هي علامات في طريق الهدى إلى أنواع ثلاثة ، آيات كونية ، هي خلق الله ، السماوات ، والأرض ، والجبال ، والسهول ، والأنهار ، والشمس ، والقمر ، والنبات ، والحيوان، والجماد ، وخلق الإنسان ، آيات الله عز وجل في الآفاق ، قال تعالى :

(سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

(سورة فصلت الآية : 53)

وخلق الإنسان هو جرم صغير ، ولكن انطوى فيه العالم الأكبر .

إذاً الآيات الأولى آيات كونية ، أساسها الآفاق والإنسان ،

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

2 ـ الآيات التكوينية :

هناك آيات أخرى ، هي آيات تكوينية أفعال الله ، أفعال الله آيات تكوينية ، خلق الله آيات تكوينية .

3 ـ الآيات القرآنية :

الآن كلام الله آيات قرآنية ، فالطريق إلى معرفته يمكن أن يكون سالكاً من خلال آياته الكونية ، والتكوينية ، والقرآنية ، ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة .

أيها الأخوة الكرام ، كلنا يعلم أن العالم الكبير أينشتاين وصل إلى حقائق قلبت مفاهيم الفيزياء ، من أبرز هذه الحقائق وصل إلى سرعة الضوء ، إلى السرعة المطلقة في الكون ، إنها سرعة الضوء ، ولكن عقد مؤتمر للإعجاز العلمي الخامس في موسكو ، وقد ألقيت في هذا المؤتمر محاضرة دقيقة جداً حول سرعة الضوء ، فكان من حقائق هذه المحاضرة أن الله سبحانه وتعالى يقول :

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

(سورة الحج)

والعرب تعد السنة القمرية ، والقمر يدور حول الأرض دورة كل شهر وبحساب بسيط :

لو وصلنا خطاً بين مركز الأرض ومركز القمر ، هذا الخط نحسبه سريعاً من خلال نصف قطر الأرض ، مع نصف قطر القمر ، مع المسافة بين الأرض والقمر ، هذا الخط هو نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض ، لو ضربنا هذا الرقم باثنين ، لكان القطر ، لو ضربنا بالبي 3.14، لكان المحيط .

إذاً نعرف محيط الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض ، لو ضربناه بـ12 لكان في العام ، لو ضربناه في ألف عام فالجواب بحساب بسيط ، بآلة حاسبة ، مع معطيات دقيقة يمكن أن نحسب كم هي المسافة التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام ، المفاجأة التي قد لا تصدق أننا إذا قسمنا هذه المسافة ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام على ثواني اليوم ، ثواني اليوم ستون ، بستين ، بأربع وعشرين ، لكانت المفاجأة الصاعقة أن الجواب هو سرعة الضوء الدقيقة ، 299 652 ، هذه السرعة ، سرعة الضوء التي تعد السرعة المطلقة في الكون من أين جئنا بها ؟ يعني

ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام ، يقطعه الضوء في يوم واحد ، لو قسمنا على ثوان اليوم لكانت السرعة التي تنتج عن هذا التقسيم سرعة الضوء ،

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

آيات الكون آيات دالة على عظمة الله :

لكن هناك آية ليس فيها مما تعدون :

(فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)

(سورة الحج)

قالوا هذه سرعة الملائكة .

(تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)

(سورة الحج)

أيها الأخوة الكرام ، آيات الكون آيات دالة على عظمة الله ، آيات الكون لا تعد ولا تحصى .

الله عز وجل أتقن كل شيء صنعه :

أيها الأخوة ، من هذه الآيات :

(سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

الله عز وجل يقول يخاطب الإنسان :

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ)

(سورة البلد)

لقد خلق الله في العين الطبقة الخارجية ، هي طبقة القرنية ، طبقة شفافة ، وكيف كانت شفافة ؟ لأن كل الأنسجة في الجسم تتغذى عن طريق الأوعية الشعرية ، فلو غُذيت هذه الطبقة القرنية في العين عن طريق أوعية الشعر الدقيقة للدم لرأينا ضمن شبكة ، لأن خلق الله متقن .

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

(سورة التين)

إذاً تتغذى القرنية في العين بطريقة فريدة ، تسمى هذه الطريقة التغذية عن طريق الحلول ، أي أن الخلية الخارجية تأخذ غذاءها ، وغذاء جارتها ، وتنقله عبر الغشاء الخلوي ، صنع من ؟ دقة من ؟ وأن في شبكية العين في الميليمتر ، وقبل أن أقول الرقم إن أحدث آلة للتصوير احترافية ورقمية ، فيها في الميليمتر الواحد عشرة آلاف مستقبل ضوئي ، أما العين فيها بالميليمتر الواحد مئة مليون مستقبل

ضوئي ، لذلك :

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)

(سورة النمل الآية : 88)

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

(سورة فاطر الآية : 28)

هذه العين فيها ماء ، والإنسان حينما يسافر إلى بلاد باردة هناك الحرارة سبعون تحت الصفر ، بإمكانه أن يغطي رأسه ، ويرتدي الجوارب الصوفية ، والقفازات في يده والمعطف ، والألبسة الداخلية الصوفية ، ولكن ليس بالإمكان أن يغطي عينيه ، إذاً لابدّ لمن يقطن في هذه البلاد من أن يفقد بصره ، لأن السبعين تحت الصفر تجمد ماء العين ، ويفقد الإنسان البصر ، من أودع في ماء العين مادة مضادة للتجمد ؟

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

حتى يتبين لهم أنه الحق .

آيات الله عز وجل تدل على سر الوجود و غايته :

إذاً الآيات الكونية هي خلق الله عز وجل ، وهي مبثوثة في الآفاق ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد ، والكون كله ينطق بوجود الله ، ووحدانيته ، وكماله ، بل إن الكون قرآن صامت ، وإن القرآن كون ناطق ، وإن النبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي ، هذه الآيات في خلق الله ، فماذا في أفعال الله ؟ الآيات التكوينية ؟

باخرة عملاقة صنعت في مطلع هذا القرن ، وقد جاء في نشرتها أن القدر لا يستطيع إغراق هذه السفينة ، إنها التاي تنك ، لكن فعل الله عز وجل كان درساً قاسياً لهذا التطاول على الذ ات الإلهية فغرقت في أول رحلة لها بين بريطانيا وأمريكا .

أيها الأخوة الأحباب ، هذه آية من آيات الله التكوينية ، أفعاله ، وهذا المرض العضال الإيدز الذي تحدى العالم كله ، الذي هو بسبب الانحراف والشذوذ آية من آيات الله أفعاله .

من عرف الله عز وجل عرف كلّ شيء :

أيها الأخوة ، الله عز وجل نصب الآيات الكونية كي نتفكر بها .

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)

(سورة آل عمران)

ونصب الآيات التكوينية لننظر بها ، إذاً هناك آيات كونية ، هناك آيات تكوينية ، والآيات القرآنية هي تدلنا على سرّ الوجود ، وغاية الوجود ، والأمر بالعبادة ، وماذا بعد الموت .

إذاً إن أردنا أن نعرف الله فينبغي أن نتفكر بآياته الكونية ، وأن ننظر إلى أفعاله آياته التكوينية ، وأن نتدبر القرآن فهو آياته القرآنية ، وحينما نعرف الله نعرف كل شيء .

((ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون النية الحسنة :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم(قانون النية الحسنة)

علة وجود الإنسان في الأرض أن يعبد الله والعبادة نوعان عبادة القلب وعبادة الجوارح :

أيها الأخوة ، الحديث الأصل في هذا الموضوع قول النبي صلى الله عليه وسلم :

((إنما الأعمال بالنيات))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عمر بن الخطاب]

ولكن بادئ ذي بدء : ينبغي أن نعلم أن علة وجود الإنسان في الأرض أن يعبد الله ، والعبادة في حقيقتها طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

العبادة نوعان : عبادة الجوارح ، وعبادة القلب ، عبادة الجوارح أن تنصاع الجوارح لمنهج الله ، طاعة ، والتزاماً ، ولكن عبادة القلب الإخلاص لله .

فالعمل لا يقبل عند الله إلا إذا كان خالصاً وصواباً ، خالصاً ما ابتغي به وجه الله ، وصواباً ما وفق السنة ، فكأن النية الحسنة التي وراء العمل تقيّمه ، بل إن قيمة العمل الصالح تتحدد قطعاً بنيته .

((إنما الأعمال بالنيات))

أما الآية الأصل في هذا الموضوع قوله تعالى :

(أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً)

(سورة الزمر الآية : 2)

عبادة القلب الإخلاص ، عبادة الجوارح الانصياع ، لذلك الحديث الشهير :

((إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ـ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ـ ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصِيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه))

لذلك بعض الأشخاص أحب امرأة من المدينة المنورة ، فاشترطت عليه من أجل أن تقبل بالزواج منه أن يهاجر إليها ، فهاجر إليها ، فهذا هجرته إلى امرأة لا إلى دين الله ولا إلى الشرع الحكيم .

أصل العمل النية الطيبة :

أيها الأخوة الكرام ، أصل العمل النية الطيبة ، لكن هذه النية لا تكون تقليداً ، النية الحسنة محصلة معرفة الله ، محصلة طاعته ، محصلة جهاد النفس والهوى ، محصلة الالتزام بأمره ، محصلة كل أعماله ، تتوجها هذه النية الحسنة ، أما أن نقلد نية حسنة ونحن لا نملك مقوماتها ، هذا شيء مستحيل . على كلٍ بشكل أو بآخر القلب عبادته النية الحسنة ، عبادته الإخلاص ، ولكن قد يسأل أحدكم : ما علامات الإخلاص ؟ قضية داخلية ، قضية لا تظهر ، قضية يعاني منها القلب ما يعاني .

الإخلاص لله عز وجل له علامات واضحة منها :

1 – أن يكون باطن الإنسان كظاهره :

كيف نعرف ما إذا كنا مخلصين ، أو غير مخلصين ، العلماء قالوا : عملك الصالح ، عباداتك إذا تساوت في خلوتك وفي جلوتك ، فهذه علامة طيبة لإخلاصك ، العبادات ، والأعمال الصالحة ، لا تتأثر لا أمام الناس ، ولا في خلوتك ، إن كانت خلوتك كجلوتك ، وإن كانت سريرتك كعلانيتك ، وإن كان سرك كجهرك ، وإن كان باطنك كظاهرك ، العمل هو هو ، الورع هو هو ، الاستقامة هي هي ، ما دامت الأعمال والعبادات متساوية في سرك كجهرك فهذه علامة نيرة على إخلاصك ، هذه علامة .

2 ـ عمل الإنسان لا يتأثر ولا يزيد ولا ينقص في المدح أو الذم :

علامة ثانية : حينما لا يتأثر العمل لا بالمديح ، ولا بالذم ، إنك تبتغي وجه الله .

(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً)

(سورة الإنسان)

فلذلك المخلص لا يتأثر عمله لا بثناء الناس عليه ، ولا بذم الناس له ، هو يبتغي بهذا العمل وجه الله .

استجداء المديح يضعف شخصية الإنسان بسبب عدم الإخلاص :

لذلك أحد أسباب قوة شخصية المؤمن أنه لا يعلق أهمية على مديح الناس ، ولا على ذمهم ، مع الأولى أن الإنسان ينبغي أن يبتعد عن كل شبهة ، وينبغي ألا يورط نفسه بسمعة هو بريء منها ، من عرف

نفسه ما ضرته مقالة الناس به ، فحينما لا يتأثر العمل لا بمديح الناس ولا بذمهم هذا دليل الإخلاص ، وهذا يورث قوة الشخصية .

هناك أناس كثيرون حينما يقومون بعمل يستجدون المديح ، فحينما يستجدون المديح تضعف شخصيتهم، لأنه بعيد عن الله عز وجل ، يبتغي من هذا العمل السمعة والرياء ، إذاً هو يدعو الناس إلى أن يثنوا على عمله ، فاستجداء المديح يضعف شخصية الإنسان وهذا بسبب عدم الإخلاص ، فإذا كنت مخلصاً لا تعبأ أأثنى الناس عليك ، أو لم يثنوا ، سيان عند الله ، وعند الناس .

3 ـ من ثمار الوصول إلى الله السكينة التي يمنحها الله للمؤمن :

أيها الأخوة ، علامة ثالثة ، الأولى أن يستوي العمل في السر والجهر ، والثانية أن يستوي العمل في المديح وفي الثناء ، أو في عدم المديح ، وعدم الثناء ، ولكن العلامة الثالثة :

أنك إذا كنت مخلصاً أورثك إخلاصك سكينة تسعد بها ولو فقدت كل شيء ، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء ، مستحيل وألف ألف مستحيل حينما يرتفع عملك إلى الله مع إخلاصك ، حينما تبتغي وجه الله، حينما تؤثر طاعة الله ، حينما لا يعنيك أن تتحدث للناس عن هذه الأعمال فأنت مخلص ، إذاً مكافأة الله لك أنه يلقي في قلبك سكينة تسعد بها أيما سعادة ، بل إن هذه السكينة التي ألقاها الله في قلب المخلص لو وزعت على أهل بلد لكفتهم .

إذاً عبادة القلب الإخلاص ، والإخلاص له علامات واضحة ، بل إن الإخلاص يهب المؤمن قوة الشخصية ، وحكمة بالغة لو وزعت على أهل بلد لكفتهم .

من بدأ بعمل و لم يستطع أن ينهيه كتب الله له الأجر كما لو أنه أكمله :

أيها الأخوة ، من علامات الإخلاص أيضاً ، أو من خصائص الإخلاص أنك إذا بدأت بعمل ، وحالت ظروف بينك وبين أن تنهيه كتب الله لك الأجر كما لو أنك أكملته ، هذا شيء رائع جداً ، هذا الشيء لا يطبق في علاقات الناس ، هذا الشيء تؤكده هذه النصوص الرائعة ، الله عز وجل يقول :

(وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)

(سورة النساء الآية : 100)

في عالم الدنيا ، وفي عالم الناس لا تنال الأجر إلا بالإنجاز ، لكن عند الله عز وجل يكفي أنك بدأت بعمل ، وكنت فيه مخلصاً فوصلت إلى النهاية ، أو لم تصل ، الأجر هو هو ، وهذا من كرم الله جلّ جلاله .

النية الطيبة تحول العادات إلى عبادات والنية السيئة تحول العبادات الصرفة إلى سيئات :

أيها الأخوة ، الأعمال تستوي في ظاهرها ، وتختلف في نواياها ، أضرب على ذلك مثلاً :

إنسان يمشي في الطريق ، وجد في الأرض ليرة ذهبية ، فانكب عليها وأخذها ووضعها في جيبه ، وصورناه ، إنسان آخر وضعنا في الطريق ليرة مشابهة للأولى ، فانكب على هذه الليرة وأخذها وصورناه ، لو عرضنا الصورتين ، الصورتان متشابهتان مئة بالمئة لو أن الأول في نيته أن يبحث عن صاحبها ، لكان عمله صالحاً ، والثاني في نيته أن يأخذها لكان عمله سيئاً ، إذاً قد تتشابه صور العمل ، وقد تختلف النوايا بين حسنة وبين سيئة .

مثل آخر : إنسان قدم أرضاً لبناء مسجد ، هذا عمل عظيم ، ومحسن كبير ، إنسان جاء من يهمس في أذنه أنك إذا تبرعت بأرض لمسجد ربما اضطرت البلدية لتنظيم أرضك ، وجعلها مقاسم مقاسم ، عندئذٍ ترتفع أسعارها ، هو لا يعنيه موضوع الجامع إطلاقاً أما أمام الناس قدم أرضاً لمسجد ، أما الأول والثاني في الظاهر أعمالهما متشابهة تماماً لكن العمل تحكمه النية .

أيها الأخوة الكرام ، بل إن النوايا الطيبة تحول العادات إلى عبادات ، فالمؤمن عاداته ، أي أكله ، وشربه ، وثيابه ، وحركته ، وزياراته كلها عبادات ، لكن غير المؤمن تعد عباداته التي يرائي بها الناس سيئات ، فبالنية الطيبة تتحول العادات إلى عبادات ، وبالنية السيئة تتحول العبادات الصرفة إلى سيئات .

أيها الأخوة الكرام ، إذاً أبخل الناس من بخل بنية طيبة يسأل الله بها عملاً صالحاً يقربه إليه .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون الالتفاف والانفضاض :

لا زلنا في قوانين القرآن ، والقانون اليوم (قانون الالتفاف والانفضاض)

من آمن بالآخرة و نقل اهتماماته إليها لابدّ له من عمل يصلح للعرض على الله :

الإنسان أيها الأخوة خُلق لجنة عرضها السماوات والأرض ، خُلق ليسعد إلى أبد الآبدين ، خُلق لينعم بالقرب من رب العالمين ، هذه الجنة لها ثمن ، ومن طلب الجنة من دون عمل فهذا ذنب من الذنوب ، ما ثمن الجنة ؟ أن يأتي الله بك إلى الدنيا ، وأن تتعرف إليه من خلال الكون الذي ينطق بوجود الله ، ووحدانيته ، وكماله ، بل إن الكون مظهر لأسماء الله الحسنى ، وصفاته الفضلى ، فإذا تعرفت إلى الله ، وتعرفت إلى منهج الله ، واستقمت على أمر الله عز وجل يمنحك من كمالاته .

ودائماً وأبداً أقول : مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى ، فإذا أحبّ الله عبداً منحه خلقاً حسناً .

إذاً : الإنسان الذي آمن بالآخرة ، وآمن أنه مخلوق للجنة ، ونقل اهتماماته إلى الدار الآخرة ، لابدّ له من عمل يصلح للعرض على الله ، لابدّ له من عمل صارخ يكون وسيلة للقرب من الله .

اعتماد الله عز وجل على قيمتي العلم و العمل للترجيح بين البشر :

لذلك الله عز وجل في قرآنه الكريم لم يعتمد الصفات التي يتفاضل بها بني البشر ، بنو البشر يرجح بعضهم بعضاً بقيمة المال ، بقيمة القوة ، بقيمة الذكاء ، بقيمة الوسامة ، لكن الله سبحانه وتعالى جعل مرجحين اثنين لا ثالث لهما ، المرجح الأول هو العلم فقال تعالى :

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

(سورة الزمر الآية : 9)

وقال أيضاً :

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)

(سورة المجادلة الآية : 11)

وقال أيضاً :

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

(سورة الأنعام الآية : 132)

هذا القانون قانون الالتفاف والانفضاض ، يعني من ؟ يعني المؤمن الذي عرف الله ، وعرف منهجه ، وأراد أن يتقرب إليه .

الدعوة إلى الله عز وجل أعظم عمل على الإطلاق :

أعظم عمل على الإطلاق من دون استثناء هو الدعوة إلى الله ، لقول الله عز وجل :

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(سورة فصلت)

أي ليس في بني البشر إنسان أفضل عند الله

(مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

الدعوة إلى الله فرض عين في حدود ما تعلم ومع من تعرف :

أيها الأخوة الكرام ، هذه الدعوة إلى الله هي فرض عين ، وفرض كفاية ، فرض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الكل ، فرض الكفاية أن يتبحر الإنسان في العلم الشرعي ، وأن يتعمق فيه ، وأن يتفرغ له ، وأن يملك الحجج والبراهين ، ورد كل الشبهات ، هذه الدعوة إلى الله بهذا المستوى فرض كفاية ، إذا قام بها البعض سقطت عن الكل ، ولكن الدعوة إلى الله التي هي فرض عين دعوة من نوع آخر ، هو أن تدعو إلى الله في حدود ما تعلم ، ومع من تعرف ، ليس غير ، في حدود ما تعلم ، ومع من تعرف ، هذه الدعوة تؤكدها الآية الكريمة :

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ)

(سورة العصر)

فالتواصي بالحق ربع النجاة ، بل إن الله سبحانه وتعالى حينما يقول :

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)

(سورة يوسف الآية : 108)

فالذي لا يدعو إلى الله على بصيرة ، وقالوا على بصيرة بالدليل والتعليل ليس متبعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا لم يكن متبعاً فهو لا يحب الله لقوله تعالى :

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ)

(سورة آل عمران الآية : 31)

أي صلة بالله عز وجل من ثمار هذه الصلة اشتقاق الكمال من الله تعالى :

أيها الأخوة الكرام ، وصلنا إلى القانون الذي يحتاجه الدعاة إلى الله ، يحتاجه أي إنسان يحتل منصباً قيادياً ، يحتاجه الأب ، تحتاجه الأم ، يحتاجه المعلم ، يحتاجه رئيس الدائرة ، يحتاجه مدير المستشفى ، يحتاجه رئيس الجامعة ، يحتاجه أي إنسان يحتل منصباً قيادياً ، متى تنجح باختصاصك ؟ حينما يلتف الناس حولك ، حينما يحبونك ، متى تنجح في تحقيق أهدافك ؟ حينما يتطلع الناس إليك بعين المحبة والتقدير .

إذاً متى يلتف الناس حولك ؟ ومتى ينفضون ؟ وهذا محور هذا اللقاء الطيب ، بل محور القانون الذي نسميه قانون الالتفاف والانفضاض ، ما الذي يحكم هذا القانون ؟ يحكم هذا القانون هذه الآية الكريمة قال تعالى :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

(سورة آل عمران الآية : 159)

أي بسبب رحمة استقرت في قلبك يا محمد كنت ليناً لهم ، أي أن الإنسان إذا اتصل بالله اكتسب منه الرحمة ، إن اتصلت بالرحيم تشتق منه الرحمة ، إن اتصلت بالحكيم تشتق منه الحكمة ، إن اتصلت بالقوي تصبح قوياً لا تلين ، ولا تتضعضع ، ولا تتطامن ، بل تكون قوياً تأخذ حقك بشكل واضح صريح .

إذاً إن اتصلت بالحكيم تكون حكيماً ، بالرحيم تكون رحيماً ، بالقوي تكون قوياً ، بالعدل تكون منصفاً ، فأي صلة بالله عز وجل من ثمار هذه الصلة اشتقاق الكمال ، فالآية التي هي قانون الالتفاف والانفضاض هي قوله تعالى :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ)

وهذه الباء عند النحاة باء السببية كقوله تعالى :

(فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ)

(سورة النساء الآية : 160)

هذه الباء باء السبب ، إذاً

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

يعني يا محمد بسبب رحمة استقرت في قلبك كنت ليناً لهم ، هذه الرحمة التي في القلب انعكست ليناً في التعامل مع الآخرين ، هذا اللين في التعامل مع الآخرين سبب التفافهم حولك ، وإقبالهم عليك ، ومحبتهم لك ، وإخلاصهم لك .

أكبر رأسمال يملكه الإنسان هو أن يحبه الناس و يثقوا به :

لذلك أكبر رأسمال يملكه الإنسان هو أن يحبه الناس ، وأن يثقوا به ، وأن يتفانوا في تلبية دعوته التي يبتغي منها وجه الله .

فلذلك الدعاة إلى الله ، وأي إنسان يحتل منصباً قيادياً يريد أن يحقق أهدافه ، وأن ينصاع الناس له ، وأن يلتفوا حوله ، فعليه بهذه الآية :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

اتصلت بنا ، فاشتققت منا الرحمة ، انعكست الرحمة ليناً ، كان اللين سبب التفاف الناس حولك ، عندئذٍ حققت الهدف من حياتك ، ومن رسالتك ، فاستعنت بهؤلاء الناس الذين أحبوك ، وقدروك ، ورفعوك .

انعكاس القلب القاسي معاملة قاسية :

ماذا يقابل هذا القانون ؟ قال :

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

(سورة آل عمران الآية : 159)

لو أن الإنسان انقطع عن الله عز وجل ليس في قلبه رحمة ، في قلبه قسوة .

(فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

(سورة الزمر الآية : 22)

لا يرحم الآخرين ، يبني مجده على أنقاضهم ، يبني غناه على فقرهم ، يستغلهم يستعلي عليهم ، يؤذيهم،

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ)

يعني لو كان الإنسان منقطعاً ، عن ربه فكان في غلظة ما بعدها غلظة ، هذه الغلظة انعكست نفوراً من الناس فانفضوا من حوله ، سبحان الله ! وكأن الآية معادلة رياضية ، اتصال ، رحمة ، لين ، التفاف، انقطاع ، قسوة ، غلظة ، انفضاض

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

(فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

(سورة آل عمران الآية : 159)

احتياج الدعاة إلى الله عز وجل لقانون الالتفاف والانفضاض :

أيها الأخوة الأحباب ، هناك فكرة دقيقة لعلي أختم بها هذا اللقاء الطيب : الله عز وجل يخاطب سيد الخلق ، وحبيب الحق ، وسيد ولد آدم ، والذي آتاه الله الوحي ، والقرآن ، و المعجزات ، يقول له أنت ، أنت يا محمد ، مع كل هذه الخصائص ، ومع كل هذه الميزات ، ومع كل هذه الكمالات :

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

فكيف بإنسان ليس معه وحي ، ولا معجزات ، ولا قرآن ، وليس فصيحاً ، وليس جميل الصورة ، ومع ذلك هو فظ غليظ .

لذلك : من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف ، ومن نهى عن منكر فليكن بغير منكر .

هذا قانون الالتفاف والانفضاض الذي يحتاجه كل الدعاة إلى الله ، بل كل أب وأم ، بل كل معلم ، بل كل من يحتل منصباً قيادياً .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (24-30) : قانون الفوز
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 24-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون الفوز :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم (قانون الفوز)

التطابق بين مقاييس الفوز عند الإنسان وعند الله سبب سلامته وسعادته :

الإنسان كما نعلم جميعاً جُبل على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده وعلى حبّ كمال وجوده ، وعلى حبّ استمرار وجوده ، فما منا واحد من سكان الأرض الذين يزيدون عن ستة آلاف مليون ، إلا ويتمنى أن يكون الأول ، يتمنى التفوق ، يتمنى الفوز ، ولكن البطولة أن تأتي مقاييس الفوز عندك أيها الإنسان مطابقة لمقاييس الفوز عند خالق الإنسان ، هذا التطابق بين مقاييس الفوز عندك وعند الله سبب سلامتك وسعادتك ، لذلك قال تعالى :

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

(سورة الكهف)

قال بعضهم : ومن الناس يدري ، ويدري أنه يدري فهذا عالم فاتبعوه ، ومنهم من يدري ولا يدري أنه يدري فهذا غافل فنبهوه ، ومنهم من لا يدري ويدري أنه لا يدري فهذا جاهل فعلموه ، لكن الخطر ومنهم من لا يدري ، ولا يدري أنه لا يدري ، فهذا شيطان فاحذروه ، هذا نصف العالم لا هو عالم فيفيد في علمه ، ولا هو جاهل فيتعلم .

الإمام علي رضي الله عنه قال : قوام الدين والدنيا أربعة رجال ، عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وغني لا يبخل بماله ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه ، فإذا ضيّع العالم علمه ، استنكف الجاهل أن يتعلم ، وإذا بخل الغني بماله ، باع الفقير آخرته بدنيا غيره .

أكبر مقاييس الفوز في القرآن الكريم :

1 ـ العلم :

الإنسان عبد لله عز وجل ، هو خالقه ، هو مربيه ، هو الذي يسيّر شؤونه ، هو الخبير بما يصلحه ، وما لا يصلحه ، هو الخبير بأسباب سلامته ، هو الخبير بأسباب سعادته ، لذلك البطولة أن تأتي مقاييس الفوز عندك أيها الإنسان مطابقة لمقاييس الواحد الديان ، القرآن الكريم اعتمد في القرآن الكريم كأحد أكبر مقاييس الفوز العلم ، فقال :

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

(سورة الزمر الآية : 9)

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)

(سورة المجادلة الآية : 11)

2 ـ العمل الصالح :

واعتمد القرآن الكريم مقياساً آخر مرجحاً بين بني البشر ؛ إنه مقياس العمل الصالح ، قال تعالى :

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

(سورة الأنعام الآية : 132)

الحكمة والعلم أعظم عطاء إلهي للإنسان :

ولكن أيها الأخوة ، أسوق هذا المثل للتوضيح :

حينما يقول طفل صغير معي مبلغ عظيم ، طبعاً والده معلم ، ودخله محدود ، والطفل عقب أيام العيد يكون جمع مبلغاً بسيطاً ، فنحن إذا قال هذا الطفل معي مبلغ عظيم نقدره بمئتي ليرة ، أما إذا قال مسؤول كبير بالبنتاغون : أعددنا لحرب هذا البلد مبلغاً عظيماً نقدره بمئتي مليار دولار ، الكلمة نفسها قالها طفل صغير ، فقدرناها بمئتي ليرة وقالها مسؤول كبير فقدرناها بمئتي مليار .

الآن دققوا فإذا قالها ملك الملوك ، إذا قال خالق السماوات والأرض ، إذا قال من بيده كل شيء ، إذا قال :

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

(سورة النساء)

الله عز وجل أعطى الملك لمن يحب ، ولمن لا يحب ، أعطاه لفرعون وهو لا يحبه ، وأعطاه لسيدنا سليمان وهو يحبه ، أعطى المال لمن يحب ولمن لا يحب ، أعطاه لقارون وهو لا يحبه ، أعطاه لسيدنا عثمان بن عفان وهو يحبه ، إذاً الملك والمال ليس مقياسين ، ولكن الذي يحبه ماذا أعطاه ؟ قال :

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آَتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً)

(سورة القصص الآية : 14)

لذلك الحكمة والعلم أعظم عطاء إلهي ، لذلك العلم كما قال الله عز وجل

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

هو مقياس كبير جداً للفوز .

أحد أكبر أسباب الفوز أن يزحزح الإنسان عن النار و يدخل جنة النعيم :

أيها الأخوة الكرام ، هناك آيات كثيرة تتحدث عن الفوز ، اخترت لكم بعضها الله عز وجل يقول :

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

(سورة النساء)

فوز عظيم أن تطيع خالق السماوات والأرض ، طاعة خالق السماوات والأرض يعني أنك على منهجه، وأنك في طريق سلامتك وسعادتك في الدنيا والآخرة .

آية ثانية ، يقول الله عز وجل :

(فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)

(سورة آل عمران الآية : 185)

البطولة الأولى أن تنجو من عذاب أبدي ، البطولة أن تصل إلى جنة ربك

(فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)

(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)

(سورة آل عمران)

لذلك لسيدنا علي رضي الله عنه له كلمات رائعة يخاطب ابنه ، يقول يا بني : ما خير بعده النار بخير، وما شر بعده الجنة بشر ، وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية .

إذاً طاعة رسول الله ، وطاعة الله أحد أكبر أسباب الفوز ، وأن يزحزح الإنسان عن النار أحد أكبر أسباب الفوز .

من آمن بالله و لم يتزعزع عن إيمانه فله جنات النعيم :

أيها الأخوة ، الآن لو أن الإنسان لحكمة بالغةٍ بالغة كان قدره أن يُقتل شهيداً هذا فوز عظيم ، لأن الله عز وجل يقول :

(إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ)

(سورة البروج)

هؤلاء أصحاب الأخدود ، الذي أحرقوا ، من أجل أنهم آمنوا بالله ، ولم يتزعزعوا ، قال هؤلاء :

(إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ)

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا)

(سورة البروج الآية : 11)

أي هؤلاء المؤمنين :

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)

(سورة البروج الآية : 11)

على الإنسان أن يصل إلى الدار الآخرة مؤمناً مطيعاً وسالماً :

تروي كتب الصحاح أن ماشطة ابنة فرعون ، في أثناء تمشيط شعر ابنة فرعون وقع المشط من يديها، فقالت : بسم الله ، قالت لها ابنة فرعون : ألك رب غير أبي ؟ قالت : الله ربك ورب أبيك وربي ، قالت: سأخبر أبي ، قالت : أخبريه ، فلما أخبرته استدعاها مع أولادها الخمسة ، وجاء بقدر فيه زيت مغلي ، وأمسك ولدها الأول وقال لها : ألك رب غيري ؟ قالت : الله ربي وربك ، فألقى ولدها في الزيت المغلي، والقصة مؤثرة جداً ، فبقيت ثابتة على مبدئها ، ألقى الثاني ، بقيت ثابتة على مبدئها ، ألقى الثالث بقيت ثابتة على مبدئها ، ألقى الرابع بقيت ثابتة ، فلما جاء دور الخامس ، كان طفلاً رضيعاً هي أم ، وقلب الأم من آيات الله الدالة على رحمته ، سكتت ، وتضعضعت ، لكن الله سبحانه وتعالى فيما ترويه هذه الرواية الصحيحة أنطق ابنها الصغير ، وقال : اثبتي يا أمي أنت على حق ، فقالت : الله ربي وربك ، وألقاه في القدر ثم ألقاها في القدر .

الشاهد ليس هنا ، الشاهد أن النبي عليه الصلاة والسلام في الإسراء والمعراج شمّ رائحة ما شمّ مثلها قط ، فقال : يا جبريل ! ما هذه الرائحة ؟ قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون .

العبرة أن تصل إلى الدار الآخرة مؤمناً ، مطيعاً ، سالماً ، هذا هو الفوز العظيم .

رضا الله عز وجل عن الإنسان أكبر فوز له :

أيها الأخوة الكرام ، يقول الله عز وجل :

(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)

(سورة البينة الآية : 8)

أن يرضى الله عنك هذا أكبر فوز . لذلك مرةً كان أحدهم يطوف حول الكعبة ، ويقول : يا رب هل أنت راضٍ عني ؟ كان وراءه الإمام الشافعي ، قال : يا هذا هل أنت راضٍ عن الله حتى يرضى عنك ؟ قال : يا سبحان الله ! كيف أرضى عنه وأنا أتمنى رضاه ؟ فقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : إذا كان سرورك بالنقمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله ، الرضا عن الله عز وجل أن ترضى عن قضائه وقدره ، والإيمان بالقضاء والقدر نظام التوحيد ، والإيمان بالقضاء والقدر يذهب الهم والحزن ، والإيمان بالقضاء والقدر يعني أن كل شيء وقع لحكمة بالغةٍ بالغة بالغة ولخير مطلق ، لأن الشر المطلق لا وجود له في الكون ، بل الشر المطلق يعني الشر من أجل الشر يتناقض مع وجود الله .

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ)

(سورة آل عمران الآية : 26)

لم يقل والشر ، قال :

(بِيَدِكَ الْخَيْرُ)

لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((والشَّرُّ لَيسَ إليكَ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن علي بن أبي طالب]

(بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

(سورة آل عمران)

بطولة الإنسان أن يبحث عن قوانين الفوز في القرآن الكريم :

أيها الأخوة الأحباب ، ما منا واحد إلا ويتمنى أن يكون فائزاً ، لكن بطولة الإنسان أن يبحث عن قوانين الفوز في القرآن الكريم وما أكثرها ، مئات الآيات تتحدث عن الفوز ذكرت بعضها ، فالبطولة أن تأتي حركته في الحياة وفق القوانين التي جاءت في القرآن الكريم عن الفوز .

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون الهجرة :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم : (قانون الهجرة)

الهدف الأساسي من وجود الإنسان في الدنيا عبادة الله عز وجل :

أيها الأخوة الأكارم ، الإنسان أحياناً ينتقل من مكان إلى مكان ، هناك انتقالات كثيرة لا تعني شيئاً ، ولكن هناك انتقالاً يعد هجرة هو انتقال هادف ، فالنبي عليه الصلاة والسلام عاش في مكة ، لكن أهل مكة كذبوه ، ونكلوا بأصحابه ، وبالغوا بالإساءة إليه ، حتى أن الله سبحانه وتعالى سمح له أن ينتقل من مكة المكرمة إلى المدينة ، فهو المهاجر الأول وأصحابه الكرام هاجروا معه .

إذاً هناك معنىً دقيق يستنبط من الهجرة ، علة وجودك في الدنيا أن تعبد الله هذه علة أساسية ، أي الهدف الأساسي من وجود الإنسان في الدنيا أن يعبد الله ، لقوله تعالى :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات)

على كل إنسان أن يغادر المكان الذي يحول بينه و بين عبادته لربه :

إذا حالت بيئة أو حال مكان بينك وبين أن تعبد الله ، وقد ألغيت علة وجودك فلابد من أن تهاجر من هذا المكان الذي ألغى وجودك الإيماني ، وألغى علة وجودك ، إلى مكان آخر يمكن أن تحقق فيه وجودك ، بل يمكن أن تحقق فيه الهدف الذي خلقت من أجله .

هذه حقيقة دقيقة فنحن لو أردنا أن نوضحها بمثل :

طالب ذهب إلى بلد أجنبي ، وإلى عاصمته ليلتحق بجامعتها الكبرى في هذا البلد وينال الدكتوراه ، علاقته بهذه العاصمة على أنها متسعة ، وفيها نشاطات لا تعد ولا تحصى ، علاقته بهذه العاصمة أن يلتحق بالجامعة لينال الدكتوراه ، نقول : علة وجوده في هذه المدينة نيل هذه الشهادة ، فإذا لم يقبل في هذه الجامعة لا معنى إطلاقاً لبقائه في هذه المدينة .

فالإنسان حينما يعرف أن الله سبحانه وتعالى خلقه ليعبده ، فإذا حال مكان بينك وبين أن تعبده ، فالأولى أن تبحث عن مكان آخر تحقق فيه الهدف من وجودك الذي أراده الله لك ، هذا منطلق الهجرة .

الهجرة أحد أكبر النشاطات الإيمانية :

مكة المكرمة كذبت النبي ، آذت أصحابه ، ونكلت بهم ، وسخرت منه ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم حينما انتقل إلى المدينة هناك من رحب بدعوته ، ونصره ، وأعانه ، إذاً الهجرة أحد أكبر النشاطات الإيمانية .

لذلك قال الله تعالى :

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا)

(سورة الأنفال الآية : 72)

يعني ليس في الإسلام ما يسمى اليوم بالموقف السلبي ، بالإعجاب السلبي ، ليس المؤمن الذي يقنع بهذا الدين ، لكن المؤمن الذي يلتزم بأحكامه ، وما إن تستقر حقيقة الإيمان في نفس المؤمن إلا وتعبر عن نفسها بعطاء ، بالتزام ، فالمؤمن يصل لله ، ويقطع لله ، ويعطي لله ، ويمنع لله ، ويرضى لله ، ويغضب لله ، فأحد أكبر أسباب الهجرة في العالم الإسلامي هجرة في سبيل الله ، هجرة من بلد لا يستطيع أن يعبد الله فيه إلى بلد آخر يوفر له الحرية الدينية كي يعبد الله ، ويحقق الهدف من وجوده .

من حالت جهة قوية بينه وبين عبادته لله فلابد له من محاولة إصلاح المجتمع :

ولكن أيها الأخوة ، هناك آية دقيقة جداً هي الأصل في موضوع الهجرة ، هذه الآية لو تأملناها بدقة فهي ذات مدلول مستقبلي خطير ، هذه الآية يقول الله عز وجل :

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ)

(سورة النساء الآية : 97)

يعني ما عرفوا ربهم ، ولا عرفوا منهجه ، ولا حملوا أنفسهم على طاعته .

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ)

(سورة النساء الآية : 97)

يأتي الرد الإلهي :

(قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً)

(سورة النساء)

لابد أيها الأخوة ، من وقفة متأنية عند كلمة

(كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ)

يعني إذا حالت جهة قوية في بلد تسكنه ، حالت بينك وبين أن تعبد الله ، بينك وبين أن تؤدي صلواتك ، بينك وبين أن تحجب بناتك ، حينما تحول جهة قوية ، بينك وبين أن تعبد الله فلابد من محاولة إصلاح المجتمع ، فإن لم تستطع فلابد من أن تغادر ، النتيجة خطيرة جداً

(فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً)

ولكن ، أنت حينما تكون في بلد ، القوى تمنعك أن تطيع الله ، بقمع شديد لابدّ من المهاجرة من هذا البلد إلى بلد تحقق فيه ذاتك عن طريق الأداء لشعائر الله عز وجل .

للاستضعاف معنيان ؛ استضعاف أمن واستضعاف إغراء :

لكن هناك من العلماء من فهم الاستضعاف بمعنىً آخر ، حينما تكون في بلد الحريات فيه مطلقة ، ولكن الشهوات أقوى من قناعاتك ، وأقوى من إرادتك ، تضعف أمام الشهوة ، وتضيع أولادك ، ومن حولك ، هذا أيضاً نوع من الاستضعاف ، لكن هناك استضعاف قمعي ، وهناك استضعاف ذاتي ، فإذا كنت في بلد لا تستطيع أن تقيم شعائر الله من شدة الصوارف ، والعقبات ، والإغراءات ، بل إذا كنت في بلد لا تستطيع أن تضمن لأولادك سلامتهم الإيمانية ، والسلوكية .

إذاً لابدّ من أن تفكر في بلد آخر تحقق فيه ذاتك أولاً ، وتضمن فيه سلامة أهلك وأولادك ثانياً .

أيها الأخوة ، الاستضعاف إذاً له معنيان ، استضعاف أمن ، واستضعاف إغراء فأنت ينبغي أن تعرف سر وجودك ، وغاية وجودك ، والله عز وجل حينما قال :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه :

أما البشارة الطيبة ، حيث يقول الله عز وجل :

(وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)

(سورة النساء الآية : 100)

يعني هو في بلد دخله وفير ، حاجاته مؤمنة ، طلباته محققة ، لكن خاف على أولاده ، خاف على مصيرهم ، خاف على عقائدهم ، خاف على انتمائهم لأمتهم ، خاف على تضييع دينهم ، أموره المادية ميسرة ولكنه ضحى بكل هذه الميزات ، وأراد أن يعود إلى بلد يمكن أن يطيع الله فيه ، أو أن يطيع الله هو وأهله وأولاده ، هذه هجرة اسمها في سبيل الله قال تعال :

(وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً)

(سورة النساء الآية : 100)

سعة في الرزق ، وكأن الله أغراه أنك إذا أدرت إرضائي أنا أضمن لك رزقاً وفيراً في البلد الذي سوف تأتي إليه ، لذلك المقولة الرائعة :

ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه .

من اتخذ قراراً مصيرياً يخدم سرّ وجوده و غاية وجوده فشأنه عظيم عند الله عز وجل :

هناك ملمح دقيق : أنت حينما تتخذ قراراً مصيرياً ، أنت حينما تتخذ قراراً يخدم سرّ وجودك ، وغاية وجودك ، أنت حينما تتخذ قراراً يضمن لك سلامة دينك ، أنت حينما تتخذ قراراً يضمن لك سلامة دين أولادك ، هذا قرار خطير ومصيري ، وهو قرار عند الله له شأن كبير ، ولكن من أجل أن ترى عظمة هذا العمل الله عز وجل يجعلك تدفع ثمنه باهظاً .

ففي أول مرحلة من الهجرة قد لا تجد ما كنت تصبو إليه من دخل وفير ، الله عز وجل قال :

(فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)

(سورة التوبة الآية : 28)

سوف للاستقبال ، أي لابدّ من فترة تدفع فيها الثمن ، وبعدها يأتي فرج الله عز وجل :

(وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)

(سورة النساء)

الهجرة نوعان ؛ هجرة في سبيل الله وهجرة في سبيل الشيطان :

أيها الأخوة ، يمكن أن نقسم الهجرة إلى هجرتين ، هجرة في سبيل الله ، وهجرة في سبيل الشيطان ، إذا كنت في بلد إسلامي تعيش حياة كريمة ، حياةً تؤدى فيها العبادات التي يتمنى كل عبد أن يؤديها ، وضحيت بهذه النعمة الكبيرة ، وانتقلت إلى بلد ترتكب فيه الفواحش على قارعة الطريق ، ولا تضمن سلامة أولادك من هذه البيئة الفاسدة ، فأنت في مشكلة كبيرة يمكن أن تسمى هذه الهجرة هجرة في سبيل الشيطان .

على كلٍّ باب الهجرة قد أُغلق بين مكة والمدينة ، ولكنه مفتوح على مصاريعه بين كل مدنيتين تشبهان مكة والمدينة ، وإن الهجرة من الأعمال العظيمة التي تهدم ما كان قبلها ، بل إن الهجرة في زمن الفتن،

وزمن النساء الكاسيات العاريات ، وزمن الاضطراب هذه الهجرة تعد عند الله جهاداً كبيراً ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

((وإنَّ العِبادَةَ في الهَرْجِ كهجرة إلي))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

يعني أنت ممكن أن تبقى في بلدك ، وأن تهجر كل منكر ، فالمهاجر من هجر المنكر ، بل إن عبادة الله في بلد عبادة دقيقة هادفة يمكن أن تعد هجرة كاملة إلى الله ورسوله .

البلاد التي حول الأقصى بلاد مباركة بنص الآية التالية وبنص الأحاديث الصحيحة :

لذلك قال :

((بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام))

[أخرجه البزار عن أبي الدرداء]

إلى بلاد الشام بالمعنى القديم الواسع لأن الله عز وجل يقول :

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ)

(سورة الإسراء الآية : 1)

فالبلاد التي حول الأقصى بلاد مباركة بنص هذه الآية ، وبنص هذه الأحاديث الصحيحة .

من هاجر في سبيل الله له أجر عظيم عند ربه :

إذاً يمكن أن نعد الهجرة من مكان يعصى الله فيه ، أو لا تستطيع أن تقيم أمر الله فيه ، إلى بلد يمكن أن تعبد الله فيه عبادة متفنة أنت وأهلك ومن يلوذ بك ، تعد هذه الهجرة في سبيل الله ، ولها أجر كبير ، والهجرة كما قال عليه الصلاة والسلام :

((وأن الهجرة تهدِم ما كان قبلها))

[أخرجه مسلم عن عمر بن العاص]

والهجرة تحقق إن شاء الله بحسب وعد الله عز وجل دخلاً وفيراً ينسيك البلد الذي كنت تنعم به بدخل كبير .

أيها الأخوة الأحباب ، هذا موضوع دقيق يحتاجه كل مسلم حينما يفكر أن ينتقل من مكان إلى مكان .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (26-30) : قانون تفريج الكروب
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 26-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قانون تفريج الكروب :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم : (قانون تفريج الكروب)وما أكثرها في العالم الإسلامي .

الدنيا دار ابتلاء و امتحان :

أيها الأخوة الأحباب ، ورد في كتاب عن خُطب رسول الله صلى الله عليه وسلم النص التالي :

((إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى ، وجعل الآخرة دار عقبى ، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا ، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا فيأخذ ليعطي ، ويبتلي ليجزي))

[الديلمي عن ابن عمر]

أيها الأخوة ، المركبة (السيارة)لماذا صُنعت ؟ صُنعت من أجل أن تسير ، ولماذا وضع فيها المكبح والمكبح في أصل وظيفته يتناقض مع السير ويوقف الحركة ؟ هذا المكبح مع أنه يتناقض مع علة صنع السيارة لكنه ضروري جداً لسلامة الركاب .

وكذلك المصائب ، نحن في دار ابتلاء ، نحن في دار امتحان ، نحن في دار فيها نوازع نحو الأرض ، واتجاهات نحو السماء ، فحينما يغفل الإنسان قد يقع في خطأ ، والخطأ ينبغي أن يُعالج من قبل رب العالمين ، وكلمة رب العالمين تعني التربية ، فالله عز وجل يقول :

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

(سورة السجدة)

مصائب المؤمنين مصائب دفع إلى باب الله ورفع في مقامات المؤمن :

إذاً طبيعة الحياة الدنيا فيها ابتلاء ، الإمام الشافعي سُئل : ندعو الله بالابتلاء أم بالتمكين ؟ تبسم وقال : لن تمكن قبل أن تبتلى ، والله عز وجل يؤكد في بعض الآيات الكريمة أن هناك مصائب تصيب المؤمنين قال تعالى :

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ)

(سورة البقرة)

هذه مصائب المؤمنين ، مصائب دفع إلى باب الله ، ومصائب رفع في مقامات المؤمن ، هذه المصائب كلها خير ، وقد عبّر القرآن عنها وقال :

(وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)

(سورة لقمان الآية : 20)

الباطنة هي المصائب التي تصيب المؤمنين كي تسوقهم إلى باب الله ، وتحملهم على التوبة ، وترقى بهم إلى أعلى مقام .

مصائب الأنبياء مصائب كشف و مصائب الطرف الآخر مصائب قصم :

لكن مصائب الطرف الآخر مصائب العصاة ، والمجرمين ، والفجار ، مصائب قصم ، وإن كان في هذا الإنسان بقية خير مصائب ردع ، أما مصائب الأنبياء مصائب كشفٍ.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يدعو ويقول :

((اللهم ما رزقتنا مما نحب ، فاجعله عوناً لنا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب))

[ورد في الأثر]

هذه النصوص تؤكد حقيقة دقيقة ، هي أن الدنيا مفعمة بالمصائب ، بالأحزان ، هكذا جعلها الله بهذه الطبيعة ، كي نسعد في الآخرة ، الله عز وجل يربينا في الدنيا ويكرمنا في الآخرة .

توزيع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء و في الآخرة توزيع جزاء :

أيها الأخوة الأحباب ، هناك نقطة دقيقة في الموضوع أن الحظوظ ، المال حظ ، الوسامة حظ ، الذكاء حظ ، القوة حظ ، العمر المديد حظ ، أن هذه الحظوظ وزعها الله في الدنيا توزيع ابتلاء ، وسوف يوزعها في الآخرة توزيع جزاء ، قال تعالى :

(انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً)

(سورة الإسراء)

فالمؤمن كما قال عليه الصلاة والسلام :

((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))

[مسلم عن صهيب]

أين هو قانون تفريج الكروب ؟ الدنيا دار ابتلاء ، وفيها مصائب ، يصيب الله بهذه المصائب عباده المؤمنين ، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((أشد الناس بلاء الأنبياء ، وأنا أشدهم بلاء ، ثم العلماء ثم الأمثل فالأمثل))

[أخرجه الحاكم عن سعد بن أبي وقاص]

شيء طبيعي جداً أن هناك مصائب في الدنيا ، لأن الله رب العالمين يأخذ بيدنا إلى بابه ، ويسوقنا إلى جنته ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

((عجب ربنا من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل))

[رواه أحمد والبخاري وأبو داود عن أبي هريرة]

ولكن هذا المؤمن إذا وقع في إشكال ، وقع في ألم ، في حزن ، في مصيبة ، ماذا يفعل كي ينجو منها؟ هنا محور هذا اللقاء الطيب ، قانون تفريج الكروب .

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً :

أيها الأخوة ، الله عز وجل يقول :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

(سورة الطلاق)

الإنسان أحياناً يرى أن الأبواب قد غُلقت كلها ، يبحث عن مخرج نجاة ، لذلك الآية تقول :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

ولحكمة بالغةٍ بالغة تُغلق الأبواب أمام المؤمن أحياناً ، ويفتح له باب السماء ، هذا الباب فيه سعادته ، وفيه سلامته ، وفيه رقيه ، لذلك قال تعالى :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

وأنا أعتقد أن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين ، زوال الكون ، لأن هذه المصائب يسوقها الله عز وجل لحكمة بالغة ، إذا دخلت إلى مسجد ، ورأيت فيه آلاف مؤلفة ، اعلم علم اليقين أن معظم هؤلاء ساقهم الله إلى بابه بتدبير حكيم ، وتربية راقية ، فكانت النتيجة أنهم اصطلحوا مع ربهم ، وسلموا وسعدوا في الدنيا والآخرة .

لذلك يقول عليه الصلاة والسلام :

((عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب ما شئت فإنك مفارق ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به))

[رواه أبو داود الطيالسي عن جابر]

قانون تفريج الكروب في هذه الآية الدقيقة الجامعة المانعة .

من عظمة هذا القرآن أن كل آية إذا نُزعت من سياقها كانت قانوناً :

أيها الأخوة ، هذه الآية :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

لها سياق لو نزعتها من سياقها لأصبحت قانوناً ، في سياق آيات الطلاق ، يقول الله عز وجل :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

أي

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ)

في تطليق زوجته طلاقاً سُنياً صحيحاً وفق توجيهات القرآن الكريم ،

(يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

إلى إرجاعها ، هذا المعنى السياقي ولكن عظمة هذا القرآن أن كل آية إذا نُزعت من سياقها كانت قانوناً .

مثلاً :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ)

في كسب ماله يكسب المال الحلال ،

(يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

من إتلاف المال ،

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ)

في اختيار زوجته ، اختارها ذات صلاح ودين ، فسعد بها ، وكانت وفية له ،

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ)

في اختيار زوجته وفق منهج الله .

((فعليك بذات الدين))

[أخرجه أبو يعلى والبزار عن أبو سعيد الخدري]

(يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

من الشقاء الزوجي ،

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ)

في تربية أولاده تربية إسلامية

(يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

من عقوقهم ،

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ)

بالإيمان والتوحيد

(يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

من الشرك .

هذه الآية صدقوا أيها الأخوة زوال الكون أهون على الله من ألا تحقق نتائج هذه الآية ، حينما تضيق :

كن عن همومك معرضا وكلِ الأمور إلى القضا

وابشر بخير عـاجل تنسى به ما قد مضى

فلربَ أمـر مسخط لك في عواقبه رضـا

* * *

ولربما ضاق المضيق ولربما اتسع الـفضا

الله يفـعل ما يشاء فلا تــكن معترضا

الله عودك الـجميل فقس على ما قد مضى

* * *

كل شيء وقع أراده الله وكل شيء أراده الله وقع :

أيها الأخوة الأحباب ،

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

قال تعالى :

(قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)

(سورة إبراهيم)

إلهنا ، وربنا ، وخالقنا ، في قرآنه ، وفي كلامه ، يبين أن مكر الطرف الآخر يزيل الجبال من مواقعها، ومع ذلك يطمئننا ، ويقول :

(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً)

(سورة آل عمران الآية : 186)

إذاً ما ساق الله لنا مصيبة إلا لمصلحتنا ، إلا ليقربنا منه ، إلا ليجمع كلمتنا ، والله عز وجل لا يسمح لطاغية على الإطلاق أن يكون طاغية إلا وأن يوظف طغيانه لخدمة دينه والمؤمنين بلا شعور ، وبلا إرادة ، وبلا أجر ، وبلا ثواب .

إذاً كل شيء وقع أراده الله ، وكل شيء أراده الله وقع ، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة ، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق .

زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين :

أيها الأخوة ، الله عز وجل يعدنا فيقول :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي)

(سورة النور الآية : 55)

إذاً نحن حينما نعبد الله عز وجل نستحق كل هذه الوعود التي يعد زوال الكون أهون على الله عز وجل من ألا تحقق ، لذلك فلنستبشر ، ولنثق بربنا ، وبهذا الدين العظيم .

(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

(سورة آل عمران)

الفائز من ربح الآخرة والجنة معاً :

أيها الأخوة الكرام ، الدنيا زائلة ، تغر ، وتضر ، وتمر ، والآخرة باقية ، فطوبى لمن ربح الآخرة ، وذاق بعض المتاعب في الدنيا ، فقد ورد في بعض الآثار القدسية :

((وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه ، إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده ، أو إقتاراً في رزقه ، أو مصيبة في ماله أو ولده ، حتى أبلغ منه مثل الذر ، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه))

فلذلك الإنسان حينما يربح الآخرة ، ويربح جنة الله عز وجل يكون قد فاز فوزاً عظيماً .

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)

(سورة الأحزاب)

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

نهاية العلم التوحيد ونهاية العمل العبادة :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والإنسان أيها الأخوة ، يحب التفاصيل في بعض الأحيان ، وفي أحيان أخرى يحب الكليات ، لو أردنا أن نتتبع في القرآن الكريم الكليات المتعلقة بحقيقة الدين، الآية التي تعد أصلاً في هذا الباب والتي تتحدث عن حقيقة التدين وعن حقيقة الدين هي قوله تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

(سورة الأنبياء)

أي فحوى دعوة الأنبياء جميعاً التوحيد والعبادة ، التوحيد هو العقيدة ، والعبادة هي السلوك ، التوحيد المنطلق النظري ، والعبادة التطبيق العملي ، التوحيد هو صلب الدين ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، التوحيد ألا ترى مع الله إلهاً آخر ، والتوحيد أن ترى أن يد الله تعمل وحدها ، التوحيد أن تعتقد أنه :

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ)

(سورة هود الآية : 123)

التوحيد يعني أن تؤمن أنه لا إله إلا الله ، التوحيد يعني ألا ترى مع الله شريكاً ، التوحيد أن تخلص الوجهة إلى الله ، لا إله إلا أنا ، قال العلماء : نهاية العلم التوحيد ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، ونهاية العلم التوحيد ونهاية العمل العبادة ، لأن الله عز وجل يقول :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات)

كأن هذه الآية التي تعد أصلاً في هذا الباب تبين أن فحوى دعوة الأنبياء جميعاً هذه الفحوى لا تزيد عن توحيد وعبادة ، عن إيمان وعمل ، عن منطلق نظري وعن تطبيق عملي .

التنوع اللانهائي في تصنيفات البشر ما أنزل الله به من سلطان :

ولكن أيها الأخوة ، البشر كما نعلم وكما نرى ألوان ، وأجناس ، وفئات ، وأديان أرضية وغير أرضية، واتجاهات ، وتيارات ، وطوائف ، ومذاهب ، هذا التنوع اللانهائي في تصنيفات البشر ما أنزل

الله به من سلطان ، بل إن الله عز وجل في آية يبين أن الانتماء الشكلي أو أن الانتماء التاريخي من دون التزام لا يقدم ولا يؤخر ، ولا وزن له عند الله إطلاقاً ، ولا يرقى بصاحبه بشكل قطعي ، هذه الآية تقول :

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا (17))

(سورة الحج)

هؤلاء الذين ينتمون إلى الإسلام شكلياً :

(وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ)

(سورة الحج)

جاء في بعض التفاسير أن الصابئين من خرجوا من الدين وأحدثوا ديناً جديداً ، أي يمكن أن يسموا العلمانيين :

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ)

(سورة الحج)

الآن دققوا كأن الله عز وجل يبين أنهم عند الله سواء ، لا وزن لهم ، لا فرق بين جهة وأخرى ، وبين صنف وصنف ، شردوا عن الله جميعاً ولم يطبقوا منهج الله إطلاقاً ، انتموا إلى أديانهم انتماء تعصبياً ، انتموا إلى أديانهم انتماءً مصلحياً ، انتماءً عقائدياً ، هؤلاء الذين ينتمون إلى أديان متعددة ويتعصبون لها ولا يطبقون مناهج أنبيائهم هؤلاء عند الله سواء وسيان ، ولا وزن لهم ، ولا شأن لهم ، ولا رفعة لهم ، بل إن هذا الانتماء الشكلي التعصبي سبب خلافاتهم ، بل وحروبهم ، بل وسفك دمائهم .

حقيقة الدين أن تؤمن بالله وباليوم الآخر :

أيها الأخوة الكرام ، الآية تقول :

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ)

(سورة الحج)

الآن ندقق :

(مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ)

(سورة الحج)

من آمن بالله من هؤلاء جميعاً الإيمان الذي يحمله على طاعته ، و الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان الذي يمنعه أن يؤذي مخلوقاً ، آمن بالله فاستقام على أمره ، وآمن بيوم الدين، يوم الحساب ، يوم الجزاء ، بالدينونة ، الإيمان باليوم الآخر منعه أن يؤذي نملة فما فوقها ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((دخلت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار ؛ لا هي أطعمتها وسقتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض))

[مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عن ابن عمر]

فإذا كان التسبب في موت هرة يستحق عذاباً غليظاً في جهنم فما قولنا فيما فوق الهرة ؟

أيها الأخوة الكرام :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا (62))

(سورة الحج)

كأن الله يبين حقيقة الدين ، حقيقة الدين أن تؤمن بالله إيماناً يحملك على طاعته ، وأن تؤمن باليوم الآخر إيماناً يمنعك أن تؤذي مخلوقاً كائناً من كان .

من بنى حياته على العطاء لا خوف عليه في المستقبل و لا يحزن على الماضي :

(وَعَمِلَ صَالِحًا)

بنى حياته على العطاء ، كان صالحاً في بيته ، ومع أخواته، ومع أصدقائه ، ومع جيرانه ، ومع من يتعامل معهم ، وفي عمله ، وفي سفره ، وفي إقامته، وفي خلوته ، وفي جلوته ، وفي إقبال الدنيا ، وفي إدبار الدنيا ،

(وَعَمِلَ صَالِحًا)

هذا الذي آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً لا خوف عليهم من المستقبل ، لن يخبئ لهم المستقبل إلا الخير ، إلا السلامة ، إلا السعادة ، إلا التفوق ، إلا التقدم من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام ، فلا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على الماضي ، وكأن هذه العبارة التي تتكرر في القرآن الكريم كثيراً تبين أن الماضي مغطى بعدم الندم ، والمستقبل مغطى بعدم الخوف :

(وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62))

(سورة الحج)

الله عز وجل لا يسمح لطاغية على وجه الأرض أن يكون طاغية إلا ويوظف طغيانه لخدمة دينه :

أيها الأخوة الكرام ، الله عز وجل في آيات أخرى يذكر هذه الأصناف مجتمعة ثم يقول :

(إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (17))

(سورة الحج)

هو الحكم ، هو الذي يحكم على فئة منهم بالهدى أو الضلال :

(إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (17))

(سورة الحج)

لكن ماذا يفعل الطغاة في الأرض وعلى رأس هؤلاء الطغاة فرعون موسى ؟ قال تعالى :

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4)وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5)وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6))

(سورة القصص)

يستنبط أن الله عز وجل لا يسمح لطاغية على وجه الأرض أن يكون طاغية إلا ويوظف طغيانه لخدمة دينه وللمؤمنين ، من دون أن يشعر ، ومن دون أن يريد ، وبلا أجر ، وبلا ثواب .

ليس منا من فرق :

أيها الأخوة ، وكما أن الطغاة يستخدمون الفتن الطائفية ، والمذهبية ، والدينية كسلاح من أجل سيطرتهم على من حولهم ، هناك أناس أيضاً يختلفون اختلافاً شيطانياً ، فالله عز وجيل يقول :

(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ (159))

(سورة الأنعام)

لست منهم يا محمد ، ليس منا من فرق ، وقال تعالى :

(مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32))

(سورة الروم)

أيها الأخوة ، لو أن الإنسان توجه لغير الله ماذا يجد عنده ؟ الله عز وجل يقول :

(إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(17))

(سورة العنكبوت)

العلاقة بين المؤمنين تقوم على الحبّ و الود :

أيها الأخوة الأحباب ، الآية التي ينبغي أن نتوج بها هذا اللقاء الطيب هي قوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31)نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (32))

(سورة فصلت)

ثم يقول الله عز وجل :

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(سورة فصلت)

بل إن أدق ما في القرآن الكريم في شأن العلاقة بين المؤمنين قوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً)

(سورة مريم)

قال علماء التفسير :" يجعل الله لهم وداً بين الله وبين عباده ، أو يجعل الله لهم وداً فيما بين أنفسهم " .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (28-30) : قانون الجهاد
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

التناقض بين الطبع والتكليف ثمن الجنة :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم قانون الجهاد .

أيها الأخوة الكرام ، لا بد من مقدمة ؛ لقد خلق الله فينا طبعاً وأعطانا تكليفاً ، هناك تناقض بين خصائص الطبع وخصائص التكليف ، هذا التناقض هو ثمن الجنة ، ففي طبعنا محبة لأخذ المال والتكليف إنفاقه ، في طبعنا رغبة في النوم والتكليف الاستيقاظ لصلاة الفجر في وقته ، الطبع يقتضي أن نخوض في فضائح الناس والتكليف أن نصمت ، الطبع يقتضي الحفاظ على الحياة والتكليف أن نجاهد .

لذلك أيها الأخوة ، هذا التناقض بين الطبع والتكليف هو ثمن الجنة ، لقوله تعالى:

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40)فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41))

(سورة النازعات)

ثمن الجنة أن نجاهد أنفسنا وأهواءنا :

أيها الأخوة الكرام ، الآية التي هي أصل في هذا الموضوع ـ قانون الجهاد ـ هي قوله تعالى :

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)

(سورة آل عمران)

لابدّ من الجهاد ، لأن ثمن الجنة أن نجاهد أنفسنا وأهواءنا ، وهذا هو الجهاد الأكبر كما وصفه بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلذلك الإنسان إن لم يجاهد أو إن لم يحدث نفسه بالجهاد مات على ثلمة من النفاق .

على كلٍّ إذا ذكرنا كلمة الجهاد لا يقفز إلى أذهاننا إلا الجهاد القتالي ، مع أن هناك أنواعاً منوعة من الجهاد ، سوف توضح فيما سيأتي من دقائق متعلقة بهذا الموضوع الخطير .

أيها الأخوة ، ولكن بادئ ذي بدء قال تعالى :

(وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ (6))

(سورة العنكبوت)

لأن الله عز وجل في حديث قدسي صحيح يقول :

((لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم ، كانوا على أفجرِ قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنْسَكم وجِنَّكم كانوا على أتْقى قلب رجل واحدِ منكم ، ما زاد ذلك في مُلْكي شيئاً ، لو أنَّ أوَّلكم وآخرَكم ، وإنسَكم وجِنَّكم ، قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأعطيتُ كُلَّ إنسان مسألَتَهُ ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنْقُص المِخْيَطُ إذا أدِخلَ البحرَ ، ذلك لأن عطائي كلام وأخذي كلام ، فمن وَجَدَ خيراً فليَحْمَدِ الله ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي ذر الغفاري]

أنواع الجهاد :

1 ـ جهاد النفس و الهوى :

أيها الأخوة ، الآن نبدأ بأنواع الجهاد ، للجهاد أربعة أنواع ، النوع الأول هو الأصل كيف أن هناك تعليماً أساسياً يبنى عليه بقية مراحل التعليم ، لذلك من لم يجاهد نفسه وهواه لا يستطيع أن يرقى إلى مستويات الجهاد الأخرى ، والذي يهزم أما نفسه لا يستطيع أن يواجه نملة ، فلذلك الآية الدقيقة :

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)

(سورة العنكبوت الآية : 69)

جاهدوا أنفسهم أي حملوا أنفسهم على طاعة الله ، ودفعوا ثمن الطاعة صبراً عليها ، ودفعوا ثمن المعصية صبراً عنها ، وقبلوا قضاء الله وقدره لأنه قرار الله عز وجل ، فهناك صبر عن الشهوة وعن المعصية ، وصبر على الطاعة ، وصبر على قضاء الله وقدره، هذا الجهاد الأول جهاد النفس والهوى ، يمكن أن تدفع نفسك إلى أعلى درجات هذا الجهاد وأنت في بيتك وفي عملك ، لأنك ضبطت نفسك ، وحملت نفسك على طاعة الله ، هذا هو الجهاد الأول ؛ جهاد النفس والهوى .

2 ـ الجهاد الدعوي :

ولكن أيها الأخوة ، هذا الجهاد لا يكفي ، لابدّ من جهاد آخر هو الجهاد الدعوي ، دليله في القرآن الكريم :

(وجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا)

(سورة الفرقان)

أي بالقرآن ، سمى الله عز وجل هذا جهاداً كبيراً لأنه الأصل في كل جهاد لابدّ أن تنقل الحق إلى الآخر ، من هنا قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((خيركم من تعلم القرآن و علمه))

[البخاري عن عثمان]

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(سورة فصلت)

نقل الحق .

الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم في حدود ما يعلم ومع من يعرف :

قد نفاجأ أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم في حدود ما يعلم و في حدود من يعرف ، يؤكده قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه أحمد والبخاري والترمذي عن ابن عمرو]

يؤكد هذا المعنى الفرضي للدعوة إلى الله قول الله عز وجل :

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ)

(سورة العصر)

أحد أركان النجاة التواصي بالحق ، بل إن قول الله عز وجل :

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)

(سورة يوسف الآية : 108)

الجهاد الثاني هو الجهاد الدعوي ، كل مسلم مكلف أن يكون داعية في حدود ما يعلم ومع من يعرف ، هذا هو الجهاد الثاني :

(وجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا)

(سورة الفرقان)

((خيركم من تعلم القرآن و علمه))

[البخاري عن عثمان]

هذا الجهاد الثاني .

3 ـ الجهاد البنائي :

لذلك أيها الأخوة ، هناك أنواع منوعة من الجهاد فلو انتقلنا إلى الجهاد الثالث ، ما الجهاد الثالث ؟

قال تعالى :

(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

(سورة الأنفال الآية : 60)

الحق يحتاج إلى قوة تدعمه ، هناك من يعتقد في العالم الآخر ـ في العالم الغربي ـ إنك على حق لأنك قوي ، أنت قوي أنت على حق ، هذا كلام باطل ، الحق إذا جاءت حركتك وفق منهج الخالق ، فلذلك المؤمن على حق إذاً هو يملك الحجة والبرهان ، لكن هذا الحق يحتاج إلى قوة ، من هنا قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

الله عز وجل كلفنا أن نعد لعدونا القوة المتاحة :

الآية الثالثة في هذا الموضوع :

(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)

(سورة الأنفال الآية : 60)

ما كلفنا الله أن نعد العدة المكافئة ولكن الله جلّ جلاله كلفنا أن نعد العدة المتاحة ، إذاً :

(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)

(سورة الأنفال الآية : 60)

جاءت كلمة قوة نكرة تنكيراً شمولياً أي أعدوا لهم كل أنواع القوة ، ولكن في عهد النبي عليه الصلاة والسلام القوة تجسدت في الخيل ، قال تعالى :

(وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)

ولكن بعد حين القوة أخذت منحى آخر إلى أن نصل إلى أن الإعلام قوة ، والأقمار الصناعية قوة ، والقنبلة النووية قوة ، والأسلحة الفتاكة قوة ، والتماسك الداخلي قوة ، والإعلام قوة إلى آخره ، الآية تغطي كل أنواع القوى :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)

عطف الخاص على العام في وقت نزول هذه الآية :

(تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

كلمة ترهبون أي تردعون ، معناها الدقيق في هذه الآية تردعون ، وهناك دعاة كثيرون يتحرج من ذكر هذه الآية مع أن الإعداد ـ إعداد القوة ـ من أجل منع الإرهاب بالمفهوم المعاصر ،

(تُرْهِبُونَ بِهِ)

أي تردعون الآخر عن أن يفكر في الوصول إليكم .

أيها الأخوة الكرام ، هذا هو الجهاد الثالث الجهاد البنائي ، لابدّ من تطوير الحياة، لابدّ من استخراج الثروات ، لابدّ من إنشاء السدود ، لابدّ من حلّ مشكلة الشباب ، لابدّ من تأمين المساكن ، كل هذا النوع من العمل ينضوي تحت كلمة الجهاد البنائي .

4 ـ الجهاد القتالي :

إذاً هناك جهاد نفسي جهاد النفس والهوى ، وهناك جهاد دعوي ، وهناك جهاد بنائي ، وبقي الجهاد الأخير وهو الجهاد القتالي ، أيها الأخوة ، الجهاد القتالي تحكمه آيات كثيرة من هذه الآيات :

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ (190))

(سورة البقرة)

أي لإعلاء كلمة الله ، لتكون كلمة الله هي العليا :

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190))

(سورة البقرة)

أيها الأخوة الكرام ، لو فهم المسلمون أنواع الجهاد بدقة بالغة ، أو لو نجح المسلمون في الجهاد النفسي نجاحاً باهراً ، وفي الجهاد الدعوي نجاحاً باهراً ، وفي الجهاد البنائي نجاحاً باهراً ، ينتظر أن ينجح المسلم الذي مشى بهذا التسلسل في الجهاد القتالي ، عندئذ يكون قد أعطى نفسه المنهج الذي أراده الله عز وجل ، وحقق الثمن الذي يقبله الله للنصر الأكيد ، والنصر العزيز .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (29-30) : قوانين النصر
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قوانين النصر :

1- النصر من عند الله :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم بل قوانين اليوم هي قوانين النصر ، التي تتوق إليه النفوس ، وحينما لا يكون تتألم هذه النفوس أشد الألم ، لأن الله عز وجل يقول :

(وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ(4)بِنَصْرِ اللَّهِ (5))

(سورة الروم)

ذكرت قوانين ولم أقل قانوناً واحداً ، لأن هناك في القرآن الكريم عدة قوانين تتعلق بالنصر ، أولى هذه القوانين الله عز وجل يقول :

(وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ)

(سورة الأنفال الآية : 10)

الذي يملك النصر وحده هو الله .

2 ـ نصر الله حاسم :

الحقيقة الثانية :

(إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ)

(سورة آل عمران الآية : 160)

نصر حاسم ولا يستطيع أحد في الكون أن يعقب على الله شيئاً ،

(إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ)

3 ـ ثمن النصر :

الحقيقة الثالثة في مفهومات النصر أن النصر مع أنه من عند الله ، ومع أن نصر الله حاسم ، إلا أن لهذا النصر ثمناً لابدّ من دفعه :

(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)

(سورة محمد)

حقائق ثلاث ،

(وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ)

(إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ)

(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)

من شروط النصر :

1 ـ أن يكون طالب النصر مؤمناً بالله ليس إيماناً تقليدياً بل إيماناً يحمله على طاعة الله :

أيها الأخوة الكرام ، هل في القرآن الكريم آيات أخرى تتحدث عن النصر ؟

(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)

هذا كلام موجز ، أين التفاصيل ؟ الله عز وجل يقول في آية محكمة :

(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الروم)

الشرط الأول أن يكون طالب النصر مؤمناً بالله ليس إيماناً تقليدياً لا يقدم ولا يؤخر ، بل ينبغي أن يكون مؤمناً بالله إيماناً من لوازمه أن يحمله على طاعة الله ، وأن يمتنع من خلال هذا الإيمان أن يؤذي مخلوقاً ، الشرط الأول وأنا أسميه شرطاً لازماً غير كاف ، أن تكون مؤمناً .

2 ـ إعداد العدة المتاحة :

الشرط الثاني أن تعد العدة لعدوك ، ولكنها المتاحة وليست المكافئة قال تعالى :

(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

(سورة الأنفال الآية : 60)

فإذا آمنا بالله الإيمان الذي يحملنا على طاعته ، وإذا أعددنا العدة المتاحة ، ومن رحمة الله بنا ليست المكافئة ، ولو أنه كلفنا أن نعد المكافئة لكان هناك عنت كبير لا نستطيع تلافيه ، لذلك الله عز وجل طلب منا ما هو بأيدينا ، أن نؤمن الإيمان الذي يحملنا على طاعة الله ، وأن نعد العدة المتاحة لنا ، وهذا يستنبط من قوله تعالى :

(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

(سورة الأنفال الآية : 60)

الطاعة مع الصبر طريق إلى النصر و المعصية مع الصبر ليس بعدها إلا القبر :

أيها الأخوة الكرام ، أيها الأخوة الأحباب ، قال تعالى :

(وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)

(سورة إبراهيم)

يتحدث عن الطرف الآخر الذي يعادي المسلمين ، تصور هذا المكر الذي وصفه الإله العظيم بأن الجبال تزول منه ، لكن المفاجأة التي قد لا تصدق أن الأمر بيدنا ، وأن الكرة في ملعبنا ، وأننا إذا أردنا الانتصار فهذا شيء متاح لنا ، كل هذا الكيد العظيم ، كل هذا الكيد الخطير ، كل هذا الكيد المعجز ، يتلاشى حينما نصبر ، وحينما نطيع الله عز وجل ، لذلك يمكن أن نقول : إن المعصية مع الصبر ليس بعدها إلا القبر ، لكن الطاعة مع الصبر هي طريق إلى النصر .

يبتلى الرجل على قدر دينه :

أيها الأخوة الكرام ، هذا الذي يحصل من أن حرباً عالمية ثالثة معلنة على المسلمين ليس شيئاً جديداً ، قال تعالى :

(إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً)

(سورة الأحزاب)

قيل للشافعي : " يا إمام ، أندعو الله بالابتلاء أم بالتمكين ؟ فقال : لن تمكن قبل أن تبتلى " .

والابتلاء قدر المسلمين بل قدر المؤمنين لأنه بالابتلاء نرقى إلى رب العالمين.

((أشد الناس بلاء الأنبياء ، وأنا أشدهم بلاء ، ثم العلماء ثم الأمثل فالأمثل))

[أخرجه الحاكم عن سعد بن أبي وقاص]

يبتلى الرجل على قدر دينه ، وقد وصف بأنه ابتلاء عظيم ، ماذا كان موقف المؤمنين ؟ قال تعالى :

(مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا(23))

(سورة الأحزاب)

لكن بعضهم قال :

(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً)

(سورة الأحزاب)

وهذا شأن الإنسان المؤمن الواثق من نصر الله عز وجل ، بينما غير المؤمن ربما غلب عليه اليأس والتشاؤم .

أنواع النصر :

أيها الأخوة الأحباب ، ما دام الحديث عن قوانين النصر ، الحقيقة الصارخة أن هناك نصراً استحقاقياً ذلك أن الصحابة الكرام استحقوا النصر فقال تعالى :

(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ)

(سورة آل عمران الآية : 123)

لكن الله جلت حكمته قد يمنح النصر لمن لا يستحقه لحكمة بالغة بالغة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ، والشاهد على ذلك هي الآية الكريمة :

(غُلِبَتِ الرُّومُ (2)فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3)فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4)بِنَصْرِ اللَّهِ (5))

(سورة الروم)

فانتصار الروم على الفرس هو نصر تفضلي ، بل إن الصحابة الكرام أثبت لهم فرحهم بهذا النصر ، إذاً هناك نصر استحقاقي ونصر تفضلي ، أما إذا كان الفريقان المتقاتلان شاردين عن الله شروداً كبيراً لا يعرفون الله إطلاقاً ، فالذي ينتصر منهما يسمى نصره نصراً كونياً ، الذي عنده السلاح الأقوى ، السلاح الذي له دقة في الإصابة ، الإعداد الأقوى ، الحشد الأكبر هذا الذي ينتصر ، هذا نصر كوني لا علاقة للدين به إطلاقاً ، نصر بين فريقين ، لذلك قالوا : الحرب بين حقين لا تكون ، لأن الحق لا يتعدد، وبين حق وباطل لا تطول ، لأن الله مع الحق ، وبين باطلين لا تنتهي ، لأن الله عز وجل تخلى عنهما معاً والأقوى هو الذي ينتصر ، لكن هذا الذي يموت شهيداً تأتيه رصاصة قاتلة ، أو شظية قاتلة، أو صاروخ قاتل ، وعقيدته سليمة ، وتوحيده قوي ، وإيمانه بالله كبير ، وما قصر في حياته ، هذا الإنسان انتصر مع أنه قتل نسمي هذا النصر النصر المبدئي .

أنواع الجهاد :

لذلك أيها الأخوة ، من خطأ المسلمين أنهم إذا سمعوا كلمة جهاد لا يقفز إلى أذهانهم إلا الجهاد القتالي ، مع أن هناك أنواعاً من الجهاد تسبق الجهاد القتالي ، الجهاد الأول جهاد النفس والهوى ، وقد قال بعض الصحابة الكرام عندما عاد من غزوة : " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى ".

وهناك الجهاد الدعوي فقد قال الله عز وجل :

(وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا)

(سورة الفرقان)

وسمى الله جهاد الدعوة جهاداً كبيراً ، وهناك جهاد بنائي حينما قال الله عز وجل:

(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

(سورة الأنفال الآية : 60)

والذي أراه ـ وهذا موقف اجتهادي ـ أن المسلمين حينما ينجحون نجاحاً باهراً في الجهاد النفسي ، جهاد النفس والهوى ، وحينما ينجحون نجاحاً باهراً في الجهاد الدعوي ، وحينما ينجحون نجاحاً باهراً في الجهاد البنائي ، ينتظر أن ينجحوا نجاحاً باهراً أيضاً في الجهاد القتالي ، إذاً هناك أنواع للجهاد ، هناك الجهاد النفسي ، وهناك الجهاد الدعوي ، وهناك الجهاد البنائي ، ثم هناك الجهاد القتالي ، وهناك أنواع منوعة من النصر ، هناك النصر الاستحقاقي ، والنصر التفضلي ، والنصر الكوني ، والنصر المبدئي .

من ينصره الله فلا غالب له :

و ملخص الملخص أن الله عز وجل حينما قال :

(وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ)

(سورة الأنفال الآية : 10)

وحينما قال :

(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)

(سورة محمد)

وحينما قال :

(إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ)

(سورة آل عمران الآية : 160)

هذه مجمل القوانين المتعلقة بالنصر الذي يحبه المؤمنون ، ويتمنونه في كل زمان ومكان .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - قوانين القرآن الكريم - الدرس (30-30) : قانون النجاة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

الله عز وجل دعانا إلى النجاة بكل معانيها الواسعة :

لازلنا في قوانين القرآن الكريم ، والقانون اليوم : قانون النجاة ، والنجاة بأوسع معانيها ، الله عز وجل خلقنا ليرحمنا :

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ (119))

(سورة هود)

أعطانا حرية الاختيار ، وأمرنا أن نطيع منهجه من أجل سلامتنا وسعادتنا ، لذلك دعانا إلى النجاة بكل معانيها الواسعة فقال تعالى :

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(10)تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(11)يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(12)وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ(13))

(سورة الصف)

التجارة الرابحة مع الله عز وجل هي الإيمان به و التوكل عليه :

أيها الأخوة ، الله سبحانه وتعالى أرادنا أن ننجو من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فدعانا إليه :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)

(سورة الأنفال : من آية " 24 ")

يدعونا إلى الحياة ، إلى حياة القلب ، إلى حياة الكمال ، إلى حياة تفضي بنا على جنة عرضها السماوات والأرض ، دعانا إلى النجاة ، وعرض علينا أن نتاجر معه لنربح عليه ، وهذه التجارة لها رأسمال في مقدور أي إنسان ، هذا رأس المال لا يزيد عن إيمان بالله وهذا الكون كله يدل عليه ، هذا الكون كله تجسيد لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى ، هذا الكون كله يدل على إله عظيم ، رحمن رحيم ، بيده ملكوت السماوات والأرض ، إليه يرجع الأمر كله فينبغي أن نعبده وأن نتوكل عليه ، هذه التجارة سلامة وسعادة في الدنيا والآخرة .

الإنسان مهما تصور أن المصيبة التي أصابته كبيرة فليعلم أن الأمر بيد الله وحده :

ولكن السؤال الذي يُطرح من هذا الذي يستحق هذه النتائج الباهرة من تجارته ؟ الله عز وجل يقول :

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ (87))

(سورة الأنبياء)

من ؟ سيدنا يونس عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، هذا النبي الكريم الذي وجد نفسه فجأة في بطن حوت ، النجاة صفر ، الأمل بالنجاة صفر لكن الله عز وجل أراد أن يعلمنا درساً بليغاً ، هذا الدرس يعني أنه مهما تصورت أيها المؤمن أن المصيبة كبيرة، وأن المصيبة ماحقة ، وأن الأمل في النجاة معدوم ، الله عز وجل بيده كل شيء ، نبي كريم وجد نفسه في بطن حوت :

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ (87))

(سورة الأنبياء)

أيها الأخوة ، العلماء يرون أن الثناء دعاء كيف دعا ربه ؟ قال :

(لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ (87))

أين ؟ في بطن حوت والأمل في تصور البشر معدوم ، فقال الله عز وجل :

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ (87)فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ (88))

(سورة الأنبياء)

دقة بالغة في الآية ، أن الله عز وجل حدثنا عن قصة وقعت ، ولئلا نتوهم أنها وقعت ولن تقع ، قال الله عز وجل في تعقيب رائع على هذه القصة الرائعة فجعلها قانوناً يستحقه كل مؤمن .

النجاة من حق أي مؤمن استقام على أمر الله عز وجل وخطب وده وعمل صالحاً :

إذاً : النجاة من حق أي مؤمن استقام على أمر الله عز وجل ، وخطب وده، وعمل صالحاً :

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ(87)فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ(88))

(سورة الأنبياء)

هذه الآية تشير إلى ملمح دقيق هو أن الله عز وجل حينما يقص علينا قصة ليس الهدف أخذ العلم بحادثة وقعت ، ولكن الهدف الكبير أن تكون هذه القصة قانوناً و منهجاً لنا .

الله عز وجل حينما يغفل شيئاً ينبغي نحن ألا نسأل عنه لئلا نفسد على الله هدايته لخلقه :

لذلك تأتي في بعض القصص اغفالات كثيرة ، وجزئيات كثيرة يغفلها الله عز وجل ، وهناك من يتوجه إلى معرفة هذه التفاصيل ، والحقيقة الدقيقة أن الله عز وجل حينما يغفل شيئاً ينبغي نحن ألا نسأل عنه لحكمة بالغة بالغة ، لئلا نفسد على الله هدايته لخلقه ، الله عز وجل يريد أن تكون هذه القصص نماذج متكررة و ليست قصة وقعت ولن تقع ، إذاً قصة سيدنا يونس دقيقة جداً :

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ(87)فَاسْتَجَبْنَا لَهُ (88))

(سورة الأنبياء)

وهو في أعماق البحر هو في ظلمات ثلاث ، في ظلمة البحر ، وفي ظلمة الليل ، وفي ظلمة بطن الحوت ، ومع ذلك نجاه الله عز وجل ، ولكن أروع ما في القصة التي تتحدث عن نجاة نبي كريم أن الله قلبها إلى قانون فقال تعالى :

(وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88))

(سورة الأنبياء)

أهمية الدعاء الكبيرة في الإسلام :

أيها الأخوة الكرام ، الله عز وجل ينتظر منا أن ندعوه بالنجاة لذلك قال تعالى :

(وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ(75)وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ(76))

(سورة الصافات)

مواقف الأنبياء قدوة لنا ، فنحن إذا رأينا نبياً كريماً ينادي ربه ويسأله النجاة لذلك ينبغي نحن أن نسأل الله النجاة من كل همّ ، من كل ضيق ، من كل مشكلة ، من هنا كان الدعاء يحتل مكانة في الإسلام كبيرة لقوله تعالى :

(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (77))

(سورة الفرقان)

إذاً الإنسان حينما يدعو الله عز وجل هو مؤمن بوجوده ، ومؤمن بأنه يسمعه ، ومؤمن بأنه قادر على تلبية طلبه ، ومؤمن بأنه يحبه .

كل مسلم يجب أن يشعر أنه سفير المسلمين في أي مكان فلا يقصر في طاعة ربه :

أيها الأخوة ، الأمر الذي دعا النبي عليه الصلاة والسلام إلى أن يقول :

((الدعاء هو العبادة))

بل الدعاء :

((الدعاء مخ العبادة))

[أخرجه الترمذي عن أنس]

امرأة فرعون قالت :

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(11))

(سورة التحريم)

أيضاً آية دقيقة جداً يقول الله عز وجل في أدعية القرآن الكريم :

(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)

(سورة الممتحنة الآية : 5)

كيف ؟ أيها الأخوة ، المسلم حينما يقصر ، ولا يطبق منهج الله عز وجل ، ويتخلف ، فإذا رآه غير المسلم متخلفاً أي مفتقراً إلى مقومات نجاحه في الحياة ، يظن أن هذا من أثر الدين ، فيفتن بدينه ، ويرفض هذا الدين العظيم ، فأي مسلم يعد على ثغرة من ثغر الإسلام فينبغي ألا يؤتى هذا الدين من قبله، فالإنسان حينما يستقيم على أمر الله ، ويكون متماسكاً ، يكون مثلاً أعلى ، أما حينما يقصر في طاعة ربه ، وفي تطبيق منهج ربه ، ويعاني ما يعاني من مشكلات ، يكون فتنة لغير المؤمن :

(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)

(سورة الممتحنة الآية : 5)

الكفار حينما يرون مجتمعاً إسلامياً متخلفاً مقصراً ، يعاني ما يعاني من مشكلات متنوعة ، يربطون هذا التخلف بهذا الدين العظيم ، فيفتنون بما هم عليه من بعد عن الله عز وجل ، بما هم عليه من تقصير، ويتهمون هذا الدين بأنه سبب التخلف ، هذا دعاء دقيق جداً يحتاجه المؤمن ولاسيما في هذه الأوقات .

بطولة المؤمن أنه مع الله عز وجل في الرخاء والشدة و في إقبال الدنيا وإدبارها :

أيها الأخوة الكرام ، الإنسان ينبغي أن يطلب النجاة وهو معافى ، لكن أي إنسان كائناً من كان حينما تأتيه المصائب يلتجئ إلى الله عز وجل ، لكن البطولة أن تعرفه وأنت في الرخاء ، إن عرفته وأنت في الرخاء كان موقفك رائعاً من الله عز وجل ، لذلك ما من إنسان تصيبه شدة إلا ويتجه إلى الله عز وجل، وحينما يكون إيمانه ضعيفاً ، فإذا رفعت عنه هذه الشدة عاد إلى ما كان عليه ، هذا شيء يفعله كل إنسان ولكن بطولة المؤمن أنه مع الله عز وجل في الرخاء والشدة ، في إقبال الدنيا وإدبارها ، في

عافيته وفي غير عافيته ، من هنا قال بعض الصحابة الكرام : " عاهدنا رسول الله على السمع والطاعة في المنشط والمكره ، في إقبال الدنيا وفي إدبارها ، في الرخاء وفي الشدة " .

هذا من شأن المؤمن أن يسأل الله النجاة وهو في بحبوحة ، أما عند الشدة أي إنسان يسأل الله النجاة ولكن ربما عاد إلى ما كان عليه بعد هذا السؤال .

أيها الأخوة الأحباب ، في ختام هذا البرنامج نقول : إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

ما لم نستقم لن نقطف من ثمار الدين شيئاً :

أيها الأخوة الكرام ، الحديث اليوم عن الاستقامة ، ولا بدّ من تمهيد ، كلكم يعلم أن للتجارة نشاطات لا تعد ولا تحصى ، فمن شراء المحل إلى شراء المستودع ، إلى شراء مكتب الاستيراد ، إلى تعيين الموظفين ، إلى جلب البضائع ، إلى حضور المعارض ، إلى بيع البضاعة ، إلى الإعلان عنها ، إلى ضبط المبيعات والمشتريات ، إلى المحاسبة ، إلى نشاطات لا تعد ولا تحصى ، السؤال هل يمكن أن تضغط كل نشاطات التجارة بكلمة واحدة ؟ أنا أقول : يمكن إنها الاستقامة أو إنها الربح ، يمكن أن تضغط كل نشاطات التجارة بكلمة واحدة إنها الربح ، فإن لم تربح فلست تاجراً ، يقاس على هذا المثل التمهيدي أن الدين فيه نشاطات لا تعد ولا تحصى ، أداء العبادات ، عقد المؤتمرات ، إلقاء المحاضرات، تأليف الكتب ، زيارات تبادلية بين العلماء ، عقد جلسات ، إنشاء مستوصفات ، إنشاء جمعيات خيرية ، نشاطات الدين لا تعد ولا تحصى .

السؤال يمكن أيضاً أن نضغط نشاطات الدين بكلمة واحدة كما ضغطنا نشاطات التجارة بكلمة واحدة إنها الربح ، أقول لكم من أعماقي : يمكن أن تضغط نشاطات الدين كلها بكلمة واحدة إنها الاستقامة ، فما لم نستقم لن نقطف من ثمار الدين شيئاً .

الاستقامة هي السبب الأول لتحقيق وعود الله عز وجل :

أضعكم مع مجموعة من وعود الله للمؤمنين الصادقين :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي)

(سورة النور الآية : 55)

بربكم والحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، هل نحن مستخلفون في الأرض ؟ هل نحن ممكنون في الأرض ؟ هل نحن آمنون ؟ شيء آخر :

(وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)

(سورة الصافات)

(إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة غافر الآية : 51)

(وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً)

(سورة النساء)

هذا الكم الكبير من وعود رب العالمين ، وكلكم يعلم وأنا معكم أعلم أن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين ، هان أمر الله عليهم فهانوا على الله ، يمكن أن نعد الاستقامة السبب الأول لتحقيق وعود الله عز وجل .

الاستقامة هي حجر الأساس في الدين وهي عين الكرامة :

مرة ثانية أقول : زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين ، ولكن الآية الكريمة ربما انطبقت على معظم المسلمين :

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59))

(سورة مريم)

وربما كانت هذه الآية التي يحار العقل فيها هي الخلاص للعالم الإسلامي :

(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً)

(سورة آل عمران الآية : 120)

إذاً الاستقامة أصل كبير من أصول الدين ، ما لم نستقم على أمر الله لن ـ ولن لتأبيد النفي ـ نقطف من ثمار الدين شيئاً ، يبقى الدين ثقافة ، والآن الدين ثقافة ، والدين فلكلور ، والدين تراث ، والدين عادات وتقاليد ، والدين كما يقال خلفية إسلامية للإنسان ، أرضية إسلامية ، نزعة إسلامية ، تصور إسلامي ، مشاعر إسلامية ، اهتمامات إسلامية ، زخرفة إسلامية ، بل إن القرآن الكريم قرئ في مدينة في أوربا لا على أنه كتاب مقدس على أنه فلكلور إسلامي .

أيها الأخوة الكرام ، حينما يفرغ الدين من مضمونه ، حينما لا يطبق الدين ، حينما يهون أمر الله على المسلمين عندئذ يهونون على الله ، ذلك أن الاستقامة هي حجر الأساس في الدين ، وأنت تطلب من الله الكرامة وهو يطلب منك الاستقامة ، والاستقامة عين الكرامة .

من بحث عن الحقيقة وعرف خالقه توصل إلى أن الله موجود وواحد وكامل :

أيها الأخوة الكرام ، مع الآيات الكريمة :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ)

(سورة فصلت الآية : 30)

بحثوا عن الحقيقة ، عرفوا خالقهم ، عرفوا ربهم ، عرفوا مسيرهم ، عرفوا أسماءه الحسنى و صفاته الفضلى :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ)

(سورة فصلت الآية : 30)

بحثوا ملياً ، درسوا كثيراً ، تأملوا عميقاً ، فتوصلوا إلى أن الله سبحانه وتعالى خالق السماوات والأرض موجود وواحد وكامل ، أسماؤه حسنى وصفاته فضلى :

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ)

(سورة هود الآية : 123)

(مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)

(سورة الكهف)

(وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ)

(سورة الزخرف الآية :84)

الأرض بقبضته دائماً وأبداً ، فهذه الآيات التي تشير إلى وحدانية الله وتشير إلى أن الأمر بيده :

(فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)

(سورة هود)

(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

(سورة فاطر)

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)

(سورة فصلت الآية :30)

طبقوا أمره ، خضعوا لمنهجه ، حكموا شرعه في حياتهم .

من طبق منهج الرسول الكريم في حياته فلن يعذبه الله أبداً :

بل حينما قال الله عز وجل :

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

(سورة الأنفال الآية : 33)

من أشد صيغ النفي هذه الصفة ، قال عنها علماء البلاغة : إنها نفي الشأن لا نفي الحديث ، مثلاً لو إنسان سأل آخر هل أنت سارق ؟ يقول له : ما كان لي أن أسرق ، أما إذا قيل له هل أنت جائع ؟ يقول: لا ، لا تنفي الحديث ، أما إذا اتهم بالسرقة وهو من أعظم الناس يقول : ما كان لي أن أسرق ، أي أنا لا أسرق ، ولا أرضى عن السارق ، ولا أدع السارق ، ولا أفعلها ، أكثر من عشرة أفعال عددها علماء النحو في نفي شأن السرقة ، الله عز وجل يقول :

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

(سورة الأنفال الآية : 33)

أي مستحيل وألف ألف مستحيل أن يُعذب المسلمون وفيهم رسول الله ، منهج النبي فينا مطبق في حياتنا ، في كسب أموالنا ، في إنفاق أموالنا ، في تربية أولادنا ، في حلنا، في ترحالنا ، في سفرنا ، في إقامتنا ، في أفراحنا ، حينما يطبق منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حياتنا ما كان الله ليعذبهم .

أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون :

المشكلة أننا آمنا بالإسلام كإطار لكن كمنهج تفصيلي ابتعدنا عنه ، أي هان أمر الله علينا فهنا على الله:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)

(سورة فصلت الآية : 20)

ما أروع هذه الكلمات ، نحن هنا ألا تخافوا المستقبل مغطى كله :

(قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا)

(سورة التوبة الآية : 15)

ألا تحزنوا الماضي مغطى ، ما قولك الماضي مغطى بعدم الندم ، والمستقبل مغطى بعدم الخوف :

(أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (31))

(سورة فصلت)

أي إذا كان الله وليك فمن عليك ؟ وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ ويا رب ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟ وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك من معك ؟

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31)نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (32))

(سورة فصلت)

من يتبع هدى الله عز وجل لا يضل عقله ولا تشقى نفسه :

الآن :

(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)

(سورة طه)

لا يضل عقله ولا تشقى نفسه :

(فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)

(سورة البقرة)

اجمع الآيتين ، من يتبع هدى الله عز وجل لا يضل عقله ولا تشقى نفسه ولا يندم على ما فات ولا يخشى مما هو آت ، فماذا بقي من سعادة الدنيا ؟

حقائق الإيمان و حلاوة الإيمان :

أيها الأخوة الكرام ، نقطة دقيقة جداً هي أن هناك حقائق للإيمان ، و هناك حلاوة للإيمان ، والفرق كبير جداً بين حقائق الإيمان وبين حلاوة الإيمان ، كأن تنطق وتقول: ألف مليار دولار ، بين أن تنطق بها فقط وبين أن تملكها ، كم هي المسافة بينهما ؟ بين أن تقتني خارطة قصر منيف وبين أن تسكن هذا القصر ، بين أن تقتني صورة مركبة فارهة وبين أن تمتلكها ، لذلك الفرق كبير جداً بين حقائق الإيمان و بين حلاوة الإيمان ، أي مسلم مفكر يقرأ ، يطالع ، يستمع ، يدرك حقائق الإيمان ، لكنه لا يعيش حلاوة الإيمان ، متى نعيش حلاوة الإيمان ؟ إذا دفعنا ثمنها ، وثمن حلاوة الإيمان ثمن باهظ ، النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

دققوا :

((أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

لعل متوهماً يتوهم أنك إذا سألت عامة المسلمين ، لو سألت المليار وخمسمئة مليون مسلم ألا تحب الله ورسوله أكثر من أي شيء ؟ لقال لك : نعم ، ليس هذا هو المعنى إطلاقاً ، أن يكون الله في قرآنه في الأمر والنهي ، والنبي في سنته ، أحبّ إليك مما سواهما عند التعارض ، عندما تتعارض مصلحتك المادية المتوهمة القريبة مع نص شرعي فتضع هذه المصلحة المتوهمة القريبة تحت قدمك وتلتزم النص الشرعي ، أنت الآن دفعت ثمن حلاوة الإيمان ، حلاوة الإيمان تجعلك بطلاً ، حلاوة الإيمان تجعلك متماسكاً ، تجعلك متفائلاً ، تجعلك قوياً ، تجعلك سعيداً ، تجعلك حكيماً ، حلاوة الإيمان ترقى بك إلى أعلى عليين ، حلاوة الإيمان تسعد بها ولو فقدت كل شيء ، حلاوة الإيمان تشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء.

الاستقامة حدّية لا تفاوت فيها :

أيها الأخوة الكرام ، لذلك الاستقامة حدية لا تفاوت فيها ، عندنا في اللغة العربية أفعال ليست قابلة للتفاوت كفعل مات ، لا يوجد فلان أموت من فلان ، الموت حدي ، والاستقامة حدية ، للتوضيح مستودع للوقود السائل هذا المستودع إحكامه حدي ، الإحكام حالة واحدة أما عدم الإحكام متفاوت ، معنى إحكامه تضع به ألف لتر تغلقه بإحكام ، تبقى هذه اللترات إلى سنوات طويلة كما هي لأنه محكم ، فالاستقامة حدية ، أما عدم الإحكام نسبي ، هناك مستودع يفرغ ما فيه بساعة ، أو بشهر ، أو بسنة ، أو بخمس سنوات ، فعدم الإحكام نسبي ، فالإحكام حدي قال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31)نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (32))

(سورة فصلت)

إذاً :

((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

أن يكون الله في قرآنه ، والرسول في سنته ، أحب إليه مما سواهما عند التعارض ، عندئذ تستحق حلاوة الإيمان لأنك دفعت ثمن حلاوة الإيمان .

الولاء والبراء :

والشيء الثاني :

((وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

هذا هو الولاء والبراء ، يعني أنت كمسلم تحمل همّ المسلمين ، تحب المسلمين ، توالي المسلمين ، أن توالي المسلمين ولو كانوا ضعافاً وفقراء ، وأن تتبرأ من الكفار والمشركين ولو كانوا أقوياء وأغنياء ، الولاء والبراء هو الدين ، الولاء والبراء هو الفريضة السادسة ، أن تكون عواطفك و مشاعرك مع المسلمين ، أن تبكي لما يصيب المسلمين ، أن تتألم لما يصيبهم ، أن تسهم بشكل أو بآخر في التخفيف عنهم ، هذا الذي يرقى بك عند الله ، ولاؤك للمسلمين ، طبعاً النص دقيق جداً :

((وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

أي الولاء التام للمسلمين على ما عندهم من ضعف ، على ما عندهم من تقصير، هم أهلك أنت منهم وهم منك .

المؤمن في أعماقه اتخذ قراراً مصيرياً ألا يغيّر ولا يبدل ولا يقصر :

الشيء الثالث :

((وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

أي ليس على الحرف ، ما دامت الأمور كما يتمنى فهو متمسك بالدين ، فإذا جاءت الأمور على غير ما يتمنى ترك الدين ، هذا إنسان كما قال الله عز وجل :

(يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ (11))

(سورة الحج)

لكن المؤمن في الأعماق اتخذ قراراً مصيرياً ، لا يغير ، ولا يبدل ، ولا يقصر ، بالفقر مؤمن وبالغنى مؤمن ، وبالزواج مؤمن وقبل الزواج مؤمن ، وحينما يعاني ما يعاني من بعض الأمراض مؤمن ، وحينما يصح مؤمن ، هذا قرار استراتيجي اتخذه المؤمن وتعامل مع الله ، والله عز وجل زوال الكون أهون عليه من ألا يحقق وعوده للمؤمنين :

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ)

(سورة الجاثية الآية : 21)

الإيمان الذي أراده الله هو الإيمان الذي يحملك على طاعته :

أيها الأخوة الكرام ، قضية دقيقة جداً :

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18))

(سورة السجدة)

(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35)مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36))

(سورة القلم)

(أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61))

(سورة القصص)

فلذلك أيها الأخوة الكرام ، أنت حينما تؤمن الإيمان الذي أراده الله ، وحينما تدفع ثمن حلاوة الإيمان ، عندئذ يمكن أن تقطف ثمارها .

من شروط النصر الصبر و التقوى :

أيها الأخوة الكرام ، الشيء الدقيق جداً الحل :

(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً)

(سورة آل عمران الآية : 120)

قبل هذه الآية :

(وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)

(سورة إبراهيم)

بربكم هل تستطيع قوى الأرض مجتمعة أن تنقل هذا الجبل الصغير جداً من دمشق إلى اليمن ؟ لا تستطيع ، فكيف يصف الله مكر هؤلاء ؟

(وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)

(سورة إبراهيم)

(فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (47))

(سورة إبراهيم)

(لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196)مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197))

(سورة آل عمران)

ليس بعد المعصية والصبر إلا القبر وليس بعد الطاعة والصبر إلا النصر المحقق :

لذلك الآية التي يمكن أن تكون حلاً للعالم الإسلامي :

(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً)

(سورة آل عمران الآية : 120)

كيدهم ، أموالهم ، طائراتهم ، أقمارهم الصناعية ، صواريخهم ، حاملات الطائرات، تحالفاتهم :

(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً)

(سورة آل عمران الآية : 120)

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ)

(سورة الأنفال الآية : 36)

والآية الدقيقة :

(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً)

(سورة آل عمران الآية : 120)

عودة المسلمين إلى دينهم أساس في تحقيق وعود الله عزّ وجل :

أيها الأخوة ، الكرة في ملعبنا :

(وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ (19))

(سورة الأنفال)

هان أمر الله عليهم فهانوا على الله ، فإذا عظمنا أمر الله ، الله عز وجل حقق الوعود التي وعدنا بها ، فالكرة في ملعبنا ، وأسأل الله عز وجل أن يعود المسلمون إلى دينهم، أن يردوا إلى دينهم رداً جميلاً حتى يستحقوا الوعود العظيمة التي وعد الله بها ، وحتى يستعيدوا دورهم القيادي بين الأمم ، وحتى يكونوا كما قال الله عنهم : وسطاء بينه وبين خلقه، وحتى يؤدوا هذه الرسالة إلى العالم كله ، لذلك نحن حينما نقول :

(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا)

ماذا يقابلها ؟ وإن تعصوا وتصبروا ، ماذا بعد المعصية والصبر ؟ ليس بعد المعصية والصبر إلا القبر، لكن ماذا بعد الطاعة والصبر ؟ النصر المحقق ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينصر أخوتنا في كل مكان في شمال الأرض وفي جنوبها ، في شرقها وفي غربها ، أن ينصرهم نصراً عزيزاً مؤزراً ، أن يأخذ بيده إلى جنته التي فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وأن تكون عبادة الصيام طريقاً إلى الواحد الديان .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - ومضات قرآنية - الدرس (02-10) : ليلة القدر
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-09-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

على كل إنسان أن يذكر الله ذكراً كثيراً :

أيها الأخوة الكرام ، الله عز وجل يقول :

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(1)وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ(2)لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(3)تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ(4)سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ(5))

(سورة القدر)

أيها الأخوة الكرام ، كتمهيد لفهم أبعاد ليلة القدر ، الله عز وجل حينما قال :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)

(سورة الأحزاب)

وفي آية أخرى يصف المنافقين بأنهم :

(وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً)

(سورة النساء)

فحينما يقول الله عز وجل :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)

هل الأمر يتعلق بالذكر وحده أم بالذكر الكثير ؟ لا شك أن الآية التي وصفت المنافقين بأنهم

(وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً)

إذاً هذه الآية تؤكد قطعاً أن الأمر الإلهي الثاني :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)

أي أن كثرة الذكر هو المطلوب ، هذا تمهيد أول .

من لم يؤمن بالله العظيم لم يؤمن الإيمان الحقيقي :

التمهيد الثاني حينما قال الله عز وجل :

(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِي(19)إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي(20)فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(21)فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(22)قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(23)كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّام

الْخَالِيَةِ(24)وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي(25)وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي(26)يَالَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ(27)مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي(28)هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي(29)خُذُوهُ فَغُلُّوهُ(30)ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ(31)ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ(32))

(سورة الحاقة)

الآن ينبغي أن ندقق :

(إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ(33))

(سورة الحاقة)

يا ترى هل نفي عنه الإيمان بالله أصلاً ؟ لا ، نفي عنه الإيمان بالله العظيم ، فلذلك كما أن الله سبحانه وتعالى حينما قال :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)

(سورة الأحزاب)

وحينما قال :

(إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ(33))

(سورة الحاقة)

نفي عنه الإيمان بالله العظيم لا الإيمان بالله فقط .

الإيمان إذا لم يترجم إلى عمل و استقامة لا قيمة له إطلاقاً :

لأن الشيطان إبليس آمن بالله :

(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ)

(سورة ص الآية : 82)

(خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

(سورة الأعراف)

(قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

(سورة الأعراف)

وقد أكدت مراراً أن الإيمان إذا لم يترجم إلى عمل ، إذا لم يترجم إلى استقامة ، إذا لم يترجم إلى أن يقف الإنسان عند حدود الله ، إذا لم يترجم أن يراك الله حيث أمرك ، وأن يفتقدك حيث نهاك ، إذا لم يترجم إلى التزام ، لا قيمة له إطلاقاً ، ويمكن تجاوزاً أن نسمي مثل هذا الإيمان الذي يعم عدداً كبيراً جداً من المسلمين إيمان إبليسي لا يقدم ولا يؤخر ، ولا ينجي صاحبه من عذاب النار .

من عرف الأمر و لم يعرف الآمر تفنن في التفلت من الأمر :

إذاً أحياناً ينصب الأمر لا على القسم الأول بل على القسم الثاني ، إذاً كتمهيد لهذه السورة :

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(1))

ماذا تعني ليلة القدر ؟ قال بعض العلماء : أحياناً آية من الآيات تنثني على أختها فتفسرها ، حينما قال الله عز وجل :

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)

(سورة الزمر)

كأن الله عز وجل يبين أن هؤلاء الذين غفلوا عن الله ، أو هؤلاء الذين شردوا عن الله ، ما قدروا الله حقّ قدره ، آمنوا به خالقاً كشأن معظم الناس ، لكن هذا الإيمان ما تغلغل إلى قلوبهم ، وما انقلب إلى سلوك والتزام ، لذلك عدم تقدير الله يؤكد حقيقة خطيرة جداً وهي أنك إذا عرفت الأمر ـ عامة المسلمين درسوا في المدارس ، حضروا خطب جمعة ، من خلال هذه الخطب وتلك الدروس عرفوا شيئاً عن الأمر والنهي ، أركان الإيمان ، أركان الإسلام ، الحلال الحرام ـ ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر ، يبحث عن فتوى ، عن رأي ضعيف ، عن حديث أحياناً ضعيف جداً ، أو قد يكون موضوعاً ، يبحث عن رخصة يتفلت بها من هذا المنهج ، فحينما لا تعرف الآمر تتفنن في التفلت من تطبيق أمره ، فكأن العلة الأولى في العالم الإسلامي أن المسلمين عرفوا الأمر لكن ما عرفوا الآمر ، ما عرفوا من هو الله عز وجل ، ماذا عنده لو أطعته ؟ ماذا ينتظر الإنسان لو عصاه ؟ ماذا أعد الله لهذا الإنسان من نعيم مقيم ؟ خلقه للجنة ، خلقه لجنة عرضها السماوات والأرض ، خلقه لجنة فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

الله عز وجل خلق الخَلقَ ليرحمهم و يسعدهم :

هؤلاء الذين عرفوا الله عز وجل ، عرفوا أن الله خلقهم ليسعدهم ، خلقهم للجنة :

(إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ(33))

(سورة الحاقة)

ما آمن أنه مخلوق للجنة ، فلذلك :

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى(1)وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى(2)وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى(3)إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى(4)فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(5)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(6))

(سورة الليل)

صدق أنه مخلوق للجنة لذلك اتقى أن يعصي الله ، بنى حياته على العطاء ، فما لم يؤمن الإنسان بالله العظيم ، ما لم يؤمن أنه مخلوق لجنة عرضها السماوات والأرض ، ما لم يؤمن أن أكبر خسارة يتحملها حينما يخسر الآخرة :

(قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)

(سورة الزمر الآية : 15)

أبراج السماء من آيات الله الدالة على عظمته :

إذاً ما معنى

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(1))

ما معنى كلمة قدر ؟ الآية التي سأتلوها تفسرها :

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)

(سورة الزمر)

أيها الأخوة الكرام ، مثل بسيط ، بين الأرض والشمس مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر ، الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة ، أي جوف الشمس يتسع لمليون وثلاثمئة ألف أرض ، قال الله عز وجل :

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1)وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2)وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3))

(سورة البروج)

البروج هي أبراج السماء ، الأرض في دورتها حول الشمس تمر باثني عشر برجاً ، أسماؤها معروفة، أما التوقع والتطلع إلى الأبراج من قبيل معرفة ما سيكون هذا كفر بالله عز وجل :" من أتى عرفاً فقد كفر بما أنزل على محمد ، من أتى ساحراً فلم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً ".

على كلٍّ : البروج في هذه الآية العظيمة جداً التي قال الله عز وجل عنها :

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ)

أحد هذه البروج ، برج العقرب ، وفي هذا البرج نجم صغير متألق اسمه قلب العقرب ، هذا البرج يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما .

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ (11))

(سورة لقمان)

آيات الله تدفع الإنسان إلى أن يبالغ في تقديره و طاعته و تطبيق أمره :

هذا الإله العظيم يعصى ؟ هذا الإله العظيم ألا يخطب وده ؟ ألا ترجى جنته ؟ ألا تخشى ناره ؟ إنك إن عرفت الآمر من خلال آياته الكونية ، إنك إن عرفت الآمر من خلال آياته التكوينية أفعاله ، إنك إن عرفت الآمر من خلال آياته القرآنية ، معرفتك بالآمر الآن تدفعك إلى أن تبالغ في طاعته ، وفي تطبيق أمره ، وفي الورع الذي يحمد عقباه .

المقولة الدقيقة : إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر ، أما إذا عرفت الآمر وعرفت الأمر تفانيت في طاعته .

إذاً هذا النجم الذي اسمه قلب العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما ، وقال بعض العلماء : لو أن هذا النجم حلّ محل الشمس لابتلع المجموعة الشمسية بأكملها ، نجم عملاق .

أيها الأخوة الكرام ، من خلال هذه الآيات الكونية كما قال الله عز وجل :

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)

كيف نقدره حق قدره ؟

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191))

(سورة آل عمران)

الصلة بالله هي كل شيء بالدين :

ملمح آخر من ملامح سورة القدر :

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(1)وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ(2)لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(3))

الألف شهر عبارة عن ثلاث و ثمانين سنة تقريباً ، وكأن الآية تقول : لو أن الإنسان عبد ربه ثمانين عاماً ، أي عبد ربه عمره كله عبادة خالية من معرفة الله ، عبادة تقليدية ، عبادة جوفاء ، عبادة كالصلاة مثلاً حركات ، وسكنات ، وكلام يتلى في الصلاة ، دون أن يتصل بالله ، هذه العبادة الجوفاء ، هذه العبادة الشكلية ، ما أرادها الله عز وجل ، أراد اتصالاً حقيقياً به ، لأن الصلاة من أجل أن تتصل بالله ، لأن الصيام من أجل أن تتصل بالله ، ولأن الحج من أجل أن تتصل بالله ، ولأن الزكاة من أجل أن تتصل بالله ، ولأن الصلة بالله هي كل شيء بالدين ، إنك بهذه الصلة تشتق من كمال الله ، بهذه الصلة تشتق السكينة ، الرضا ، الأمن ، الحكمة ، بهذه الصلاة تسعد ، الله عز وجل يقول :

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110))

(سورة الكهف)

العمل الصالح يبيض وجه الإنسان وهو في الصلاة وكأنه قدم هدية لله عز وجل .

التفكر في خلق السماوات والأرض طريق لمعرفة الله وتقديره حقّ قدره :

إذاً :

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)

(سورة الزمر)

وقد تحدثت سابقاً كيف أن الأرض في حركتها حول الشمس تنتقل في المسار البيضوي من قطر أطول إلى قطر أصغر ، حينما تنتقل إلى القطر الأصغر هناك احتمال أن تنجذب إلى الشمس ، لأن المسافة قلّت والجاذبية متعلقة بالمسافة والكتلة ، من الذي يحركها فيرفع سرعتها بحيث ينشأ عن هذه السرعة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة ؟

(وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

قبضته في الدنيا هو يسيرها .

إذاً أيها الأخوة ، كأن الله لفتنا إلى أن التفكر في خلق السماوات والأرض طريق لمعرفة الله ، طريق لتقديره حقّ قدره ، وحينما تقدره حقّ قدره تطيعه من أعماق أعماقك ، وتسعد بهذه الطاعة ، بل إن التفكر في خلق السماوات والأرض الذي يفضي بك إلى تقدير الله خير لك من ألف شهر من ثمانين سنة تعبد الله عبادة جوفاء لا معنى لها .

الله عز وجل أراد أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة حب فلم يجبرنا على أن نأتيه مرغمين:

لذلك الله عز وجل ما أراد أن نأتيه مرغمين ، أراد أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة حب ، قال :

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

(سورة المائدة الآية : 54)

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

(سورة البقرة الآية : 165)

قال تعالى :

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

(سورة البقرة الآية : 156)

ما أرادنا أن نأتيه مكرهين قال تعالى :

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

(سورة البقرة الآية : 156)

ولا بقصر منه عز وجل :

(لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا (31))

(سورة الرعد)

ولكنهم أراد أن يكون إيمانهم طواعية ومبادرة منهم واختيار .

الله عزّ وجل ما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن الأمر كله عائد إليه :

فلذلك أيها الأخوة :

(مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)

(سورة الحج)

هل عرفت قوته أيها الإنسان ؟ زلزال تسونامي يساوي مليون قنبلة ذرية :

(مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)

(سورة الحج)

وهناك آيات كثيرة يبين الله جلّ جلاله أن بيده كل شيء ، وهو خالق كل شيء:

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

(سورة هود الآية : 123)

ما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن الأمر كله عائد إليه ، هذا هو التوحيد ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد :

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

(سورة الشعراء)

عبادة التفكر :

لذلك أسوق لكم بعض النصوص التي تلح على التفكر في خلق السماوات والأرض من أجل أن نقدر الله حقّ قدره ، من أجل أن نطيعه ، من أجل أن نتصل به ، من أجل أن يكون شهر الصيام سبباً لمعرفة الواحد الديان :

((تفكر ساعة خير من قيام ليلة))

[شعب الإيمان عن أبي الدرداء]

تفكر ساعة تزداد بها علماً ، تزداد بها معرفة ، تزداد بها تعظيماً ، تزداد بها خشية ، تزداد بها طاعة ، تزداد بها قرباً ، تفكر ساعة خير من قيام ليلة .

والعالم الجليل الثقفي يقول : " تفكر ساعة خير من عبادة سنة "، ويصح أن نقول: هناك عبادة اسمها عبادة التفكر ، أنس بن مالك يقول : " تفكر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ألف سنة ".

(وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (22))

(سورة الروم)

(وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (37))

(سورة فصلت)

(وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (21))

(سورة الروم)

ابن عباس يقول : " ركعتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه ".

قال بشر : " لو تفكر العباد في عظمة الله ما عصوا ربهم عز وجل ".

أصل الدين معرفة الله :

إذاً نريد من ليلة القدر أن نعرف الله ، لأن أصل الدين معرفة الله ، نريد من ليلة القدر أن نقدر الله ، نريد من ليلة القدر أن نعظم الله ، نريد من ليلة القدر أن يزداد خشوعنا في الصلاة ، أن يزداد إقبالنا على الله ، نريد من ليلة القدر أن نقترب من الله ، أن نذوق طعم القرب ، نريد من ليلة القدر أن نسعد بالله عز وجل ، لأن في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الله عز وجل . والله يقول :

(وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ)

(سورة محمد)

ذاقوا طعمها ، والله الذي لا إله إلا هو لا أبالغ في هذا الكلام ما لم تذق طعم القرب من الله في الدنيا لن تستطيع أن تعبد الله كما ينبغي ، بل إن هذا الصيام من أجل أن تتصل بالواحد الديان ، من أجل أن تعرفه ، من أجل أن تحبه ، من أجل العجب أن تعرفه ثم لا تحبه ، ومن أعجب العجب أن تحبه ثم لا تطيعه :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيع
لـو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيـع

* * *

فلو تفكر الناس في عظمة الله عز وجل ما عصوه .

من حسن إسلام المرء ومن كماله أن يتفكر في خلق السماوات والأرض :

لذلك من حسن إسلام المرء ومن كماله أن يتفكر في خلق السماوات والأرض ، وفيما يصير إليه الناس عند الموت وما بعد الموت ، عندئذ يمنعه هذا التفكر الذي أورث خشية من الله من أن يعصي الله عز وجل ، لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : "ويل لمن لم يتفكر في هذه الآية" ، وكأن الآية التي هي محور ليلة القدر :

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191))

(سورة آل عمران)

من تجلى الله على قلبه بالسكينة سيسعد بها و لو فقد كل شيء :

أيها الأخوة الكرام ، إلى مزيد من معرفة الله ، إلى مزيد من طاعة الله ، إلى مزيد من خشيته ، إلى مزيد من الإقبال عليه ، حينما تكون العبادة عبادة كما أراد الله تثمر محبة ، تثمر سعادة ، تثمر طمأنينة ، تثمر توازناً ، تثمر حكمة ، تثمر قرباً ، فلذلك :

((ابن آدم اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحبّ إليك من كل شيء))

[مختصر تفسير ابن كثير]

((من أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه ، وجمع عليه شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه ، وشتت عليه شمله ، ولم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له))

(أخرجه ابن ماجة عن الترمذي]

أرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون ليلة القدر باعثاً لنا على مزيد من معرفة الله ، على مزيد من خشيته، على مزيد من طاعته ، على مزيد من القرب منه ، على مزيد من الإقبال عليه ، على مزيد من محبته ، على مزيد من السعادة بقربه ، لأن الله عز وجل حينما يتجلى على قلب المؤمن بالسكينة يسعد بها ولو فقد كل شيء ، ويشقى بفقدها ولو ملك كل شيء ، وما ليلة القدر إلا من أجل أن نقدر الله عز وجل حقّ قدره ، ومن أجل أن نسعد بقربه.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - ومضات قرآنية - الدرس (03-10) : العلم
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 17-09-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

العبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق :

أيها الأخوة الكرام ، نحن في العشر الأخير من رمضان ، ورمضان كما تعلمون ثاني أكبر عبادة في الإسلام ، هذا الشهر الكريم ينقلنا إلى حقيقة العبادات ، العبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق ، بينما الطقوس في الأديان الأرضية التي هي من صنع الإنسان طقوس لا معنى لها ، حركات وسكنات وتمتمات لا تعني شيئاً ، بينما العبادات في الإسلام كما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : " العبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق " ، مثلاً :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا (103))

(سورة التوبة)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

(سورة البقرة)

هذه علة الصيام ، الله عز وجل يقول :

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ (45))

(سورة العنكبوت)

في الحج :

(لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ (97))

(سورة المائدة)

فالعبادات في الإسلام مقننة بمصالح الخلق .

العبادات الشعائرية لا تقطف ثمارها كاملة إلا إذا صحت العبادات التعاملية:

كأن الإسلام مثلث كبير ، القسم الأعلى منه العقيدة إن صحت صحّ العمل ، والقسم الثاني منه العبادات الشعائرية ؛ كالصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، والقسم الثالث منه المعاملات ، العبادات التعاملية، والقسم الرابع منه الآداب ، فالإسلام في مجمله عقائد وعبادات ومعاملات وآداب ، لا تصح العبادات الشعائرية إلا إذا صحت المعاملات ، والدليل النبي عليه الصلاة والسلام :

((تَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا لَهُ دِرْهَمَ وَلَا دِينَارَ وَلَا مَتَاعَ قَالَ الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))

[مسلم و الترمذي عن أبي هريرة]



هذه الصلاة ، أما الصيام :

((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))

[البخاري عن أبي هريرة]

أما الزكاة :

(أنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ {53})

(سورة التوبة الآية : 53)

وأما الحج :

((من وضع رجله في الركاب ، وحج بمال حرام ، وقال : لبيك اللهم لبيك ينادى لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك))

[ورد في الأثر]

إذاً الإسلام عقائد وعبادات ومعاملات ، إن صحت العقائد الآن لا تصح العبادات الشعائرية إلا إذا صحت المعاملات ، كما يقول بعض العلماء : "ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام ".

العبادات الشعائرية كالصلاة والصوم والحج والزكاة لا تقطف ثمارها كاملة إلا إذا صحت العبادات التعاملية:

((لأن أمشي مع أخ في حاجةٍ خير لي من أن أعتكف في مسجدي هذا))

[الطبراني عن ابن عمر]

الإنسان عقل يدرك وقلب يحب وجسم يتحرك :

أيها الأخوة الكرام ، الإنسان عقل يدرك ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، غذاء العقل العلم ، وغذاء القلب الحب ، وغذاء الجسم الطعام والشراب ، إذاً أودع الله في الإنسان قوة إدراكية ، أنا أسميها الحاجة العليا في الإنسان ، وما لم يبحث الإنسان عن الحقيقة ، عن سرّ وجوده ، عن غاية وجوده ، عن ربه

الذي خلق السماوات والأرض ، ما لم يبحث عن وسائل العمل الصالح ، ما لم يبحث عن حقيقة ما بعد الموت ، فهو إنسان بعيد كل البعد عن سرّ وجوده ، وعن غاية وجوده ، لذلك لأن الله أودع في الإنسان قوة إدراكية ينبغي أن يبحث عن الحقيقة ، والإنسان الذي لا يطلب العلم هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به ، لأنه عقل يدرك ، وغذاء العقل العلم ، وقلب يحب ، وغذاء القلب الحب ، وجسم يتحرك، وغذاء الجسم الطعام والشراب ، إذا لبيت هذه الحاجات الثلاث معاً تفوق الإنسان ، فإذا لبيت واحدة منها تطرف الإنسان ، وفرق كبير بين التفوق وبين التطرف .

سرّ طلب العلم

من بحث عن الحقيقة و عرفها سلم و سعد في الدنيا و الآخرة :

أيها الأخوة الكرام ، أول كلمة في أول آية في أول سورة من القرآن الكريم اقرأ:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3)الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4)عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5)كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى(6)أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى(7))

(سورة العلق)

اقرأ أي اطلب العلم ، لبِّ الحاجة العليا فيك ، لأنك عقل يدرك ، والإنسان المؤمن بحث عن الحقيقة فعرفها ، فتعرف وفقها إلى الله ، فسلم وسعد في الدنيا والآخرة ، وغير المؤمن غفل عن حقيقة كبرى ، لم يطلب العلم ، تحرك وفق شهواته ، عندئذ أساء وظلم ، عندئذ يهلك في الدنيا والآخرة .

البحث عن الحقيقة

وكأن البشر على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، وطوائفهم ، نموذجان، نموذج عرف الله فانضبط بمنهجه ، وأحسن إلى خلقه ، فسلم وسعد في الدنيا والآخرة ، ونموذج غفل عن الله ، وتفلت من منهجه ، وأساء إلى خلقه فشقي وهلك في الدنيا والآخرة .

الله عز وجل ربط طلب العلم بالإيمان :

لذلك الله عز وجل يقول :

(اقْرَأْ)

أي اطلب العلم ، ولكن البطولة أن تقرأ من أجل أن تؤمن ، ربط الله طلب العلم بالإيمان :

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

توصل من علمك إلى وجود خالق عظيم ، ورب رحيم ، ومسير حكيم ، اقرأ من أجل أن تؤمن ، فالإيمان هو سرّ طلب العلم ،

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

وكأنني أصف هذه القراءة قراءة بحث وإيمان ،

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)

هل عرفت الله ؟ هل عرفت أسماءه الحسنى؟ هل عرفت صفاته الفضلى ؟ هل عرفت لماذا جاء بك إلى الدنيا ؟ هل عرفت ماذا بعد الموت؟ هل عرفت قبل الولادة أين كنت ؟ هل عرفت ماذا بعد الموت من سعادة أبدية يدوم نعيمها أو شقاء أبدي لا ينفذ عذابه ؟ لماذا أنت مشغول عن هذه الحقائق الكبرى .

إلى متى وأنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول
أما تستحي منا ويكفيك ما جرى أما تختشي من عتبنا يوم جمعنا
أما آن أن تقلع عن الذنب راجعاً وتنظر ما به جاء وعدنا
فأحبابنا اختاروا المحبة مذهباً وما خالفوا في مذهب الحب شرعنا
فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا
ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا

ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا

ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لقربنا

***

ارتباط القراءة بالإيمان فما لم يقودك العلم إلى الإيمان فليس علماً :

إذاً اقرأ باسم ربك ، أقرا من أجل أن تؤمن ، اقرأ من أجل أن تسعد بهذا الإيمان، اقرأ من أجل أن تنجح في الدنيا والآخرة ،

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

هذه قراءة يمكن أن نسميها قراءة البحث والإيمان ، القراءة الأولى ، في هذه السورة أربع قراءات ينبغي أن نقف عندها واحدة واحدة ، هذه القراءة الأولى اقرأ من أجل أن تؤمن ، علة وجودك أن تعرف الله:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً)

(سورة الطلاق)

هذه القراءة الأولى قراءة البحث والإيمان ، ثم قراءة شكر وعرفان ، منحك نعمة الإيجاد ، منحك نعمة الإمداد ، يوجد هواء ، يوجد ماء عذب زلال ، يوجد زوجة ، يوجد أولاد ، يوجد طعام ، شراب ، فواكه، معادن ، كل شيء ، لذلك القراءة الثانية قراءة شكر وعرفان ، ما لم يمتلئ قلبك شكراً لله فأنت بعيد عن الإيمان .

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2))

ولعل أقرب آيات الله إليك جسمك الذي بين جنبيك ، هذا آية من آيات الله العظمى :

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8)وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9)وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10))

(سورة البلد)

أنواع القراءات :

1 ـ قراءة البحث والإيمان :

في شبكية العين مئة وثلاثون مليون مخروط وعصية ، من أجل أن تأتي الرؤية دقيقة جداً ، من أجل أن

ترى ثمانية ملايين لون ، هذه دقة ما بعدها دقة ، بينما أكبر آلة تصويرية احترافية رقمية بالميلمتر مربع فيها عشرة آلاف مستقبل ضوئي :

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ)

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الْإِنسَانَ)


قراءة البحث والإيمان

سمعك ، بصرك ، دماغك ، جمجمتك ، هضمك ، أمعاؤك ، قلبك ، رئتاك ، كبدك ، قلبك ، عظامك :

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

من نطفة لا ترى بالعين ، ومن بويضة لا تزيد عن حبة الملح ، خلقك الله إنساناً سوياً ، دماغ ، وأعصاب ، وعضلات ، وأجهزة متنوعة بالغة الدقة :

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

هذه القراءة الأولى قراءة البحث والإيمان .

2 ـ قراءة الشكر والعرفان :


قراءة الشكر والعرفان

القراءة الثانية قراءة الشكر والعرفان :

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3))

ما معنى أكرم ؟ أي منحك نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهدى والرشاد ، أنت موجود ، وأمدك الله بالهواء والماء ، وبكل ما تحتاج من طعام ، وشراب ، وبزوجة ، وأولاد ، فهذا كله من عطاء الله عز وجل :

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)

منحك نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهدى والرشاد ، سخر لك ما في الكون تسخير تعريف وتكريم ، فموقفك من التعريف أن تؤمن ، وموقفك من التكريم أن تشكر ، فإذا آمنت وشكرت حققت الهدف من وجودك ، لذلك قال تعالى :

(مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ)

(سورة النساء الآية : 147)

فالقراءة الأولى قراءة البحث والإيمان من خلال الأكوان والقرآن ، وأفعال الله عز وجل ، والقراءة الثانية قراءة الشكر والعرفان من خلال العمل الصالح ، قال تعالى :

(اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)

(سورة سبأ)

أرقى درجات الشكر أن تقابل الإحسان بالإحسان وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان هذه القراءة الثانية .

3 ـ قراءة الإذعان والوحي :

أما القراءة الثالثة قراءة الإذعان والوحي ، قراءة الوحي والإذعان ، العقل البشري مرتبط بالأرض ، بالواقع ، فأي شيء لا أثر له مادي العقل البشري لا يستطيع البحث فيه ، فلذلك الإنسان عنده معرفة حسية ، أدوات المعرفة الحسية حواسه ، واستطالة هذه الحواس ، وهناك معرفة عقلية أداتها شيء غابت عينه بقيت آثاره ، من خلال الأثر نعرف المؤثر ، من خلال الحكمة نعرف الحكيم ، من خلال الخلق نعرف الخالق ، من خلال التسيير نعرف المسير ، فالعقل البشري لا بدّ من شيء مادي أمامه ، وليكن هذا الشيء آثار شيء غابت عينه ، يعرف المؤثر من الأثر ، الخالق من الخلق ، الصانع من الصنعة ، المسير من التسيير ، وهكذا فهذه المعرفة الثالثة معرفة الوحي والإذعان ، وأي شيء عجز عقلك عن إدراكه أخبرك الله به ، فالماضي السحيق أخبرك الله عنه في عالم الأزل :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ)

(سورة الأحزاب الآية : 72)

والمستقبل البعيد أخبرك الله عنه ، عن يوم القيامة ، هناك يوم مفقود الماضي ، ويوم مشهود ، ويوم مورود الموت ، ويوم موعود ، ويوم ممدود ، الله عز وجل أخبرنا عن الماضي السحيق ، وعن المستقبل البعيد ، وأخبرنا عن ذاته العلية ، وعن أسمائه الحسنى ، وعن صفاته الفضلى ، فأي شيء عجز عقلك عن إدراكه أخبرك الله به عن طريق الوحي .

صار عندك دائرة المحسوسات ، أداة اليقين بها الحواس الخمس واستطالاتها ، ودائرة المعقولات ، شيء غابت عينه بقيت آثاره ، من خلال آثاره نعرفه ، هذه مهمة العقل ، وشيء غابت عينه وآثاره ، أداة اليقين به الخبر الصادق من الله عز وجل ، ففي الإسلام محسوسات ، ومعقولات ، وإخباريات ، فلذلك لا ينبغي أن تُحدث إنساناً غفل عن الله ولم يؤمن به بالإخباريات ، لأن دليلها الوحيد أن الله أخبر بها ، فإذا كان إيمانه بالله ضعيفاً لا معنى من أن تحدثه بالإخباريات ، كوجود الملائكة والجن وما إلى ذلك .

4 ـ قراءة العدوان و الطغيان :

أيها الأخوة :

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3))

قراءة الشكر والعرفان :

(الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4)عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5))

قراءة والوحي والإذعان ، الآن :

(كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى)

بالعلم نفسه ، حينما يصنع هذه الأسلحة الجرثومية ، والكيماوية ، والقنابل العنقودية ، والانشطارية ، والحارقة ، والخارقة ، حينما يتفنن بإبادة البشر ، حينما يستخدم علمه لإبادة البشر ، حينما يستخدم علمه للسيطرة على الآخرين ، ونهب ثرواتهم ، حينما يستخدم العلم كأداة قوية لعمل لا يرضي الله ، فكأن هذا العلم كان طريقاً للعدوان والطغيان ، فلذلك قال تعالى :

(كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى)

بعلمه أحياناً ، من هنا قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا))

[مسلم عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ]

علم قد يمتعك ، وعلم يمتعك وينفعك ، وعلم يمتعك وينفعك ويسعدك هو العلم بالله عز وجل .

قوم عاد مثال صريح عن طغيان الإنسان بالعلم :

لذلك النقطة الدقيقة أن الإنسان يطغى بالعلم ، وقد ضرب الله لنا مثلاً عن طغيان الإنسان بالعلم حينما حدثنا عن قوم عاد ، قال تعالى :

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ أرم ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)

(سورة الفجر)

تفوقت في شتى الميادين ، وبالمصطلحات المعاصرة ، صناعة ، تجارة ، زراعة، قوة عسكرية ، تفوق في شتى الميادين ، لذلك قال تعالى :

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ أرم ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)

(سورة الفجر)

تفوقت عمرانياً ، قال تعالى :

(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ)

(سورة الشعراء)

تفوقت صناعياً مجازاً :

(وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)

(سورة الشعراء)

تفوقت عسكرياً :

(وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ)

(سورة الشعراء)

تفوقت علمياً :

(وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ)

(سورة العنكبوت)

تفوق علمي ، تفوق بنائي عمراني ، تفوق صناعي ، تفوق عسكري ، إذاً تفوقت عاد في كل المجالات، وما كان فوق عاد إلا الله ، لأن الله ما أهلك قوماً إلا ذكرهم أنه أهلك من هم أشد منها قوة ، ما أهلك الله قوماً إلا قال : لقد أهلكنا من هو أشد منهم قوة إلا عاد حينما أهلكها قال :

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً)

(سورة فصلت الآية : 15)

الطغيان بالعلم يكون حينما يُستخدم العلم لا لخدمة الإنسان بل لتدميره :

إذاً هؤلاء القوم طغوا في البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، أي قصفوا وأفسدوا ، إذا أردنا أن نوسع الأمر قصفوا بصواريخهم ، وأفسدوا بأفلامهم :

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ أرم ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)

(سورة الفجر)

هؤلاء كيف دمرهم الله ؟

(فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6)سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7))

(سورة الحاقة)

أيها الأخوة ، هم طغوا لا في بلدهم ، في البلاد :

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ أرم ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)

(سورة الفجر)

وكأن هؤلاء القوم نموذج لطغيان الإنسان ، الطغيان بالعلم حينما يستخدم العلم لا لخدمة الإنسان بل لتدمير الإنسان ، والإنفاق على الأسلحة في العالم اليوم يفوق أي إنفاق ، وهذا المبلغ الفلكي الذي ينفق على الأسلحة لو أنفق لرخاء البشر لكان العالم في حال غير هذا الحال .

طلب العلم فريضة على كل مسلم :

لذلك الله عز وجل في هذه السورة الكريمة قال :

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

بيّن أن هناك قراءة البحث والإيمان ، تدرس ، تتعلم من أجل أن تؤمن ، وهناك قراءة الشكر والعرفان من أجل أن تؤمن وتشكر :

(مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ)

(سورة النساء الآية : 147)

ثم قراءة الوحي والإذعان ، أي شيء عجز عقلك عن إدراكه أخبرك الله به ، وكأن العقل ميزان حساس جداً ، غالٍ جداً ، لكن له إمكانيات محددة ، من خمسة كيلو إلى خمسين كيلو ، فإذا أردت أن تزين به سيارتك مستحيل ، فإذا مشيت فوقه حطمته ، السيارة لها صانع أخبرك عن وزنها ، فالشيء الذي يعجز العقل عن إدراكه أخبر الله به .

إذاً عندنا دوائر ثلاث ، دوائر الحسيات أداة اليقين بها الحواس الخمس ، دوائر المعقولات أداة اليقين بها العقل ، شيء غابت عينه بقيت آثاره ، ودائرة الإخباريات شيء غابت عينه وآثاره ، أداة اليقين بها الإخباريات .

إذاً قراءة البحث والإيمان ، قراءة الشكر والعرفان ، قراءة الوحي والإذعان ، وقراءة الطغيان والعدوان ، هذه قراءة تنم عن استخدام العلم لإيذاء البشر ، لكن المسلمين بحاجة إلى القراءة الرابعة لا من أجل أن يوقعوا الأذى بالبشر بل من أجل أن يكونوا مرهوبي الجانب ، ويدافعوا عن أنفسهم .

فيا أيها الأخوة الكرام ، طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - ومضات قرآنية - الدرس (04-10) : الوقت

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-09-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

حقيقة الزمن :

أيها الأخوة الكرام ، الصيام ثاني أكبر عبادة في الإسلام ، وهو في الحقيقة عبادة زمنية لأنه يتم في شهر رمضان ، ورمضان شهر من أشهر العام ، فلذلك يعد الصيام عبادة زمنية ، فما حقيقة الزمن يا ترى ؟

أيها الأخوة ، قالوا : الزمن هو البعد الرابع للأشياء ، وكل شيء له طول وعرض وارتفاع ، وله بعد رابع هو أثر الزمن فيه ، فالزمن في حقيقته يرد في سورة دقيقة جداً وهي قوله تعالى :

(وَالْعَصْرِ)

(سورة العصر)

يقسم الله بمطلق الزمن :

(وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3))

(سورة العصر)

فالله جلّ جلاله يقسم بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول رتبة لماذا ؟ لأن الله عز وجل حينما عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال أبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، لأنه قبل حمل الأمانة كان المخلوق الأول :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)

(سورة البينة)

هذا الإنسان حينما قبل حمل الأمانة أعطاه الله مقومات هذه الأمانة ، والأمانة في أدق تعاريفها نفسه التي بين جنبيه :

(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {9} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (10))

(سورة الشمس)

أثمن شيء في حياة الإنسان هو الزمن :

الإنسان الذي أقسم الله بعمره هو النبي صلى الله عليه وسلم ، هو الإنسان الأول ، قال تعالى :

(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)

(سورة الحجر)

في هذه السورة سورة العصر التي قال عنها الإمام الشافعي : " لو أن الناس تدبروا هذه السورة لكفتهم" .

كان أصحاب النبي ـ رضوان الله عليهم ـ لا يتفرقون إلا على هذه السورة ، قال تعالى :

(وَالْعَصْرِ)

(سورة العصر)

قسم :

(وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3))

(سورة العصر)

فالله جلّ جلاله أقسم بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول رتبة ، الذي هو في حقيقته زمن ، والشيء الدقيق أن الإمام الجليل الحسن البصري عرف الإنسان تعريفاً جامعاً مانعاً قال: " هو بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه " .

" ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا بن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة ".

فيبدو أن أثمن شيء في حياة الإنسان هو الزمن ، وبمثل بسيط لو أن إنساناً ـ لا سمح الله ولا قدر ـ أصيب بمرض عضال ، وهذا المرض العضال يقتضي عملية جراحية تكلف ثمن بيته ، أنا متأكد أن هذا الإنسان لا يتردد ثانية واحدة في بيع بيته ، وإجراء العملية، متوهماً أنه سيعيش بعدها بضعة سنوات تزيد عن عمره الذي سينقضي بهذا المرض ، هكذا تصوره ، من أين انطلق هذا الإنسان ؟ من أنه قد ركب في أعماق أعماقه أن الوقت أثمن من المال ، هذا تمهيد لحالة جديدة ، إنسان أمسك المال وأحرقه بيده ، بماذا نحكم عليه ؟ نحكم عليه بالسفه قطعاً أو بالجنون ، فإذا كان إتلاف المال يعد سفهاً فكيف بإتلاف الوقت ؟

لذلك ، الإنسان بتعريف جامع مانع قال : " هو بضعة أيام ، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا بن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة ".

الزمن هو البعد الرابع للأشياء :

أيها الأخوة الكرام ، الزمن هو البعد الرابع للأشياء ، وقد اكتشف أنشتاين أن السرعة القصوى في الكون هي سرعة الضوء ، وهي ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية ، للتقريب ، أقرب نجمٍ ملتهبٍ إلى الأرض عدا الشمس يبعد عنا أربع سنوات ضوئية ، ما معنى أربع سنوات ضوئية ؟ الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر ، في الدقيقة ضرب ستين ، في الساعة ضرب ستين ، في اليوم ضرب أربع وعشرين ، في العام ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين ، في أربع سنوات ضرب أربع ، هذا الرقم لو قسمناه على مئة بمعنى لو أن هناك طريقاً لهذا النجم ، ومعنا سيارة سرعتها مئة ، لعرفت كم ساعة تستغرق الرحلة إلى هذا النجم الملتهب ، لو قسمنا على أربع وعشرين كم يوماً ؟ لو قسمنا على ثلاثمئة وخمسة وستين كم عام ؟ هل تصدقون أننا من أجل أن نصل إلى أقرب نجم ملتهب إلى الأرض بمركبة أرضية نحتاج إلى خمسين مليون عام .

السرعة القصوى للضوء ثلاثمئة ألف كيلو متر ، فالله سبحانه وتعالى أقسم بمطلق الزمن لهذا الإنسان الأول رتبة ـ لأنه قبل حمل الأمانة ـ أنه خاسر لا محالة ، يا رب لماذا هو خاسر ؟ قال الله عز وجل :

(وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3))

(سورة العصر)

خاسر لأن مضي الزمن يستهلكه ، سبت ، أحد ، اثنين ، ثلاثاء ، أربعاء ، خميس، مضى أسبوع ، أسبوع ثان ، ثالث ، رابع ، شهر ، شهران ، أشهر عديدة ـ اثنا عشر شهراً ، سنة ، عقد ، عقدان ، انتهى عمره ، هو بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، لذلك أقسم الله بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن ، قال تعالى :

(وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3))

(سورة العصر)

الإنسان خاسر لا محالة لأن مضي الزمن يستهلكه :

نستنبط أن رأسمال الإنسان هو الوقت ، أو أن أثمن شيء يملكه هو الوقت ، أو أنه في الحقيقة بضعة أيام ، أي لو أن إنساناً له عند الله ثلاثاً وستين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أسابيع وأربعة أيام وخمس ساعات وثلاث دقائق وأربع ثوان ، هذا عمر الإنسان فهو زمن ، وهو بهذه التعريفات الدقيقة للإنسان

ينبغي أن يحافظ على وقته ، والوقت شيء ثمين جداً ، أما جواب القسم ،

(إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

لأن مضي الزمن يستهلكه ، إذاً هو خاسر ، لو جمع أكبر ثروة في الأرض ، لو اعتلى أعلى منصب في الأرض ، لو استمتع بمباهج الدنيا أعلى استمتاع ، هو خاسر بنص هذه الآية وهذا كلام خالق الأكوان ، كلام رب العالمين ، فالكون قرآن صامت ، والقرآن كون ناطق ، والنبي قرآن يمشي :

(وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2))

القرآن ليس كتاباً علمياً لكنه كتاب هداية فيه إشارات دقيقة لطيفة إلى قضايا علمية خطيرة :

الله عز وجل يقول :

(وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47))

(سورة الحج)

هذه الآية على صغرها تشير إلى النظرية النسبية التي جاء بها أنشتاين ، القمر يدور حول الأرض دورة كل شهر ، لو أردنا أن نحسب كم يقطع من الكيلو مترات في هذه الدورة ؟ نأخذ مركز الأرض ومركز القمر ، نصل بينهما بخط ، هذا الخط طوله نصف قطر الأرض مع نصف قطر القمر مع المسافة بينهما ، ضرب اثنين ، ينتج القطر ، ضرب 3،14 هو المحيط ، ضرب اثني عشر بالسنة ، ضرب ألف بألف سنة ، نعرف كمن يقطع القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام ، الله عز وجل قال :

(وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47))

(سورة الحج)

الآن لو قسمنا هذا الرقم على ثواني اليوم ، ستون بستين بأربع وعشرين ، أي ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام يقطعه الضوء في يوم واحد ، طبعاً هذه الإشارة في القرآن الكريم إلى نظرية عملاقة يتيه بها الغربيون :

(وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47))

(سورة الحج)

القمر يقطع مسافة طويلة جداً حول الأرض في ألف عام ، هذه المسافة لو قسمناها على ثواني اليوم كان الجواب السرعة المطلقة للضوء ، وهي مئتان وتسعة وتسعين ألف وستمئة واثنين وخمسين ، هذه الآية فيها إشارة إلى النظرية النسبية وقد عرض هذا الموضوع في مؤتمر الإعجاز العلمي الخامس .

أيها الأخوة الكرام ، هذا القرآن ليس كتاباً علمياً ، لكنه كتاب هداية ، فيه إشارات دقيقة لطيفة إلى قضايا علمية خطيرة جداً ، هذا مما يؤكد أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن ، فلذلك الله عز وجل يقول :

(وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3))

(سورة العصر)

أي إيمان لا يترجم إلى التزام ووقوف عند الحلال والحرام لا قيمة له :

أيها الأخوة الكرام ، فالإنسان بنص هذه السورة القصيرة خاسر لا محالة ، لأن مضي الزمن يستهلكه ولكن رحمة الله في إلا ، إلا أداة استثناء ما بعد إلا يلغي ما قبلها :

(وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3))

(سورة العصر)

أولاً الذين آمنوا ، أي إيمان ينجي صاحبه ؟ الإيمان الذي يحملك على طاعة الله وأي إيمان آخر لا قيمة له ، يسمى أحياناً إيماناً إبليسياً لأن إبليس آمن بالله ، قال ربي :

(فَبِعِزَّتِكَ)

(سورة ص الآية : 82)

آمن به رباً وعزيزاً ، ولأن إبليس قال :

(أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

(سورة الأعراف)

ولأنه قال :

(خَلَقْتَنِي)

(سورة ص الآية : 76)

فأي إيمان لا يترجم إلى التزام ، إلى وقوف عند الحلال والحرام ، أي إيمان لا يراك الله من خلاله حيث أمرك ، ولا يفتقدك حيث نهاك لا قيمة له .

الإيمان من دون عمل لا قيمة له إطلاقاً :

الله يقول :

(وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

هو خاسر لا محالة ، لكنه بإمكانه أن يتلافى هذه الخسارة حينما يؤمن أي إيمان ؟ الإيمان الذي يحمله على طاعة الله ، الإنسان إذا آمن بالله خالقاً ، ومربياً ، ومسيراً ، ولم يتحرك حركة وفق إيمانه ما قيمة هذا الإيمان ؟ إن لم يؤمن فقد ارتكب حماقة كبيرة ، وإن آمن ما فعل شيئاً ، فأنت إذا قلت : الشمس ساطعة ، إنها ساطعة ، هي ساطعة ، أنت ما أضفت شيئاً ، أما إذا كان الإنسان يعاني من مرض جلدي وبحاجة إلى أشعة الشمس ، ما لم يتعرض لأشعتها لا ينتفع من سطوعها ، الإيمان من دون عمل لا قيمة له إطلاقاً ، إطلاقاً ،

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)

فالذي يؤمن إيماناً يحمله على طاعة ربه هذا هو الإيمان ، لذلك العبادات مهمتها أن تنقلك إلى الالتزام، الطاعة، الصلح مع الله ، وإذا رجع العبد العاصي إلى الله ، نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله .

الإيمان المنجي هو الإيمان الذي يحمل الإنسان على طاعة الله :

الإيمان الذي يحمل الإنسان على طاعة الله هو الإيمان المنجي

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

العمل الصالح إذا جاء منفرداً أي الاستقامة والعمل الصالح ، الاستقامة طابعها سلبي ، يقول الإنسان : أنا ما أكلت مالاً حراماً ، أنا ما غششت ، أنا ما اغتبت ، فكل الأفعال التي تسبق بما الامتناع هي الاستقامة ، الاستقامة لا بدّ من أن تكون سبيلاً إلى العمل الصالح ، الإيمان يحتاج إلى استقامة وعمل صالح ، فالاستقامة والعمل الصالح متكاملان ، الاستقامة أن تزيح عن الطريق إلى الله كل العقبات ، كأن كل معصية عقبة تقف في طريقك إلى الله ، فإذا أزحت هذه العقبات ، وتبت عن كل المعاصي ، والآثام ، والمخالفات ، والتقصيرات ، إذا أزحت هذه العقبات صار الطريق إلى الله سالكاً ، الآن الحركة على هذا الطريق أساسها العمل الصالح ، فإذا جاء العمل الصالح وحده يعني الاستقامة والعمل الصالح، و إذا جاءت الاستقامة وحدها تعني الاستقامة والعمل الصالح ، أما إذا تفرقا فلكل منهما معنىً خاصاً .

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

أي امتنعوا عن كل ما نهى الله عنه ثم أعطوا ، أعطوا من وقتهم ، أعطوا من مالهم ، أعطوا من جهدهم ، أعطوا من خبرتهم ، بنوا حياتهم على العطاء ، ذلك لأنه يقع على رأس الهرم البشري زمرتان هما الأنبياء والأقوياء ، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، والأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، الأنبياء ملكوا

القلوب ، والأقوياء ملكوا الرقاب ، الأنبياء عاشوا للناس ، الأقوياء عاش الناس لهم ، والناس جميعاً تبع لنبي أو قوي ، لذلك أحب الناس الأنبياء وخافوا من الأقوياء ، أما الأقوياء بطولتهم أن يتخلقوا بأخلاق الأنبياء حتى يحبهم الناس .

أركان النجاة :

إذاً الإنسان حينما يؤمن ويعمل صالحاً يكون قد حقق بعض أركان النجاة ، الحقيقة النجاة هي أربعة أركان ، أحد أركانها

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)

والركن الثاني :

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

والثالث :

(وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ)

والرابع :

(وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

فإذا حققت هذه الأركان الأربعة نجوت من الخسارة المحققة التي جاءت جواباً لقسم الله عز وجل:

(وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3))

(سورة العصر)

أي جاءت أعمالهم امتناعاً عن المناهي التي نهى الله عنها ، أو عطاء من مالهم ، أو وقتهم ، أو جهدهم، أو خبرتهم ، أو علمهم ، لأنه يقال : إن عبادة الغني الأولى في إنفاق المال ، لأنه الله أقامه غنياً، و عبادة العالم الأولى في تعليم العلم ، لأن الله أقامه عالماً ، وعبادة القوي في إحقاق الحق وإبطال الباطل ، لأن الله أقامه قوياً ، و عبادة المرأة في رعاية الزوجة والأولاد ، لأن الله أقامها أماً ، وأقامها زوجة ، فلذلك هناك ما يسمى بعبادة الهوية .

التواصي بالحق فرض عين على كل مسلم في حدود ما يعلم ومع من يعرف :

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ)

هذه الآية تشير إلى أن التواصي بالحق فرض عين على كل مسلم ، لكن في حدود ما يعلم ومع من يعرف ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((بلغوا عني ولو آية))

[البخاري عن ابن عمرو]

التواصي بالحق من خصائص المؤمن المسلم ، لأن الله عز وجل ينبغي أن يقربك منه إذا عملت عملاً صالحاً ، أعظم الأعمال الصالحة كلمة الحق أن تقولها ، أعظم صدقة كلمة الحق ، أعظم عمل أن تقرب الإنسان إلى الله عز وجل ، فأنت لن تنجو من الخسارة المحققة إلا إذا آمنت بالله أولاً إيماناً يحملك على طاعته ، وعملت عملاً صالحاً بشقيه الاستقامة والعمل الصالح أي أعطيت من وقتك ، من مالك ، من خبرتك ، من جهدك ، أعطيت هذا الشيء تقرباً إلى الله عز وجل ، تبتغي به رضوانه والدار الآخرة .

التواصي بالحق هو الدعوة إلى الله :

الآن التواصي بالحق هو الدعوة إلى الله ، و الدعوة إلى الله تكون فرض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الكل ، وتكون فرض عين تجب على كل مسلم في حدود ما يعلم ومع من يعرف ، و الدعوة إلى الله فرض كفاية أساسها التبحر والتعمق والتفرغ ، هذه الدعوة إلى الله التي هي فرض كفاية ينبغي أن تتبعها حركات من الاستقامة والعمل الصالح ، لذلك قال تعالى :

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(سورة فصلت)

هذه الدعوة إلى الله فرض كفاية إذا قام به البعض سقطت عن الكل ، أما الدعوة إلى الله كفرض عين هي أن تنقل لمن حولك ما تعلمته أ كما يقال في حدود ما تعلم ومع من تعرف :

((بلغوا عني ولو آية))

[البخاري عن ابن عمرو]

السورة التالية تبين هدف الإنسان من الحياة وما ينبغي أن يفعله في هذه الدنيا :

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ)

الصبر على ماذا ؟ على معرفة الحقيقة ، وعلى العمل وفقها ، وعلى الدعوة إليها ، فهذه السورة تسع جميع الناس، هذه السورة تبين هدف الإنسان من الحياة ، هذه السورة تبين ما ينبغي أن يفعله الإنسان في هذه الدنيا :

(وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3))

(سورة العصر)

يؤمن ، ويتحرك وفق هذا الإيمان ، ويدعو إلى ما آمن به ، ثم في النهاية يصبر على البحث عن الحقيقة ، والعمل وفقها ، والدعوة إليها ، هذا من موجبات المغفرة ، والقرب من الله عز وجل ، والله عز وجل يقول :

(وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3))

(سورة العصر)

ورد في بعض الأدعية :

((لا بورك لي بطلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله علماً ، ولا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله قرباً))

[ورد في الأثر]

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - ومضات قرآنية - الدرس (05-10) : التفكر
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 19-09-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

أية آية في القرآن الكريم ينبغي أن يكون للإنسان منها موقف :

أيها الأخوة الأكارم : يقول الإمام علي رضي الله عنه : "أصل الدين معرفة الله".
كيف نعرفه ؟ نعرفه من آياته الدالة على عظمته ، نعرفه من آياته الكونية ؛ خلقه ، نعرفه من آياته التكوينية ؛ أفعاله ، نعرفه من آياته القرآنية ؛ كلامه ، إذا عرفنا الآمر ثم عرفنا الأمر تفانينا في طاعة الآمر ، أما إذا عرفنا الأمر ولم نعرف الآمر تفننا في التفلت من الأمر .
أيها الأخوة الكرام ، المؤمن حينما يقرأ القرآن لا شك أن له موقفاً من كل آية ، فإذا قرأ آية فيها أمر موقفه أن يأتمر بما أمر الله ، وإذا قرأ آية فيها نهي ينبغي أن ينتهي عما عنه نهى الله ، وإذا قرأ آية فيها مشهد من مشاهد يوم القيامة ينبغي أن يسعى إلى الجنة ، وأن يفر من النار ، مثلاً :

(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38)إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39)فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (40)عَنْ الْمُجْرِمِينَ (41)مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42)قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43))

(سورة المدثر)

إذا قرأ آية فيها حديث عن الدار الآخرة ، وعن حال أهل النار ، وعن حال المؤمنين في الجنة ، ينبغي أن يسعى إلى العمل من أجل الجنة ، وأن يتقي النار ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ))

[متفق عليه عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه]

وإذا قرأ آية عن قصص الأمم والشعوب السابقة ينبغي أن يتعظ ، فإذا قرأ آية كونية ـ وفي القرآن الكريم ما يقترب من ألف وثلاثمئة آية كونية ـ ماذا عليه أن يفعل ؟ هل يعقل أن تكون هذه الآيات الكثيرة لا موقف لك منها ؟ أية آية في القرآن الكريم ينبغي أن يكون لك منها موقف ، إما أن تأتمر ، أو تنتهي ، أو أن تسعى إلى الجنة ، أو أن تفر من النار ، أو أن تتعظ .

على كل إنسان أن يتفكر في خلق السماوات و الأرض :

أما أن تقرأ آية كونية ولا علاقة لك بها فالله عز وجل يقول :

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191))

(سورة آل عمران)

في الآية ملمح دقيق هو أن التفكر جاء بصيغة الفعل المضارع ، والفعل المضارع يدل على الاستمرار، أي من شأن المؤمن أنه يتفكر في خلق السماوات والأرض ، والله عز وجل يقول :

(قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)

(سورة يونس الآية : 101)

مسار الأرض حول الشمس من آيات الله الدالة على عظمته :

كما نعلم أن الأرض تدور حول الشمس في مسار إهليلجي (أي بيضوي) وهذا المسار له قطران أكبر وأصغر ، وتعلمون أن العلاقة بين النجوم والكواكب في الكون يحكمها قانون الجاذبية ، هذا القانون من عوامله الكبرى الكتلة والمسافة ، الأرض حينما تنتقل من القطر الأطول في مسارها حول الشمس إلى القطر الأصغر المسافة قلّت ، إذاً هناك احتمال أن تنجذب الأرض إلى الشمس ، فإذا انجذبت إليها تبخرت في ثانية واحدة ، لأن الحرارة في جوف الشمس تقترب من عشرين مليون درجة ، فلو أن الأرض تحركت نحو الشمس والمسافة بينها وبين الشمس قلّت إذاً الجاذبية زادت ، فاحتمال أن تنجذب إلى الشمس قائم ، ما الذي يحصل ؟ الأرض مادة والمادة غير عاقلة ، الذي يحصل أن الأرض ترفع سرعتها لينشأ من رفع السرعة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة ، فتبقى في مسارها ، فإذا فتحنا القرآن الكريم :

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

(سورة فاطر)

من الذي جعل الأرض على مسارها لا تحيد يمنة ولا يسرى ؟ هذه الآلية المعقدة التي تبدأ من رفع السرعة لينشأ من رفع السرعة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة الجديدة ، فتبقى في مسارها:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

(سورة فاطر)

نتابع الحركة ، الآن تنتقل الأرض من القطر الأصغر إلى القطر الأطول ، المسافة زادت قوى التجاذب ضعفت ، هناك احتمال معاكس ، الاحتمال الأول أن تنجذب الأرض إلى جوف الشمس فتتبخر في ثانية واحدة ، الاحتمال الآخر أن تتفلت من جاذبية الشمس فإذا تفلتت من جاذبية الشمس سارت في الفضاء الكوني ، فتصبح الحرارة على سطح الأرض ـ الصفر المطلق ـ مئتين وسبعين تحت الصفر ،

تنتهي الحياة احتراقاً أو تنتهي الحياة تجمداً ، ما الذي يحصل ؟ في أثناء حركة الأرض نحو القطر الأطول تخفض الأرض من سرعتها لينشأ من خفض هذه السرعة قوة نابذة أقل تكافئ القوة الجاذبة الأقل فتبقى على مسارها :

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

(سورة فاطر)

هذه من آيات الله الدالة على عظمته .

اللَّه يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا

من آيات الله الدالة على عظمته :

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

(سورة فاطر)

أحد العلماء الكبار يرى أن الأرض لو افتراضنا تفلتت من جاذبية الشمس و أردنا أن نرجعها للشمس قال : نحتاج لمليون مليون كبل فولاذي ، والفولاذ المضفور كما تعلمون أمتن شيء في الكون ، لذلك المصاعد والتل فريك يستخدم فيه الفولاذ المضفور .

لو أردنا أن نعيد الأرض إلى جاذبية الشمس قال : نحتاج لمليون مليون كبل فولاذي ، وقطره خمسة أمتار أي يحمل مليوني طن . فالأرض مرتبطة بالشمس بقوة تساوي مليون مليون ضرب مليوني طن من أجل أن تحرف الأرض ثلاثة ميلي كل ثانية ، ليكون هذا الانحراف مؤدياً لمسار مغلق حول الشمس، لولا هذا الانحراف لكان المسار مستقيماً ، إذاً كل هذه القوى الجاذبة مليون مليون ضرب مليوني طن ، هي قوة جذب الشمس إلى الأرض من أجل أن تحرف الأرض ثلاثة ميلي كل ثانية .

فلذلك هذه الحبال لو زرعناها على سطح الأرض المليون مليون كبل لفوجئنا أن بين الحبلين مسافة خمسة أمتار فقط ، نحن أمام غابة من الفولاذ لا يوجد ملاحة ، ولا بناء ، ولا طيران ، ولا زراعة ، ولا شيء ، وانتهت الحياة على وجه الأرض ، نفتح القرآن الكريم لنقرأ قوله تعالى :

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)

(سورة الرعد)

هذه آية من آيات الله الدالة على عظمته .

التفكر في خلق السماوات والأرض أوسع باب ندخل منه على الله وأقصر طريق إلى معرفة الله :

لذلك حينما يقول الله عز وجل :

(قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)

(سورة يونس الآية : 101)

هناك آيات مبهرات ، فلذلك أنت حينما تتفكر في خلق السماوات والأرض تضع نفسك وجهاً لوجه أمام عظمة الله ، وكأن التفكر في خلق السماوات والأرض يجعلك في أوسع باب ، تدخل منه على الله ، بل يجعلك على طريق هو أقصر طريق إلى معرفة الله ، فلذلك :

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191))

(سورة آل عمران)

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم :

أقرب نجم ملتهب إلى الأرض يبعد عنا أربع سنوات ضوئية ، أقرب نجم إلينا عدا الشمس ، الشمس تبعد عنا ثماني دقائق ، هناك نجم ملتهب يبعد عنا أربع سنوات ضوئية ماذا تعني أربع سنوات ضوئية؟ الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر ، كم يقطع بالدقيقة ؟ ضرب ستين ، كم يقطع بالساعة ؟ أيضاً ضرب ستين ، كم يقطع في اليوم ؟ ضرب أربع وعشرين ، كم يقطع في السنة ؟ ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين ، كم يقطع في أربع سنوات ؟ ضرب أربعة ، هذه الرقم الكبير لو تصورنا أن لهذا النجم طريقاً ، إن أردنا أن نصل إليه بمركبة أرضية ، وانطلقنا إليه بسرعة مئة ، قسم هذه المسافة على مئة ، فالناتج كم ساعة نحتاج لنصل لهذا النجم ، قسّم على أربع وعشرين كم يوم ، قسم على ثلاثمئة وخمسة وستين يوم كم سنة ، من أجل أن نصل إلى أقرب نجم ملتهب إلى الأرض نحتاج إلى خمسين مليون عام ، الآن السؤال متى نصل إلى نجم القطب الذي يبعد عنا أربعة آلاف سنة ضوئية ؟ متى نصل إلى مجرة المرأة المسلسلة التي تبعد عنا مليونا سنة ضوئية ؟ الآن هناك نجم اكتشف يبعد عنا أربعة وعشرين مليار سنة ضوئية ، الأربع سنوات ضوئية تحتاج إلى سير لهذا النجم أكثر من خمسين مليون عام ، متى نصل إلى هذا النجم الذي يبعد عنا أربعة وعشرين مليار سنة ضوئية، الآن إذا قرأت القرآن الكريم :

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75)وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76))

(سورة الواقعة)

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (28))

(سورة فاطر : الآية 28)

العلماء وحدهم ولا أحد سواهم يخشى الله :

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (28))

(سورة فاطر : الآية 28)

لذلك : إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

التفكر في جسم الإنسان من آيات الله الدالة على عظمته :

لو نزلنا من السماوات إلى المرتفعات إلى الأرض إلى أقرب شيء إلى أجسامنا ، لو نزلنا إلى جسم الإنسان ، في جسم الإنسان جهاز بالغ الدقة هو حديث العالم اليوم ، جهاز المناعة المكتسب ، هذا الجهاز يتألف من كريات دم بيضاء كأنها جنود ، وهذا الجهاز يشبه الجيش بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، لماذا انتقلت فجأة من السماوات إلى جسم الإنسان ؟ لأن الله عز وجل يقول :

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

(سورة فصلت الآية : 53)

فهذا الجسم فيه جهاز المناعة المكتسب ، عناصر هذا الجهاز الكريات البيضاء ، هذه الكريات هي خمس فرق تماماً كما لو كان الجيش مؤلفاً من خمس فرق :

الفرقة الأولى : فرقة الاستطلاع مهمتها معلوماتية فقط ، هذه الكرية البيضاء تقترب من الجرثوم ، تأخذ شيفرته الكيماوية فقط ، وتأخذها إلى معامل السلاح ، فهذه الفرقة الأولى فرقة الاستطلاع وهي في الجيش من أهم الفرق ، هذه الفرقة تأخذ المعلومات الدقيقة عن الجرثوم ، وتدفعها إلى معامل السلاح كي تصنع هذه المعامل مصلاً مضاداً لهذا الجرثوم.

الفرقة الثانية : فرقة تصنيع السلاح مهمتها تصنيع السلاح ، تصنع هذا المصل المضاد للجرثوم ، لكن الذي لا يصدق أن هذه الفرقة الثانية تتمتع بذاكرة عجيبة لو جاء جرثوم الكوليرا مثلاً وصنع هذا المعمل مصلاً مضاداً لهذا الجرثوم ، وعاد الجرثوم بعد سبعين عاماً ، في ملف الجهاز هذا المصل المضاد وترتيبه ، فلذلك لولا هذه الذاكرة القوية لما كان هناك من معنى للمناعة وللتلقيح إطلاقاً .

الفرقة الثالثة : فرقة قتالية هم سلاح المشاة تقريباً ، حينما يأتي الجرثوم هذا السلاح يحمل المصل المضاد ، ويقاتل هذا الجرثوم ، وتنشأ معركة طويلة وحادة ، بقايا المعركة من جثث ، تأتي فرقة رابعة تنظف أرض المعركة هي فرقة الخدمات ، فبين فرقة استطلاع إلى فرقة تصنيع سلاح إلى قسم يقاتل

إلى فرقة تنظف أرض المعركة ، بقي فرقة خامسة اكتشفت عام 1967م " اسمها فرقة المغاوير " هذه قادرة على اكتشاف الجرثوم السرطاني في الإنسان والتهامه فوراً ، ولولا هذه الفرقة لكان معظم الناس مصابين بالسرطان.

أيها الأخوة الكرام ، شيء دقيق جداً أن الخلية السرطانية لها قامع يقمعها أن تكون فعالة ، هذا القامع متى يفك ؟ يفك بالشدة النفسية ، الخوف ، القلق ، الحقد ، هذه الشدة النفسية التي هي مظهر لهذا العصر هي وراء ارتفاع نسب الأورام الخبيثة ، لأن هذه الشدة النفسية تضعف الجسم ، بمعنى أنها تزيل القامع الذي يقمع الخلية السرطانية من أن تفعل في الجسم ، فلذلك التوحيد راحة نفسية ، التوكل على الله راحة نفسية ، الطاعة لله راحة نفسية ، الوصول إلى الله راحة نفسية ، وكأن التوحيد هو صحة بالمعنى المادي بالضبط ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

شيء آخر : يفك هذا القامع الذي يقمع الخلية السرطانية من أن تفعل هو مشتقات البترول ، ومشتقات البلاستيك مع الحرارة والحموضة ، وآخر الأشياء الإشعاع النووي ، هذه أربعة أسباب تفك قامع الخلية السرطانية فتفعل الفعل الذي ينتهي بالإنسان إلى الموت .

آيات الله الكونية و التكوينية :

أيها الأخوة الكرام :

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

(سورة فصلت الآية : 53)

في النفس آيات كثيرة ، كما قلت هناك آيات كونية ، وهناك آيات تكوينية أفعاله :

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(7))

(سورة القصص)

في الآية ، أمران ، ونهيان ، وبشارتان ،

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ)

الأمر الأول ،

(فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ)

الأمر الثاني .

(وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي)

النهيان .

(إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ)

البشرى الأولى .

(وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)

معنى ذلك أن هذه الأم الرحيمة حينما ألقت بابنها الوليد في صندوق في النيل من الذي يُسيّر هذا الصندوق ؟ من ساقه إلى قصر فرعون ؟ من جعله يقف أمام عود على شاطئ هذا القصر ؟ من ألهم امرأة فرعون أن تنزل إلى ساحل النهر ؟ من جعلها تتعلق بهذا الغلام ؟ هذا فعل الله ، هناك آيات تكوينية هي أفعاله ، وهناك آيات كونية هي خلقه :

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(7))

(سورة القصص)

هذه من آيات الله الدالة على عظمته كآية تكوينية ، كآية أفعاله .

أروع ما في الآية التالية أن الله عزّ وجل قلبها إلى قانون :

الآن لو أردنا أن نأخذ آية ثانية ، سيدنا يونس حينما رأى نفسه فجأة في بطن الحوت ، قال تعالى :

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ)

قال علماء التفسير : في ظلمة بطن الحوت ، وفي ظلمة الليل ، وفي ظلمة البحر :

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ (88))

(سورة الأنبياء)

أروع ما في الآية أن الله عز وجل قلبها إلى قانون قال تعالى :

(وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

أيها الأخ المؤمن ، هل من مصيبة أكبر من أن تجد نفسك في بطن حوت ، في ظلمة بطن الحوت ، وفي ظلمة الليل ، وفي ظلمة البحر :

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ (88))

(سورة الأنبياء)

ثم قلبت إلى قانون :

(وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88))

(سورة الأنبياء)

هذا عن آياته التكوينية أفعاله ، فماذا عن آياته القرآنية ؟

الآية التالية من آيات الله عز وجل القرآنية :

سيدنا يوسف هذا النبي الكريم الذي ائتمر أخوته على قتله عن طريق وضعه في الجب ، ما الذي حصل ؟ الذي حصل أن هذا الطفل الوديع الصغير ، الذي وجد نفسه في الجب ، استخرج من الجب وفي النهاية صار عزيز مصر ، في السورة وهي أطول قصة في القرآن الكريم آية واحدة تقول :

(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

(سورة يوسف)

فهناك آيات كونية ، و هناك آيات تكوينية ، و هناك آيات قرآنية .

أيها الأخوة الكرام ، أرجو الله سبحانه وتعالى أن ننتفع جميعاً بهذه الحقائق الناصعة ، التي تهدي الإنسان إلى طريق سلامته وسعادته .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسان هو المخلوق الأول و المكرم و المكلف :

أيها الأخوة الكرام ، نحن في رمضان ، ونحن في العشر الأخير منه ، وهذا الشهر في أساسه امتناع عن الطعام والشراب وسائر المفطرات ، وعن اللقاء الزوجي ، من طلوع الشمس الصادق على غروب الشمس ، إذاً هناك شهوات أودعها الله في الإنسان ما دور هذه الشهوة ؟

بادئ ذي بدء أن الله سبحانه وتعالى ما أودع فينا الشهوات إلا لنرقى بها إلى رب الأرض والسماوات ، ولكن الإنسان إذا قرأ القرآن يجد أن الإنسان أي هو المخلوق الأول لقوله تعالى :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)

(سورة الأحزاب)

والإنسان هو المخلوق المكرم :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)

(سورة الإسراء)

والإنسان هو المخلوق المكلف ، مكلف أن يعبد الله :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات)

السعادة الأبدية هي الهدف الكبير من خلق الإنسان :

العبادة في أدق تعاريفها : طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية . في هذا التعريف جانب معرفي يؤكده القوة الإدراكية التي أودعها الله فينا ، ومهمة الإنسان أن يبحث عن الحقيقة ، أن يطلب العلم ليؤكد إنسانيته ، وفي هذا التعريف جانب سلوكي الاستقامة والعمل الصالح ، وما لم يستقم الإنسان على أمر الله لن يقطف من ثمار الدين شيئاً ، وما لم يتقرب إلى الله بالعمل الصالح لن يسعد .

والعبادة : طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية . والسعادة الأبدية هي الهدف الكبير من خلق الإنسان ، لأن الله عز وجل يقول :

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)

(سورة هود الآية : 119)

خلقهم ليرحمهم ، لكن كما أن السيارة صنعت من أجل أن تسير وفيها مكابح ، والمكابح بشكل أو بآخر تتناقض مع علة صنعها ، المكابح توقفها ولكن المكابح تعد ضماناً لسلامتها ، لذلك المصائب تأتي لحكمة بالغة بالغة هي ضمانة لسلامة الإنسان ، أو إبعاد له عن أن يسلك مسلكاً يؤدي به إلى الشقاء الأبدي :

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

(سورة السجدة)

المؤمنون يعبدون الله بدافع الحب والرجاء و الخوف :

إذاً العبادة طاعة طوعية ، سلوك ، التزام ، انضباط ، عمل ، استقامة ، طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، ما عبد الله من أطاعه ولم يحبه ، بل ما عبد الله من يحبه ولم يطعه ، لأن الله عز وجل ما أراد أن تكون العلاقة به علاقة قهر ، أراد أن تكون العلاقة به علاقة حب ، فقال :

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

(سورة البقرة الآية : 256)

قال تعالى :

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

(سورة المائدة الآية : 54)

قال تعالى :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

(سورة البقرة الآية : 165)

العبادة : طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية ، الأقوياء يطاعون قسراً ، لكن المؤمنين يعبدون الله بدافع الحب ، بدافع الرجاء ، بدافع الخوف ، يعبدونه رغباً ورهباً ، كما قال الله عز وجل ، إذاً هي طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية :

((ما اتخذ الله ولياً جاهلاً لو اتخذه لعلّمه))

[من كشف الخفاء]

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل .

تعريف العبادة : طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية .

الله عز وجل حينما كلف الإنسان أن يعبده أعطاه مقومات هذه العبادة :

إذاً الله عز وجل كلف الإنسان أن يعبده ، وحينما كلفه أن يعبده أعطاه مقومات هذه العبادة ، من هذه المقومات أعطاه الكون مظهراً لأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى :

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (180))

(سورة الأعراف)

أسماؤه الحسنى ، الحكيم ، العليم ، القدير ، الغني ، الرحيم ، كل هذه الأسماء ظاهرة بشكل واضح في الكون ، إلا أن اسم العدل محقق جزئياً في الدنيا ، وسوف يحقق كلياً يوم القيامة ، لأن الله سبحانه وتعالى يؤكد هذا المعنى بآيات كثيرة :

(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ)

(سورة الروم الآية : 27)

(لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى)

(سورة طه)

الله عز وجل في كل شيء له آية تدل على أنه واحد :

أيها الأخوة الكرام ، فالعبادة جانب منها معرفي هو السبب ، وجانب منها سلوكي هو الأصل ، وجانب منها جمالي هو النتيجة ، لكن حينما كلفنا الله أن نعبده ، وأراد أن تكون هذه العبادة عن حبٍّ ومبادرة واختيار أعطانا مقومات هذه العبادة ، أعطانا كوناً لا نهائياً ينطق في كل آياته بعظمة الله عز وجل ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد .

مثلاً : البعوضة في رأسها مئة عين ، وفي فمها ثمانية وأربعون سناً ، وفي صدرها ثلاثة قلوب ، قلب مركزي ، وقلب لكل جناح ، وفي كل قلب أذينان وبطينان ودسامان ، وزن البعوضة واحد على ألف من الغرام ، تملك البعوضة جهازاً لا تملكه الطائرات ، تملك جهاز استقبال حراري ، إنها ترى الأشياء لا بأشكالها ، ولا بأحجامها ، ولا بألوانها ، حساسية هذا الجهاز الحراري واحد على ألف من الدرجة

المئوية ، تملك جهاز تحليل دم ، وجهاز تخدير ، تملك جهاز تمييع ، خرطوم البعوضة فيه ست سكاكين، أربع سكاكين لإحداث جرح مربع ، وسكينان يلتئمان على شكل أنبوب لامتصاص الدم .

الله عز وجل أعطى الإنسان عقلاً و فطرة و شهوة و حرية :

الله عز وجل جعل الكون مظهراً لأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى :

(إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

(سورة البقرة الآية : 26)

أعطاه العقل أداة معرفة الله عز وجل ، مبادئه الثلاثة ، مبدأ السببية ، الغائية ، وعدم التناقض ، هذه مبادئ الكون أيضاً ، تطابق مبادئ العقل مع مبادئ الكون شيء رائع جداً ، فكأن العقل أصبح أداة لمعرفة الله عز وجل .

شيء آخر : أعطاه فطرة متوافقة مع الشرع توافقاً دقيقاً جداً ، لأن الله عز وجل ولف الإنسان ، وبرمجه ، وفطره ، على المنهج الإلهي :

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)

(سورة الروم الآية : 30)

تطابق الفطرة مع منهج الله عز وجل تطابقاً تاماً ، إذاً أعطاه كوناً ، أعطاه عقلاً، أعطاه فطرة ، الآن أعطاه شهوة ، أعطاه قوة محركة :

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة آل عمران الآية : 14)

بكلمة مختصرة لولا الشهوات لا نرتقي إلى رب الأرض والسماوات ، الشهوة هي القوة المحركة ، كأنها المحرك في السيارة ، في السيارة مقود هو العقل ، وفي السيارة محرك هي الشهوة ، وفي الحركة طريق هو الشرع ، مهمة العقل أن يقود المركبة بقوة المحرك ليبقيها على الطريق المعبد ، هذا مثل دقيق للإنسان وشهوته وعقله وحرية اختياره .

الشهوات ما أودعت في الإنسان إلا ليرتقي بها صابراً وشاكراً :

أيها الأخوة الكرام ، الشهوات ما أودعت في الإنسان إلا لنرتقي بها صابرين وشاكرين ، إذا امتنعت عن شهوة لا ترضي الله ، عن شهوة محرمة ترقى إلى الله صابراً ، وإذا فعلت شيئاً بدافع من شهوتك وفق منهج الله ترقى إلى الله شاكراً ، لذلك قال تعالى :

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ)

(سورة القصص الآية : 50)

عند علماء الأصول هناك المعنى العكسي ، المعنى المخالف ، أي أن الذي يتبع هواه وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليه ، إذاً أودع الله فينا الشهوات قوة محركة ، الإنسان كائن متحرك عنده حاجة إلى الطعام والشراب ، هذه الحاجة من أجل بقاء الفرد ، وعنده حاجة إلى الزواج ، حاجة الشاب إلى شابة ، والشابة إلى شاب ، هذه الحاجة من أجل بقاء النوع ، ولولا هذه الحاجة لانقرض الجنس البشري ، وعنده حاجة ثالثة إلى تأكيد الذكر ، أي هذه الحاجة تسمى في الإنسان حب التفوق ، هذه الحاجات الثلاثة حيادية هي سلم نرقى بها أو دركات نهوي بها ، بإمكان الإنسان أن يرقى إلى الله بشهوة تحرك من خلالها وفق منهج الله ، الآية التي ذكرتها قبل قليل :

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ)

(سورة القصص الآية : 50)

المعنى المخالف ، أي أن الذي يتبع هواه وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليه.

سلامة وجود الإنسان لا تكون إلا بتطبيق تعليمات الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ، كما ذكرت كثيراً الإنسان جُبل على حبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ كمال وجوده، وعلى حبّ استمرار وجوده ، سلامة وجوده بتطبيق تعليمات الصانع ، لأن الإنسان أعقد آلة في الكون، ولهذه الآلة المعقدة بالغة التعقيد صانع حكيم ، ولهذا الصانع الحكيم تعليمات التشغيل والصيانة ، فطاعة الله عز وجل هي التي ينبغي أن تكون ، لأن الجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها .

أيها الأخوة الكرام ، الإنسان كائن متحرك ، وهذه الشهوات تماماً إن صحّ التعبير كالوقود السائل في المركبة ، إن وضع في المستودع المحكم ، وسار في الأنابيب المحكمة، وانفجر في الوقت المناسب ، وفي المكان المناسب ، ولّد حركة نافعة ، أقلتك أنت وأهلك إلى مكان جميل ، ما الذي يجري في الطريق وأنت تستمتع بالمناظر الطبيعية ؟ عملية انفجارات لكن منضبطة تتم في وقت محدد وفي مكان محدد ، هذه الانفجارات تولد هذه الحركة ، صفيحة البنزين نفسها إذا صبّ هذا الوقود على المركبة ، وأصابته شرارة ، أحرق المركبة ومن فيها .

أنا أقول دائماً : الإنسان إذا تزوج وكان مؤمناً ، وتزوج مؤمنة ، وأنجب أولاداً أطهاراً ، رباهم تربية إيمانية ، وعلمية ، واجتماعية ، وخلقية ، ونفسية ، من هذا الزواج يكون كم كبير من الأولاد الذين

جلبوا الكنائن ، ومن البنات اللواتي جلبن الأصهار ، ومن الأحفاد هذا الكم الكبير ، هذا بسبب هذه الشهوة التي أودعها الله في الإنسان .

لذلك أيها الأخوة الكرام ، ما أودع الله فينا الشهوات إلا لنرقى بها مرة شاكرين ومرة صابرين إلى رب الأرض والسماوات .

الشهوة سلم نرقى بها أو دركات نهوي بها :

شيء آخر : ليس في الإسلام حرمان إطلاقاً ، بمعنى أنه :

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة آل عمران الآية : 14)

ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل قناة نظيفة تسري خلالها ، ليس في الإسلام حرمان ، في الإسلام تنظيم ، هذه الشهوات من أجل أن نرقى بها إلى رب الأرض والسماوات ، إذاً سلم نرقى بها أو دركات نهوي بها .

الحاجة إلى تأكيد الذات و التفوق حاجة أودعها الله عز وجل في الإنسان :

أيها الأخوة الكرام ، الإنسان أودع الله فيه حاجة إلى تأكيد الذات ، أن يكون متفوقاً ، حينما يخدم أمته ، حينما يعلم العلم ، حينما ينفق ماله ، يرقى بهذا الإنفاق وبهذا التعليم إلى رب الأرض والسماوات ، الحاجة إلى تأكيد الذات ، الحاجة إلى التفوق ، كانت محققة بعمل صالح ، بعمل خير ، لذلك العظماء نذكرهم كل يوم ، لأنهم قدموا للإنسانية شيئاً عظيماً ، فلماذا يكون الإنسان خمولاً ؟ أي ملايين مملينة ، مليارات مملیرة جاءت إلى الدنيا وكبرت وتزوجت وأنجبت وماتت ولم يعلم بها أحد ، لكن العلماء الكبار ، القواد العظام ، الفاتحين القواد العظام ، الذين هم أعلام الأمة ، هؤلاء تألقوا لأن الله عز وجل خلق في الإنسان حاجة إلى التفوق ، فلمَ لا تلبى هذه الحاجة وفق المنهج الإسلامي ؟ هناك من يلبي هذه الحاجة بالبذخ ، والإسراف ، والإنفاق غير المعقول ، أحياناً تكلف بعض الأعراس ملايين ومئات الشباب يتمنون غرفة يتزوجون بها ، فبذلك في الإنفاق هناك منهج ، قال تعالى :

(وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (195))

(سورة البقرة)

إن لم تنفقوا فلابدّ من إنفاق خير ، إذاً هذه الشهوات التي أودعها الله فينا ما أودعنا فينا إلا لنرقى بها شاكرين وصابرين .

الحكمة من جعل الكسب الحلال صعباً و الكسب الحرام سهلاً :

بالمناسبة هذه الشهوة ترقى بها مرتين ، لو امتنعت عن مال حرام لا يرضي الله ترقى إلى الله صابراً ، تقول : معاذ الله إني أخاف الله رب العالمين ، مع أن الحرام سهل جداً والحلال صعب جداً ، ولحكمة بالغة بالغة جعل الكسب الحلال صعباً ، كي يمتحن الإنسان ، وجعل الكسب الحرام سهلاً ، لو أن الآية عكست لو الكسب الحلال سهل لأقبل الناس على الحلال جميعاً ، وهم لا يعبدون الله عز وجل ، لكن حكمته البالغة أن جعل الكسب الحلال صعباً ليكون امتحاناً للإنسان ، وجعل الكسب الحرام سهلاً ، إذاً أودع في الإنسان الشهوات ليمتحننا :

(وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ)

(سورة المؤمنين)

هذه الشهوة في كل إنسان ، حتى الأنبياء هم بشر ، وتجري عليهم كل خصائص البشر ، لذلك كانوا سادة البشر ، رأى الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ سيدنا حنظلة يبكي في طرقات المدينة ، وقال له : " يا حنظلة مالك تبكي ؟ " فقال حنظلة : " نافق حنظلة " ، قال : " ولِمَ يا أخي ؟ " ، قال : " نكون مع رسول الله ، ونحن والجنة كهاتين . سيدنا الصديق لكماله الشديد ولذوقه الرفيع ، قال : " يا أخي أنا كذلك ـ أنا مثلك ـ انطلق بنا إلى رسول الله " وعند النبي عليه الصلاة والسلام حدَّثاه عن حال حنظلة ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا ، أما أنتم يا أخي فساعة وساعة ، لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة ، ولزارتكم في بيوتكم))

[مسلم عن حنظلة]

كلما ارتقى الإنسان عند الله أراد عملاً صالحاً يقربه من الله عز وجل :

أي في النفس حاجة إلى القرب من الله ، في النفس حاجة إلى الاتصال به ، لأن في النفس فراغاً لا يملأه المال وحده ، ولا المنصب الرفيع ، ولا المتع الجمالية ، في النفس فراغ لا يملأه إلا الإيمان ، فإذا آمنت استقرت نفسك ، لأن الإنسان خلق لهدف كبير ، فإذا اختار هدفاً صغيراً محدوداً ووصل إليه بدأ شقاؤه ، لذلك أنا أتصور أن انحرافات أهل الغرب الأخلاقية بسبب الملل ، لا يوجد هدف كبير ، أي أعظم ما في حياة المسلم أن له هدفاً ، هدفه الدخول إلى الجنة ، في أقل مستويات هدفه أن يرضي الله ، هدفه أن يعم خيره أهل الأرض ، فكلما ارتقى الإنسان عند الله أراد عملاً صالحاً يقربه من الله عز وجل، وقد قال تعالى :

(وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (10))

(سورة فاطر)

علة وجود الإنسان بعد الإيمان بالله العمل الصالح :

بل إن علة وجود الإنسان بعد الإيمان بالله العمل الصالح ، بالعمل الصالح ترقى إلى الله ، والشهوات أداة الحركة ، لولا الشهوات ما اندفعنا إلى العمل الصالح ، أنت بحاجة إلى الطعام ، تنطلق إلى العمل في العمل تمتحن إما أن تصدق أو لا تصدق ، إما أن تنصح أو لا تنصح ، بدافع الطعام والشراب اندفعت إلى عمل ، العمل هو الامتحان ، هو الذي أراد الله منه أن تمتحن وأن تفرز :

(مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)

(سورة آل عمران الآية : 179)

هذا الوهم عند بعض الناس أن الشهوات هي سبب العذاب في الآخرة ، لا ، لولا الشهوات التي أودعها الله فينا لما ارتقينا إلى رب الأرض والسماوات ، بالشهوات نندفع إلى الله عز وجل ، أي الشهوة دائماً يمكن أن تتحرك بها مئة وثمانين درجة تقريباً ، للتقريب سمح الله لك بمئة درجة ، إن كانت هذه الحركة وفق هذا الحيز المسموح به ، فأنت في أمن وسلام:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)

(سورة فصلت الآية : 30)

استقام على أمر الله ، أي أوقع حركته في الحياة الدنيا وفق الحيز المسموح ، في المرأة في الزوجة والمحارم ، لا يوجد عشيقة في الإسلام ، في الجانب الجنسي هناك زوجة ومحارم ، في المال هناك الكسب المشروع من تجارة أو صناعة أو زراعة أو خدمة ، أما الاغتصاب والسرقة ومئات مئات الأساليب التي لا ترضي الله في كسب المال ، فأنت في المال مقيد بحيز مشروع ، مع المرأة مقيد بحيز مشروع ، فالإيمان أن توقع الحركة في الدنيا وفق هذا الحيز الذي سمح الله به ، فلذلك الشهوة يمكن أن تتحرك بها مئة وثمانين درجة لكن الشرع فرضاً سمح لك بمئة درجة ، من هو المؤمن ؟ هو الذي تحرك وفق هذا الحيز المسموح به .

زوال الكون أهون على الله من أن يعامل المؤمن كما يعامل غير المؤمن :

لذلك :

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

(سورة الجاثية)

أي مستحيل وألف ألف مستحيل ، زوال الكون أهون على الله من أن يعامل المؤمن كما يعامل غير المؤمن ، أو أن يعامل غير المؤمن كما يعامل المؤمن :

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

(سورة الجاثية)

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ)

(سورة السجدة)

(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35)مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36))

(سورة القلم)

الله عز وجل يبين أن هناك حساباً دقيقاً في الدنيا والآخرة ، بل في قوله تعالى :

(سَوَاءً مَحْيَاهُمْ)

دعك من الآخرة مبدئياً في الدنيا حياة المؤمن غير حياة غير المؤمن ، هناك طمأنينة ، و هناك صلة بالله ، وهناك أمن ، واستقرار ، و شعور بالتفوق ، هذه كلها مشاعر مسعدة .

فلذلك أيها الأخوة ، ما أودع فينا الشهوات إلا لنرقى بها إلى رب الأرض والسماوات ، مرة شاكرين ومرة صابرين ، وما أودع فينا الشهوات إلا وجعل لها قنوات نظيفة تسري خلالها .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - ومضات قرآنية - الدرس (07-10) : العمل الصالح
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-09-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل الصالح :

أيها الأخوة الكرام ، أحياناً يكون هناك كتل كبيرة في الدين ، أساسيات الدين ، كليات الدين ، منها معرفة الله ، منها الاتصال بالله ، منها الاستقامة على أمر الله ، منها العمل الصالح تقرباً إلى الله ، فالحديث اليوم عن العمل الصالح ، لكن هناك من يتوهم أن العمل الصالح هو الاستقامة ، أو من يتوهم أن الاستقامة هي العمل الصالح ، ولكن هناك فرق دقيق بينهما ، إلا أنني سأورد مثالاً تمهيدياً ، الله عز وجل ذكر الفقراء في قرآنه ، وذكر المساكين، وذكر الفقراء والمساكين معاً ، قال علماء التفسير :
الفقراء والمساكين إذا اجتمعا تفرقا وإذا تفرقا اجتمعا ، أي إذا قلنا : الفقراء يعني الفقراء والمساكين ، وإذا قلنا : المساكين يعني الفقراء والمساكين ، إذا قلنا : الفقراء والمساكين ، الفقراء هم الذين لا تكفيهم دخولهم ، لهم دخل لكن لا يكفي ، أما المساكين ليس لهم دخل إطلاقاً .

الفرق بين الاستقامة و العمل الصالح :

كتمهيد للاستقامة والعمل الصالح ، إذا قلنا : استقامة نعني بها الاستقامة على أمر الله والعمل الصالح ، وإذا قلنا : العمل الصالح نعني به الاستقامة على أمر الله والعمل الصالح، أما إذا قلنا : الاستقامة والعمل الصالح ، الاستقامة شيء والعمل الصالح شيء آخر ، الاستقامة امتناع ، يقول لك المستقيم أنا ما كذبت، ما غششت المسلمين ، ما اغتبت ، ما افتريت ، ما فعلت ، ما تركت ، كل هذه الكلمات مسبوقة بما ، إذاً الاستقامة امتناع ، بشكل أو بآخر ، طريق إلى الله ممتلئ بالصخور والعقبات والأكمات ، فالاستقامة تعني أن تزيل كل هذه العقبات عن هذا الطريق ليكون سالكاً إلى الله ، فكل معصية تعد عقبة كأداء في طريق الوصول إلى الله ، فإذا استقمت على أمر الله ، تركت الغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والاحتيال، والغش ، وما إلى ذلك ، تركت كل المحرمات فأنت مستقيم ، أما العلم الصالح هو الحركة على هذا الطريق إلى الله ، العمل الصالح عطاء ، أعطيت من مالك ، أعطيت من علمك ، أعطيت من جاهك ، أعطيت من حكمتك ، العمل الصالح بذل وتضحية ، الاستقامة عمل سلبي ، والعمل الصالح عمل إيجابي ، ولأن الإنسان جُبل على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وعلى جبّ كمال وجوده ،

وعلى حبّ استمرار وجوده ، فالإنسان باستقامته على أمر الله يسلم ، وبالعمل الصالح ، بالعطاء ، والبذل ، والتضحية ، وإنفاق المال ، وإنفاق الوقت يسعد ، بالاستقامة تسلم وبالعمل الصالح تسعد ، وأنت مجبول أيضاً على استمرار وجودك ، وبتربية أولادك ، بغرس حقائق الإيمان عندهم ، بحملهم على طاعة الله ، يستمر وجودك ، فإذا كان هناك حاجات أساسية مطبقة في كل إنسان على وجه الأرض أن يسلم ، وأن يسعد ، وأن يستمر ، فالسلامة في استقامته ترك ما نهى الله عنه ، والسعادة في عمله الصالح واستمراره في تربية أولاده .

حجم كل إنسان عند ربه بحجم عمله الصالح :

لذلك نحن اليوم في العمل الصالح ، العمل الصالح جهد تقدمه ، مال تبذله ، خبرة تؤديها ، نصيحة تقدمها ، ولاء تعتنقه ، العمل الصالح عطاء ، العمل الصالح إيجابي ، العمل الصالح هو حجمك عند الله:

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا(132))

(سورة الأنعام)

العمل الصالح هو الذي ينفع الإنسان بعد الموت ، العمل الصالح هو الذي ينزل مع الإنسان في القبر ، إن كان كريماً أكرمه ، وإن كان لئيماً أسلمه ، ألا وهو عمله ، لذلك قال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)

(سورة البينة)

أي خير ما برأ الله قاطبة ، هذا كلام خالق الأكوان ، كلام القرآن ، كلام الواحد الديان .

الإيمان من دون عمل لا قيمة له إطلاقاً :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

ومن اللطيف أن نذكر أن كلمات الذين آمنوا في القرآن الكريم اقترنت بالعمل الصالح في أكثر من مئتي موضع ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والإيمان من دون عمل لا قيمة له إطلاقاً :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا)

(سورة الأنفال الآية : 72)

ما لم تتحرك ، ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلبك حتى تعبر عن ذاتها بحركة نحو الخلق ، لا يوجد مؤمن سكوني ، مؤمن سلبي ، مؤمن عنده إعجاب بالإسلام سلبي ، مؤمن يشيد بالإسلام ولا يفعل شيئاً،

هذا ليس مؤمناً ، ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلب المؤمن حتى تعبر عن ذاتها بحركة نحو الخلق ، لذلك اقترنت بالعمل الصالح في أكثر من مئتي مرة .

من أراد أن يكون من خير البرية فليؤمن بالله و ليعمل صالحاً :

أول آية :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)

(سورة البينة)

فإذا أردت أن تكون من خير البرية ، إذا أردت أن تكون من خير ما برأ الله ، فآمن بالله واعمل صالحاً:

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(سورة فصلت)

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)

(سورة فصلت الآية : 30)

كأن الآية الأولى :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)

تتعلق بالاستقامة ، وكأن الآية الثانية :

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً)

تتعلق بالعمل الصالح .

المؤمن يقذف الله في قلبه نوراً يريه الحق حقاً والباطل باطلاً :

الله عز وجل يقول :

(لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ(11))

(سورة الطلاق)

غير المؤمن في عمى :

(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ)

(سورة النحال الآية : 21)

(فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46))

(سورة الحج)

المؤمن يقذف الله في قلبه نوراً يريه الحق حقاً والباطل باطلاً :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ((28)

(سورة الحديد)

هذا النور هو الذي يسبق العمل ، لماذا قال سيدنا يوسف ـ عليه وعلى نبينا أفضل السلام ـ حينما دعته امرأة ذات منصب وجمال ، دعته إلى نفسها وهو غير متزوج ، وغريب ، وقد عدد العلماء أكثر من عشرة أسباب تدعوه إلى أن يوافق ، لماذا قال : معاذ الله؟ لأنه رأى نتائج الزنا ، هذه الرؤية التي يملكها المؤمن ، هذا النور الذي يقذفه الله في قلبه من خلال النص القرآني :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ((28)

(سورة الحديد)

الحق لا يتعدد أما الباطل فلا تنتهي أنواعه :

(لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (11))

(سورة الطلاق)

وهناك ملمح دقيق ؛ الظلمات جاءت جمعاً ، والنور جاء مفرداً ، لأن الحق لا يتعدد ، أما الباطل فلا تنتهي أنواعه ، تماماً كنقطتين لا يمر بينهما إلا خط مستقيم واحد ، فالحق لا يتعدد لكن يمر من هاتين النقطتين ملايين الخطوط المنحنية والمنكسرة ، أما المستقيم فخط واحد ، لذلك من الظلمات إلى النور :

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)

(سورة الأنعام الآية : 153)

المؤمن له مودة مع خالق السماوات و الأرض :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً)

(سورة مريم)

شيء سهل أن يكون لك مودة مع الله :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً)

(سورة مريم)

أن يكون لك صلة بإنسان قوي تتيه بهذه الصلة ، تذكرها لكل الناس ، تريهم صورته معك ، تريهم رقم هاتفه ، إنسان قوي أعطاك بطاقته ، أو تصورت معه ، تذكرها للناس آلاف المرات ، فكيف إذا كنت على مودة مع خالق الأرض والسماوات ؟

(إنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً)

(سورة مريم)

من يستقيم على أمر الله يستخلفه الله في

الأرض ويُمكن له ويمنحه الطمأنينة :

ثم قال تعالى :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)

(سورة النور الآية : 55)

دقق آمنوا منكم وعملوا الصالحات :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي)

(سورة النور الآية : 55)

حينما يستقيم الإنسان على أمر الله ، حينما يؤمن بالله ويعمل صالحاً ، يستخلفه الله في الأرض كما استخلف الذين من قبله ، ويمكنه في الأرض ، ويمنحه الطمأنينة ، هذه ثمار يانعة للإيمان ، فلذلك هان أمر الله على المسلمين فهانوا على الله ، إذا أقاموا أمر الله في حياتهم ، إذا آمنوا الإيمان الذي يحملهم على طاعته ، إذا عملوا الأعمال الصالحة ، يستحقون هذه الوعود وما أعظمها !

من آمن بالله و عمل صالحاً لن يندم على ما فات و لن يخاف مما هو آت :

أيها الأخوة الكرام :

(فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)

(سورة البقرة)

الماضي مغطى بعدم الحزن والندم ، والمستقبل مغطى بعدم الخوف والقلق ، وأنت من خوف الفقر في فقر ، وفي خوف المرض في مرض ، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

(سورة الشعراء)

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا)

(سورة التوبة الآية : 51)

هذه الآية دقيقة جداً :

(فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)

(سورة البقرة)

هذا من عطاءات الله للمؤمن الذي أكد إيمانه بالعمل الصالح :

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (42))

(سورة الأعراف)

من استخدم عقله لمعرفة الله والتقرب منه يكون في أعلى عليين :

الله عز وجل حينما كلفنا أن نؤمن ، وحينما كلفنا أن نستقيم ، وحينما كلفنا بالعمل الصالح ، هذه الأشياء ضمن وسع الإنسان ، لأن الله عز وجل هو الخبير ، هو يعلم ، ماذا نستطيع أن نفعل ، ودائماً وأبداً الشيء الذي تتوهم أنك لا تستطيع أن تفعله هو الشيء الذي لا تريد أن تفعله ، الإنسان عنده طاقات عظيمة جداً ، عنده طاقات كبيرة جداً ، حينما أعمل عقله ركب الطائرة ، ووصل إلى أطراف الدنيا ، ونقل الصورة الملونة ، ونقل الصوت ، ونقل النص عبر الفاكس ، حينما استخدم عقله ، وصدق فحقق إنجازات مذهلة ، فإذا استخدم عقله لمعرفة الله والتقرب منه يكون في أعلى عليين .

الله عز وجل مع المؤمنين ينصرهم ويوفقهم ويحفظهم ويعلي قدرهم :

أيها الأخوة الكرام ، الآن :

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ (9))

(سورة يونس)

هناك متابعة من الله عز وجل ، هناك ملائكة تلهمك الخير ، هناك تسديد لخطاك، هناك توفيق :

(وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الأنفال)

قال العلماء : هذه معية خاصة ، أي معية التوفيق ، معية النصر ، معية النجاح ، معية التفوق ، معية التألق :

(وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الأنفال)

معية خاصة ؛ ينصرهم ، ويوفقهم ، ويحفظهم ، ويعلي قدرهم :

(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)

(سورة الحديد الآية : 4)

هذه معية عامة مع كل إنسان بعلمه ، لذلك أيها الأخوة الكرام :

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ (9))

(سورة يونس)

يسوقهم إلى طرق سعادتهم .

المؤمن متميز بمعاملة خاصة من الله تعالى :

شيء آخر وهذه الآية مهمة جداً :

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ)

(سورة الجاثية الآية : 21)

صدقوا أيها الأخوة من سابع المستحيلات بل زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، المؤمن متميز بمعاملة خاصة :

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ)

(سورة الجاثية الآية : 21)

في دنياهم ، في بيوتهم ، في زواجهم ، في صحتهم ، في تربية أولادهم ، في نجاحاتهم ، في أعمالهم :

(أ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ)

الدنيا قبل الآخرة :

(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)

(سورة الرحمن)

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

(سورة الجاثية)

بطولة الإنسان لا أن يعيش الماضي مفتخراً بل يعيش المستقبل :

أيها الأخوة الكرام ، الإنسان حينما يأتيه ملك الموت لا يندم إلا على شيء واحد، يندم على ساعة مضت لم يكن فيها عمل صالح يقربه إلى الله :

((صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من تنفلكم خير له من كل دنياكم))

[ورد في الأثر]

البطولة لا أن تعيش الماضي مفتخراً ، ولا أن تعيش الحاضر منهمكاً ، بل أن تعيش المستقبل ، والمستقبل فيه أخطر حدث وهو مغادرة الدنيا ، في بعض البلاد إذا كتب على الجواز مغادرة من دون رجوع لا يستقر قراره ، فإذا كان الموت مغادرة من دون عودة ما الذي يحصل ؟

فلذلك البطولة أن تعيش المستقبل ، وحينما تعيش المستقبل تستثمر الوقت استثماراً ولا تستهلكه استهلاكاً ، استثمار الوقت أن تفعل في الوقت الذي سينقضي عملاً ينفعك بعد مضي الوقت ، لذلك المؤمن يبحث عن الحقيقة ، يبحث عن مدارج السالكين ، عن إيمان المؤمنين ، يعمق إيمانه بالله موجوداً وواحداً وكاملاً ، يعمق فهمه لأسماء الله الحسنى ، يعمق فهمه لمنهج الله ، المؤمن يبحث عن أسباب سعادته ، فلذلك الإنسان ديدنه بل حجمه عند الله بحجم عمله الصالح .

أحبَّ الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإنْ قلَّ :

أيها الأخوة الكرام ، لكن النبي عليه الصلاة والسلام يطمئننا ويقول :

((أحبَّ الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإنْ قلَّ))

[متفق عليه عن عائشة أم المؤمنين]

فالبطولة الثبات ، والثبات كما يقولون نبات ، إذا صليت قيام الليل فليكن هذا العمل دائماً ، إذا تصدقت من مالك فلتكن هذه الصدقة مستمرة ، إذا حضرت مجلس علم فليكن هذا الحضور مستمراً ، إذا وصلت أقاربك فلتكن هذه الصلة مستمرة :

((أحبَّ الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإنْ قلَّ))

[متفق عليه عن عائشة أم المؤمنين]

أعظم كسب المسلمين أولادهم وتربية الأبناء من أعظم الأعمال :

لكن الآن هناك حديث :

((إذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقطعَ عَنْهُ عَمَلُهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

توقف عمله لكن التعليق المخيف ويل ثم ويل ثم ويل لمن ليس له عمل ينقطع عند الموت .

غرق في الدنيا ، غرق في شهواتها ، غرق في مباهجها ، غرق في الملهيات ، غرق في المسلسلات ، وابتعد عن خالق الأرض والسماوات ، فهذا إذا جاءه ملك الموت ليس معه عمل ينقطع ، أنا أتصور مؤمنا كبيراً له أعمال كالجبال :

((إذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقطعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

ولم يبق في أيدي المسلمين من ورقة رابحة إلا أولادهم ، وأعظم كسب المسلمين أولادهم ، وتربية الأبناء من أعظم الأعمال ، ويمكن أن نواجه القنبلة الذَّرية بقنبلة الذُّرية :

((أفضل كسب الرجل ولده))

[الطبراني عن أبي بردة بن نيار]

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ (21))

(سورة الطور)

أيها الأخوة الكرام ، مرة ثانية حجمك عند الله بحجم عملك الصالح ، ولكن هذا العمل الصالح يكون عظيماً جداً إذا استمر بعد الموت ، لذلك كم من عالم جليل تذاع دروسه بعد موته لسنوات وسنوات وكأنه لم يمت ، وكم من منحرف دخيل تذاع سقطاته بعد وفاته ، فلذلك البطولة أن يستمر العمل بعد الموت هذا هو العمل الذي لا ينقضي .

من مقومات العمل الصالح اتساع الرقعة وامتداد الأمد وقوة التأثير :

شيء آخر أيها الأخوة الكرام ، الآن كلما اتسعت رقعة العمل فشملت أعداداً كبيرة من البشر كان العمل أعظم عند الله ، النبي عليه الصلاة والسلام جاء بهذه البعثة فعمّ الهدى معظم بلاد الأرض ، ربع سكان الأرض من المسلمين ، كلما اتسعت رقعة العمل كان هذا العمل أعظم عند الله ، وكلما امتد أمده كان هذا العمل أعظم عند الله ، أي ألف وأربعمئة سنة هذا الإسلام باق وسيستمر كالطود الشامخ ، وكلما عمق التأثير كان هذا العمل أعظم عند الله ، فاتساع الرقعة ، امتداد الأمد ، قوة التأثير ، هي من مقومات العمل الصالح ، ومرة ثانية حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح :

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)

(سورة الكهف الآية : 110)

في الدنيا وفي الآخرة .

العمل الذي يرضى الله عنه ما كان خالصاً وصواباً :

لكن لا بد من التنويه أن هذا العمل قيمته بالإخلاص ، لذلك قال الفضيل بن عياض : ما العمل الذي يقبل عند الله ؟ ما كان خالصاً وصواباً ، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة ، وكلاهما شرط لازم غير كاف ، فإن لم يكن وفق منهج الله لا يقبل هذا العمل ، وإن كان وفق منهج الله ولم يكن خالصاً لا يقبل هذا العمل ، العمل الذي يقبل عند الله :

(وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ)

(سورة النمل الآية : 19)

العمل الذي يرضى الله عنه ما كان خالصاً وصواباً ، خالصاً ما ابتغي به وجه الله وصواباً ما وافق السنة ، أرجو الله أيها الأخوة الكرام ، أن تنقلب هذه الحقائق ، وهذه الدروس القرآنية ، والأحاديث النبوية ، إلى واقع ، إلى عمل صالح يعمله المسلمون ، ليرقوا عند الله ، وليكون هذا العمل سبباً لدخولهم الجنة ، فحجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح:

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

(سورة الأنعام الآية : 132)

(وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (10))

(سورة فاطر)

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - ومضات قرآنية - الدرس (08-10) : الدعاء
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-09-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل العبادة أن تتوجه إلى الله وتعتمد عليه :

أيها الأخوة الكرام ، آيات الدعاء :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (186))

(سورة البقرة)

وهذه الآيات وردت ضمن آيات الصيام ، فما الحكمة من الدعاء ؟ الحقيقة الأولى أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((الدعاء هو العبادة))

[الترمذي عن النعمان بن بشير]

أصل العبادة أن تتوجه إلى الله ، أن تعتمد على الله ، أن تتوكل على الله ، أن ترجو الله ، أن تخاف من الله ، أن تسأل الله ، العبادة هي الدعاء والدعاء هو العبادة :

((الدُّعاءُ مُخُّ العبادةِ))

[أخرجه الترمذي عن أنس]

لمجرد أن يدعو الإنسان الله عز وجل فهو قطعاً مؤمن بوجوده و بأنه يراه و يسمعه :

على كلٍّ : الآية الأصل في هذا الموضوع قوله تعالى :

(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ (77))

(سورة الفرقان)

وكأن الله عز وجل يقول : إن دعوتموني أعبأ بكم وإلا لا شأن لكم عندي ، لماذا؟ أنت متى تدعو أيها الأخ الكريم ؟ متى تدعو جهة أرضية ؟ لا تدعو جهة أرضية إلا إذا كانت موجودة أمامك ، أو إلا إذا آمنت بوجودها ، لا يعقل أن تدعو من لا تؤمن بوجوده ، فلمجرد أن تدعو الله عز وجل فأنت قطعاً مؤمن بوجوده ، هذه واحدة .

أنت حينما تدعو الله عز وجل أنت قطعاً مؤمن بأنه يسمعك ، فالله سميع عليم ، إن تكلمت يسمعك ، وإن تحركت يراك ، وإن أضمرت شيئاً يعلمه ، سميع بصير عليم ، إن تكلمت فهو سميع ، وإن تحركت فهو بصير ، وإن أضمرت شيئاً فهو عليم ، بل إن الله عز وجل :

(يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)

(سورة طه)

يعلم ما أسررت ويعلم ما خفي عنك ، علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما سيكون وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون :

(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ (77))

(سورة الفرقان)

أنت حينما تدعو الله أنت قطعاً مؤمن بوجوده ، وأنت قطعاً مؤمن بأنه يسمعك ، أو أنه يراك ، أو أنه يعلم ما في نفسك .

الدعاء مع الله عز وجل لا يحتاج إلى أن تحرك شفتيك :

أما في قوله تعالى :

(إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً)

(سورة مريم)

بإمكانك في ظرف حرج ألا تحرك شفتيك ، وأن تتوجه إلى الله بقلبك داعياً ، والله عز وجل يعلم السر وأخفى ، حدثني أخ كريم قال : وأنا في الطائرة في طريقي إلى بلد أرجو أن أنال منه حظاً من المال ، خطر في بالي أن الله عز وجل إذا أكرمني سابني له مسجداً ، أقسم لي بالله ما حركت شفتي ، وبعد أن أكرمه الله بنى لله مسجداً ، الدعاء مع الله عز وجل ، الدعاء مع الله عز وجل قد لا تحتاج إلى أن تتحرك شفتيك :

(إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً)

(سورة مريم)

دعاء الإنسان لربه دليل إيمانه أن الله على كل شيء قدير :

إذاً لأنك دعوت الله أنت مؤمن بوجوده ، ولأنك دعوت الله أنت مؤمن بأنه يسمعك ، وإن تحركت يراك، وإن أضمرت يعلم ما في نفسك ، ولأنك دعوت الله فأنت مؤمن أيضاً أنه قادر على كل شيء ، تعلقت قدرته بكل شيء ، فلولا أنك مؤمن بوجوده ، وبأنه يسمعك ، وبأنه قدير على كل شيء ، ما دعوته ، بل ولأنك دعوت الله عز وجل أنت مؤمن أنه يحب أن يرحمك :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات)

ولأنك دعوت الله أنت قطعاً تؤمن أنه يحبك ، ويحب أن يرحمك ، ويحب أن يستجيب لك ، فالآن نفهم معنى الآية :

(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ (77))

(سورة الفرقان)

إذا دعوتم ربكم دعاء صحيحاً كما أمر فهذا الدعاء يعني أنك مؤمن بوجوده ، مؤمن بأنه يعلم ويسمع ويرى ، مؤمن بأنه على كل شيء قدير ، مؤمن بأنه يحبك .

إذاً الدعاء معرفة ، ولم يدعُ أحد ربه إلا إذا عرفه ، فلذلك الله عز وجل جعل الدعاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم مخ العبادة .

الله عز وجل يحب الملحين بالدعاء :

أيها الأخوة ، الآية الثانية :

(وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً (4))

(سورة مريم)

أي مستحيل وألف ألف مستحيل أن تدعوه مخلصاً وأن تشقى بهذا الدعاء ، مستحيل وألف ألف مستحيل أن يكون هذا الشيء الذي تطلبه من الله لصالحك في الدنيا إلا ويستجيب لك ، فإن لم يستجيب لك فلحكمة بالغة بالغة ، عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها، لكننا نعتقد يقيناً كما قال الله عز وجل :

(وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً (4))

(سورة مريم)

الدعاء سلاح المؤمن ، أنت بالدعاء الله عز وجل يكون بجانبك :

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ)

(سورة غافر)

الله عز وجل يريد أن تدعوه ، بل إن الله يحب من عبده أن يسأله شسع نعله إذا انقطع ، إن الله يحب من عبده أن يسأله ملح طعامه ، إن الله يحب من عبده أن يسأله حاجته كلها ، والله عز وجل يحب الملحين بالدعاء :

(وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً (4))

(سورة مريم)

شروط الدعاء :

الآن لو سأل سائل عن شروط الدعاء ، الله عز وجل يقول :

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)

(سورة غافر)

كأن هذه الآية استنبط منها النبي صلى الله عليه وسلم أن الدعاء هو العبادة :

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ)

أي بحسب المنطق أن يدعوني ،

(الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي)

إذاً الدعاء هو العبادة :

(سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)

فهذه الآية تبين أن العبادة يمكن أن تضغط بأكملها بكلمة واحدة هي الدعاء ، فالصلاة دعاء ، والصيام دعاء ، والحج دعاء ، ومع أداء الزكاة دعاء ، وموقف المؤمن من ربه يتلخص بالدعاء ، والذي لا يدعو الله عز وجل الله يغضب عليه .

ليس بين الله وعبده وسيط فالخلق كلهم عيال الله :

أيها الأخوة ، لكن لو أردنا أن نفصل في شروط الإجابة ، قال تعالى :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)

(سورة البقرة الآية : 186)

بالحقيقة هناك آيات كثيرة تزيد عن عشر آيات :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ)

(سورة البقرة الآية : 219)

(مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ)

(سورة البقرة الآية : 215)

(عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ)

(سورة البقرة الآية : 222)

آيات تزيد عن عشر آيات ، يسألونك وبين السؤال والجواب فقل ، إلا في آية واحدة تنفرد من بين كل الآيات :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي)

ليس في هذه الآية فقل

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)

بمعنى أنه ليس بين الله وعبده وسيط ، الخلق كلهم عيال الله ، سيدنا سعد بن أبي وقاص كان من أحب أصحاب رسول الله إلى رسول الله ، كان إذا دخل عليه يداعبه يقول : هذا خالي أروني خالاً مثل خالي، ما فدى أحداً من أصحابه بأبيه وأمه إلا سعداً :

((ارْمِ سَعْدٌ فِدَاكَ أَبِي وَأُمّي))

[أخرجه الشيخان عن علي بن أبي طالب]

الآن دققوا ماذا قال له سيدنا عمر بعد وفاة رسول الله ، قال له : يا سعد لا يغرنك أنه قد قيل خال رسول الله ، فالخلق كلهم عند الله سواسية ، ليس بينه وبينهم قرابة إلا طاعتهم له.

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)

(سورة الحجرات الآية : 13)

شروط الإجابة :

لذلك :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)

ليس بينك وبين الله حجاب ، ليس بينك وبين الله ترجمان ، ليس بينك وبين الله وسيط :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)

الآن :

(أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

(سورة البقرة)

أي دعاني حقيقة ، أي علقت الأمل بالله ، لم ترَ غير الله ، لم ترَ فاعلاً إلا الله ، لم تستجب لغير الله ، لم تعلق الأمل على غير الله :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (186))

(سورة البقرة)

متى أجيب ؟ وبأي شرط أجيب ؟

(فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)

(سورة الأنفال الآية : 24)

(فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

إلى الدعاء المجاب ، أي نؤمن بالله أولاً إيماناً يحملنا على طاعته ، نستجيب لأمره ، عندئذ دفعنا ثمن الدعاء المستجاب:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186))

(سورة البقرة)

إلى الدعاء المجاب ، هذه الآية تبين شروط استجابة الدعاء ، على كلٍّ أحياناً قد لا يستجيب الله الدعاء لحكمة بالغة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها .

العلماء استثنوا من شروط الدعاء المضطر و المظلوم :

إلا أن العلماء استثنوا من شروط الدعاء دعاء المضطر ، لقوله تعالى :

(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ (62))

(سورة النمل)

قالوا : الله عز وجل يجب للمضطر وإن لم تتوافر فيه الشروط برحمته التي وسعت كل شيء ، وسعت رحمتي كل شيء ، والله عز وجل يستجيب للمظلوم ولو لم تتوفر فيه شروط الدعاء بعدله ، بل ورد في بعض الأحاديث :

((اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً))

[أحمد في مسنده وأبو يعلى في مسنده والضياء عن أنس]

دعاء المظلوم يستجاب له ، توافرت في المظلوم شروط الدعاء أو لم تتوافر ، ودعاء المضطر يستجاب له توافرت في المضطر شروط الدعاء أو لم تتوافر .

الدعاء أحد أكبر دعائم الدين و رفع الصوت به ليس مستحباً :

على كلٍّ الدعاء أحد أكبر دعائم الدين ، أنت بالدعاء مع رب العالمين ، أنت بالدعاء مع أقوى الأقوياء، مع أغنى الأغنياء ، مع من بيده ملكوت السماوات والأرض ، مع من بيده أعداؤك ، مع من بيده أصدقاؤك ، مع من بيده من فوقك ، مع من بيده من تحتك ، مع من بيده من حولك ، مع من بيده جسمك، شرايين ، قلبك ، بيده كل شيء ، فأنت بالدعاء أنت مع الله ، وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟ ويا رب ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟

أيها الأخوة الكرام ، شيء دقيق هو :

(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

(سورة الأعراف)

رفع الصوت بالدعاء ليس مستحباً ، يمكن أن تدعو الله بينك وبينه ، يمكن أن تدعو الله في سرك ، يمكن أن تتوجه إلى الله بقلبك ،

(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً)

من تذلل لله رفعه :

الدعاء يحتاج إلى تذلل لله ، والشيء الدقيق أنه كلما تذللت لله رفعك الله ، وكلما رفعت نفسك أذلك الله ، الله عز وجل في آية يقول :

(وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ)

(سورة آل عمران الآية : 123)

لأنهم تضرعوا إلى الله ، وافتقروا إليه ، ودعوه أن ينصرهم ، فنصرهم ، الصحابة هم هم ، ومعهم سيد الخلق وحبيب الحق في حنين قالوا : لن نُغْلب اليوم من قلّة ، فتخلى الله عنهم ، قال تعالى :

(وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ(25))

(سورة التوبة)

إذاً أنت بين حالين ، حال التولي وحال التخلي ، إذا قلت الله ، إذا دعوت الله مخلصاً ، إذا افتقرت إلى الله ، إذا رجوت الله ، وأنت بهذا الحال تكون أقوى الأقوياء ، وأعلم العلماء ، أما إذا اعتززت بقوتك ، أو بشيء من متاع الدنيا ، يتخلى الله عنك ، فأنت بين التولي والتخلي ، تقول : الله يتولاك ، تقول : أنا بخبراتي ، بعلمي ، بتجاربي ، بمن حولي ، بعشيرتي ، بأسرتي ، بأولادي ، يتخلى عنك ، هذا هو التوحيد ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

المؤمن الصادق يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ويتوكل على الله وكأنها ليست بشيء :

المؤمن الصادق يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ويتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، حينما يأخذ بالأسباب يأخذها تعبداً ، لأن الله عز وجل أمرنا أن نأخذ بالأسباب :

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83)إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84)فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85))

(سورة الكهف)

ينبغي أن تأخذ بالأسباب ، عليك بالكيس ، عليك بالسعي ، عليك أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، ذلك أن العالم الغربي أخذ بالأسباب، واعتمد عليها ، بل وألهها ، ونسي الله عز وجل ، فوقع في وادي الشرك ، والعالم في المشرق لم يأخذ بها متواكلاً على الله ، وكلاهما أخطأ ، لذلك الموقف الكامل وكأنه طريق ضيق على يمينه واد سحيق ، وعلى يساره واد سحيق ، هذا الطريق الضيق أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، لو أخذت بالأسباب واعتمدت عليها وقعت في وادي الشرك ، لو لم تأخذ بها لوقعت في وادي المعصية ، فلذلك :

(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

(سورة الأعراف)

تضرعاً أي تذللاً وخفية ، لا يحب الله رفع الصوت بالدعاء أنك تخاطب خالق الأرض والسماوات ، الذي يعلم السر وأخفى ، وهو معكم أينما كنتم .

اجتماع التعظيم والخوف والمحبة في قلب المؤمن تجاه الله عز وجل :

أيها الأخوة ، شيء آخر بالدعاء يقول الله عز وجل يصف المؤمنين بأنهم يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، ورد في الأثر :

((يا رب ، أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ؟ فقال : أحب عبادي إليّ تقي القلب ، نقي اليدين ، لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني ، وأحب من أحبني ، وحببني إلى خلقي ، قال : يا رب إنك تعلم أني أحبك وأحب من يحبك ، فكيف أحببك إلى خلقك ؟ قال : ذكرهم بآلائي ، ونعمائي ، وبلائي))

[من الدر المنثور عن ابن عباس]

ذكرهم بآلائي كي يعظموني ، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني ، وذكرهم ببلائي كي يخافوني ، معنى ذلك أنه لابدّ أن يكون في قلب المؤمن تعظيم لله عز وجل من خلال آياته الكونية والتكوينية والقرآنية ، ولا بد من أن يكون في قلب المؤمن حب لله من خلال نعمه التي لا تتناهى ، ولابدّ من أن يكون في قلب المؤمن خوف من الله عز وجل من خلال البلاء الذي يساق إلى بعض الناس ، إذاً

((ذكرهم بآلائي ، ونعمائي ، وبلائي))

(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا (16))

(سورة السجدة)

ينبغي أن تخافه ، وأن ترجوه ، الخوف وحده يسبب إحباطاً ويأساً ، واليأس كفر، والطمع الساذج وجده يسبب تساهلاً في الطاعات ، فلذلك ينبغي أن توازن بين الخوف والرجاء مع الله عز وجل ، أن تدعوه راجياً وأن تدعوه خائفاً .

الإخلاص عبادة القلب :

أيها الأخوة الكرام ، لكن البطولة أن تكون مخلصاً في دعائك ، الله عز وجل يقول :

(هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (65))

(سورة غافر)

والإخلاص عبادة القلب ، وعلامة إخلاصك أنك إذا عملت عملاً صالحاً هذا العمل يستوي أمام الناس أو كنت وحدك في البيت ، يستوي إذا علم الناس به أو لم يعلموا ، استواء العمل أمام الناس ومن دون أناس يرونك علامة إخلاصك ، ثم إن هذا العمل يستمر من دون ثناء الناس وإطرائهم ، ويستمر مع ثنائهم وإطرائهم ، أي العمل الصالح لا يتأثر لا أمام الناس ولا إذا كنت خالياً ، ولا يتأثر لا مع المديح ولا مع الذم ، إذا العمل تحرر من الثناء والمديح والرؤية وعدم الرؤية ، فأغلب الظن أن في هذا العمل إخلاصاً يكشف الإنسان حقيقته حينما تتنزل عليه من الله سكينة .

من اشتقّ من الله كمالاً يتقرب به إليه اكتسب الرحمة منه :

أيها الأخوة الكرام ، لكن هناك شيء دقيق جداً قوله تعالى :

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (180))

(سورة الأعراف)

أنت حينما تشتق كمالاً من كمال الله ، وتتقرب إلى الله بهذا الكمال ، أنت حين اتصالك بالله اكتسبت الرحمة منه ، قال تعالى :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)

(سورة آل عمران الآية : 159)

أنت حينما تشتق كمالاً من كمال الله تتقرب به إليه أنت تحقق هذه الآية الكريمة :

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (180))

(سورة الأعراف)

حينما تشتق من الله الإنصاف تتقرب إلى الله بإنصافك ، عندئذ يتجلى الله عليك بالسكينة التي تسعد بها ولو فقدت كل شيء ، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء ، إذاً الآية الكريمة :

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (180))

(سورة الأعراف)

والآية التالية :

(إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ)

(سورة الطور)

الدعاء سبب سعادة الإنسان الأبدية :

الإنسان إذا دخل الجنة ، وتذكر حاله في الدنيا ، كيف كان يدعو الله ليلاً نهاراً ؟ يدعوه وحده ومع المؤمنين ، هذا الدعاء أثمر هذا الهدى ، وهذا العمل الصالح ، وهذا القرب من الله عز وجل ، وكأن الدعاء سبب سعادة الإنسان الأبدية ، لكن الذين غفلوا عن الله ، وشردوا عنه ، مشكلتهم الكبرى أن الله عز وجل وصف دعاءهم إن تدعوهم للشركاء ، لأهل الدنيا ، للأقوياء :

(إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14))

(سورة فاطر الآية : 14)

إذا اتجهت إلى غير الله اتجهت إلى لا شيء ، اتجهت إلى ضعيف ، اتجهت إلى فقير ، اتجهت إلى لئيم أحياناً ، قيل ما الذل ؟ أن يقف الكريم باب اللئيم ثم يرده ، فلذلك المؤمن يتجه إلى الله وحده ، وحينما يتعرف إلى الله لا يرى إلا الله عز وجل يستجيب دعاءه ، ويحفظه ، وينصره ، ويقويه ، قال الله :

(وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي)

(سورة المائدة الآية : 12)

أرجو الله سبحانه وتعالى أن ننتفع جميعاً بهذه الحقائق الدقيقة ، والله سبحانه وتعالى يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الرسالة - ومضات قرآنية - الدرس (09-10) : العبادة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-09-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة عماد الدين وغرة الطاعات ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات :

أيها الأخوة الكرام ، الحديث اليوم عن الاتصال بالله ، الحقيقة كل شيء في الدين من أجل الاتصال بالله، فالصلاة من أجل أن تتصل به ، والصيام من أجل أن تتصل به ، والحج من أجل أن تتصل به ، والزكاة من أجل أن تتصل به ، وغضّ البصر من أجل أن تتصل به ، والصدق والأمانة من أجل أن تتصل به ، العبادات الشعائرية بأكملها ، والعبادات التعاملية بأكملها ، من أجل أن تتصل به . بالمناسبة الصلاة هي الفرض الوحيد المتكرر الذي لا يسقط بحال ، تسقط الزكاة عن الفقير ، يسقط الحج عن المريض والفقير ، يسقط الصيام عن المسافر والمريض ، والشهادة ينطق بها مرة واحدة ، أما الفرض الوحيد المتكرر الذي لا يسقط بحال هو الصلاة :

((الصلاة عماد الدين))

[البيهقي في شعب الإيمان عن عمر]

وغرة الطاعات ، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات ، الآية الأصل في الصلاة :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

أولاً أقم الصلاة ، الشيء الذي يقام يحتاج إلى ممهدات ، تقول : أقمت البناء ، هناك مهندس مخطط ، وهناك حفر أساسات ، و تكاليف باهظة :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ)

استقامتك على أمر الله وعملك الصالح هو من إقامة الصلاة ، وسائل للاتصال بالله ، مبررات للاتصال بالله ،

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

النظام الإسلامي من روعته وعظمته أنه مبني على الوازع الداخلي لا على الرادع الخارجي :

في الإنسان رادع وفي الإنسان وازع ، الرادع خارجي والوازع داخلي ، النظام الإسلامي من روعته وعظمته مبني على الوازع ، سيدنا ابن عمر رأى راعياً معه شياه ، قال له : بعني هذه الشاة وخذ

ثمنها؟ قال له الراعي : ليست لي ، قال : قل لصاحبها : ماتت ، أو أكلها الذئب ، يقول الراعي : ليست لي ، يقول له : خذ ثمنها ، يقول له الراعي : والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولو قلت لصاحبها : ماتت أو أكلها الذئب لصدقني ، فإني عنده صادق أمين ، ولكن أين الله ؟ هذا الراعي وضع يده على جوهر الدين ، أما حينما يكون الرادع لا الوازع نحتاج إلى آلات لتصوير السرعات الزائدة ، ولأن واضع هذا القانون إنسان فالمواطن قد يكون أذكى منه ، فيخترع جهازاً في السيارة يكشف له هذه المراكز التي تكشف سرعته الزائدة ، عندئذ الدولة تبحث عن جهاز لكشف أجهزة السيارات ، هي معركة لا تنتهي بين عقلين ذكيين ، بين عقل وضع التشريع وبين عقل يحاول التملص من هذا التشريع.

فرق كبير جداً بين الوازع وبين الرادع ، أي لو فرضنا أن الدولة شرعت الصيام ، كم إنسان يصوم ؟ يدخل إلى بيته فيفطر ، يدخل إلى الحمام فيفطر، ليس هناك قوة تردع الإنسان عن شيء إلا إذا كان من عند الله ، فالإنسان الصائم يدخل إلى بيته ويكاد يموت من العطش ، والماء بارد ، والغرف مقفلة ، والنوافذ مقفلة ، وبإمكانه أن يشرب ما شاء له أن يشرب دون أن يراقبه أحد ، ولكن لا يستطيع المؤمن أن يضع في فمه قطرة ماء ، الإسلام قائم على الوازع الداخلي ومعه روادع خارجية ، لكن القوانين قائمة فقط على الروادع الخارجية ولا يستطيع إنسان أن يضبط الأمور ضبطاً تاماً ، لذلك لابدّ من احتيال على القانون، لذلك قال تعالى :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى)

من الداخل تعتمد على الوازع الداخلي .

والله قصة لا أنساها سائق في دمشق وجد بسيارته عشرين مليون ليرة ، مبلغ فلكي يشتري له بيتين وسيارتين و ، بحث أربعة أيام عن صاحبها حتى أوصلها إلى صاحبها أي الوازع الداخلي ، والله أنا أقول : لا تقوم الحياة إلا بالوازع الداخلي ، لا تصلح الحياة إلا بالإيمان ، قال له : ولكن أين الله ؟ هذا الراعي البسيط ثقافته محدودة وضع يده على جوهر الدين ، والإنسان إذا لم يعرف الله يحتال فيأكل الأموال الطائلة عدواناً وظلماً .

ذكر الله لك أكبر من ذكرك له لأنه إن ذكرك منحك الحكمة :

أيها الأخوة الكرام :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

أيها الأخوة ، قال علماء التفسير ذكر الله أكبر ما فيها ، والدليل :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

(سورة طه)

فالصلاة ذكر لله ، لكن مفسراً فهم الآية فهماً آخر

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

أي ذكر الله لك أيها المصلي أكبر من ذكرك له ، إنك إن ذكرته أديت واجب العبودية ، لكنه إن ذكرك منحك الحكمة :

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا (269))

(سورة البقرة)

فالصلاة ذكر لله ، لكن مفسراً فهم الآية أنت بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة الخامسة ، ومن دون حكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى ، أنت بالحكمة تتدبر أمرك بدخل محدود ، ومن دون حكمة تبدد الأموال الطائلة ، أنت بالحكمة تجعل العدو صديقاً ومن دون حكمة تجعل الصديق عدواً ، لذلك من أعظم عطاءات الله الحكمة :

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا (269))

(سورة البقرة)

نعمة الأمن لا تعدلها نعمة وهي من حظ المؤمنين فقط :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى)

تعتمد على الوازع الداخلي وعلى خوف الله،

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ)

أي ذكر الله لك أيها المصلي وأنت في الصلاة أكبر من ذكرك له ، إذا ذكرك منحك الحكمة ، وإن ذكرك منحك نعمة الأمن :

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(81)الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ(82))

(سورة الأنعام)

نعمة الأمن لا تعدلها نعمة ، وهي من حظ المؤمنين فقط :

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(81)الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ(82))

(سورة الأنعام)

والله الذي لا إله إلا هو بقلب المؤمن من الأمن ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم ، هذه نعمة الأمن رائعة جداً :

(أطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)

(سورة قريش)

الجوع و الخوف من عقابات الله الأليمة :

كيف يعاقب الله قوماً ضلوا عن سبيله ؟

(وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ)

(سورة النحل)

أذاقها الله لباس الجوع والخوف ، كأن من عطاءات الله ،

(أطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)

وكأن من عقابات الله الأليمة

(فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ)

الله عز وجل إن ذكرك منحك الرضا و السعادة و السكينة :

فلذلك :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

أكبر ما فيها ذكر الله ، أو ذكر الله لك أيها المصلي وأنت تصلي أكبر من ذكرك له ، إنه إن ذكرك منحك الرضا ، منحك السعادة ، منحك السكينة ، تسعد بالسكينة ولو فقدت كل شيء وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء ، ورد في بعض الأحاديث القدسية :

((ليس كل مصلٍّ يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي))

[رواه الديلمي عن حارثة بن وهب]

هذا الذي فكر في خلق السماوات والأرض فامتلأ قلبه تعظيماً لله ، وخشية منه ، ومحبة له ، وخوفاً منه ، ورجاء في عطائه :

((ليس كل مصل يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي))

[رواه الديلمي عن حارثة بن وهب]

من فكر في خلق السماوات والأرض امتلأ قلبه تعظيماً لله وخشية منه ومحبة له وخوفاً منه:

هناك من يقول : إن المسلمين يزيدون عن مليار وخمسمئة مليون ، إن مليون منهم يصلون ، وفي بعض الأحاديث الصحيحة :

((ولن يُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفا مِنْ قِلَّةٍ))

[أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

معنى ذلك أن هذه الصلاة التي يصليها المسلمون فيها شرود ، يرافقها بعض الآثام ، بعض المعاصي ، بعض التجاوزات ، هذه الصلاة لا تقدم ولا تؤخر :

((أتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ ؟ قالوا : المفْلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع قال : إن المفْلسَ مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شَتَمَ هذا ، وقذفَ هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيَتْ حَسَنَاتُهُ قبل أن يُقْضى ما عليه ، أخِذَ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه ، ثم يُطْرَحُ في النار))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

((ليس كل مصل يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي))

[رواه الديلمي عن حارثة بن وهب]

فكر في خلق السماوات والأرض ، نظر في خلق السماوات والأرض ، نظر في ملكوت الله ، امتلأ قلبه تعظيماً لله ، وخشية منه ، وعرف الآمر ، فلما عرف الأمر تفانى في طاعة الآمر :

((ليس كل مصل يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وكف شهواته عن محارمي))

استقام على أمر الله ، كفّ شهواته عن محارمي ، وما لم يستقم الإنسان على أمر الله لن ـ لتأبيد النفي ـ يقطف من ثمار الدين شيئاً ، وكفّ شهواته عن محارمي ، فإذا زلت قدمه يتوب سريعاً ، ولم يصر على معصيتي .

المؤمن الصادق المتصل بالله يتمتع برؤيا صحيحة :

كأن هذا الحديث القدسي يبين الكتل الكبيرة في هذا الدين ، أول شيء فكر في خلق السماوات والأرض

((ليس كل مصلّ يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وكف شهواته عن محارمي ، استقام على أمري ، ولم يصر على معصيتي))

بمعنى أنه سريع التوبة :

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾

(سورة النساء)

(إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)

(سورة البقرة)

((وأطعم الجائع ، وكسا العريان ، ورحم المصاب ، وآوى الغريب))

العمل الصالح ، كأن هذا الحديث جمع كليات الدين :

((ليس كل مصلّ يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي ، وأطعم الجائع ، وكسا العريان ، ورحم المصاب ، وآوى الغريب كل ذلك لي ـ مخلصاً هذه عبادة القلب ـ وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوء عندي من نور الشمس))

[رواه الديلمي عن حارثة بن وهب]

قذف الله في قلبه النور ، رأى به الحق حقاً والباطل باطلاً ، المؤمن الصادق المتصل بالله يتمتع برؤيا صحيحة ، حتى إنهم قالوا : قول ألف في واحد لا يعدل قول واحد في ألف ، الواحد الموصول يؤثر في ألف ويحملهم على طاعة الله :

((خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله بهم))

[البيهقي عن عمر]

إنسان طليق اللسان لكنه ليس متصلاً بالله هذا الطليق لا يستطيع بطلاقة لسانه أن يقنع واحداً ، لو أن ألفاً من هؤلاء المتكلمين لا يستطيعون أن يقنعوا واحداً ، حال واحد في ألف أبلغ من قول ألف في واحد.

الحلم سيد الأخلاق :

لذلك من ثمار الصلاة نعمة الحكمة ، نعمة الأمن ، نعمة السكينة ، هذه كلها من ثمار الصلاة ، وشيء آخر مع العمل الصالح ومع الإخلاص :

((ليس كل مصلّ يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي ، وأطعم الجائع ، وكسا العريان ، ورحم المصاب ، وآوى الغريب كل ذلك لي ، وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوء عندي من نور الشمس ، على أن أجعل الجهالة له حلما))

[رواه الديلمي عن حارثة بن وهب]

والحلم سيد الأخلاق ، رعونات الجاهلية ، انحرافات الجاهلية ، فظاظات الجاهلية، قسوة الجاهلية ، عجرفة الجاهلية ، كبر الجاهلية :

((على أن أجعل الجهالة له حلماً ، والظلمة نوراً))

والظلمة ، رؤيته الخاطئة ، العمى الذي هو فيه :

(فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور (46))

(سورة الحج)

((ليس كل مصل يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي ، وأطعم الجائع ، وكسا العريان ، ورحم المصاب ، وآوى الغريب كل ذلك لي ، وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوء عندي من نور الشمس ، على أن أجعل الجهالة له حلماً ، والظلمة نوراً ، يدعوني فألبيه ـ أصبح مستجاب الدعوة ـ ويسألني فأعطيه ، ويقسم عليّ فأبره ، أكلأه بقربي ، وأستحفظه ملائكتي ، مثله عندي كمثل الفردوس لا يمس ثمرها ، ولا يتغير حالها))

[رواه الديلمي عن حارثة بن وهب]

الصلاة نور

يُقذف في قلب المصلي يرى به الخير خيراً والباطل باطلاً :

أيها الأخوة الكرام :

((الصلاة نور))

[رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري]

نور يقذف في قلب المصلي ، يرى به الخير خيراً ، يرى به الحقَّ حقّاً ، والباطل باطلاً، يرى به المسعد مسعداً ، والمشقي مشقياً ، لذلك حينما تعمى البصيرة يرى الشر خيراً والخير شراً ، يرى الباطل حقاً والحق باطلاً ، المشكلة في الرؤيا ، المؤمن يتمتع برؤيا صحيحة لكن عند الموت لا بدّ من أن تنكشف الحقيقة :

(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22))

(سورة ق)

خيار الإنسان مع الإيمان خيار وقت فقط :

أيها الأخوة ، الإنسان خياره مع الإيمان خيار وقت ، لكن خيار الإنسان مع ملايين الموضوعات خيار قبول أو رفض ، تعرض عليك وظيفة فترفضها لقلة دخلها ، قد تعرض عليك فتاة للزواج منها ترفضها، لم تعجبك أخلاقها ، فأنت أمام ملايين الخيارات ، خيار قبول أو رفض إلا أمام خيار الإيمان أنت أمام خيار وقت ، فإن لم تؤمن في الوقت المناسب ، وإن لم تنتفع من إيمانك في الوقت المناسب ، لابدّ من أن تؤمن بعد فوات الأوان ، لذلك الله عز وجل يبين حينما أغرق فرعون كيف أغرقه ؟ فقال فرعون :

(حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90))

(سورة يونس الآية : 90)

فقال الله له :

(آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ)

(سورة يونس الآية : 91)

أي أكفر كفار الأرض الذي قال :

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24))

(سورة النازعات)

والذي قال :

(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي (38))

(سورة القصص)

أكبر كفار الأرض أيقن بالحقائق التي جاء بها سيدنا موسى ، بل إن كل إنسان على وجه الأرض عند الموت سوف تكشف له الحقائق :

(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22))

(سورة ق)

خيار الإنسان مع الإيمان خيار وقت فقط :

فيا أيها الأخوة الكرام ، الصلاة نور ، تلقي في قلبك نوراً ، ترى به الخير خيراً، والشر شراً ، والحق حقاً ، والباطل باطلاً ، والحلال حلالاً ، أثمن شيء يملكه المؤمن هذا النور الذي يقذفه الله في قلبه ، ليرى به الحق حقاً والباطل باطلاً ، الصلاة نور ، والصلاة طهور .

صدقوا ولا أبالغ مستحيل وألف ألف مستحيل على إنسان اتصل بالله أن يكون محتالاً ، أن يكون كذاباً، أن يكون قاسياً ، أن يكون ظالماً ، هذه الصفات تتناقض مع المصلي، تتناقض تناقضاً كلياً ، المصلي مؤمن ، متواضع ، منصف ، رحيم ، خيّر ، حليم ، هذه صفات الصلاة :

((إن محاسن الأخلاق مخزونة عند الله تعالى ، فإذا أحب الله عبدا منحه خلقا حسنا))

[أخرجه الحكيم عن العلاء بن كثير]

فالصلاة نور ، والصلاة طهور ، والصلاة حبور و سعادة :

((أرحنا بها يا بلال))

[أبو داود عن سالم بن أبي الجعد]

والصلاة عقل :

((ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها))

[ورد في الأثر]

(لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ (43))

(سورة النساء)

وغرة الطاعات ، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات .

الصلاة أهم ركن من أركان الدين ومن خلالها تتحقق ثمار الدين :

أيها الأخوة الكرام ، قال تعالى :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

(سورة طه)

وفي آية أخرى :

(وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)

(سورة العلق)

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : الصلاة يحاسب عنها الإنسان ، فالإنسان قبل كل شيء يحاسب عن صلاته ، لأن الله عز وجل جعل الصلاة عماد الدين ، جعلها غرة الطاعات، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات ، فلذلك تعد الصلاة أهم ركن من أركان الدين لأنه من خلالها تتحقق ثمار الدين ، الاتصال بالله مسعد ، ومطهر ، ومشرف ، ومنير ، أرجو الله سبحانه وتعالى أن تنقلب هذه الحقائق إلى صلاة مقبولة عند الله عز وجل :

((ليس كل مصلّ يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي ، وأطعم الجائع ، وكسا العريان ، ورحم المصاب ، وآوى الغريب كل ذلك لي ، وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوء عندي من نور الشمس ، على أن أجعل الجهالة له حلما والظلمة نورا ، يدعوني فألبيه ـ أصبح مستجاب الدعوة ـ ويسألني فأعطيه ، ويقسم عليّ فأبره ، أكلأه بقربي ، وأستحفظه ملائكتي ، مثله عندي كمثل الفردوس لا يمس ثمرها ، ولا يتغير حالها))

[رواه الديلمي عن حارثة بن وهب]

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية التالية تصف حال الذين شردوا عن الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ، يقول الله عز وجل واصفاً حال الذين شردوا عن الله ، حال الذين انشغلوا بالدنيا ، حال الذين ألهتهم الحياة الدنيا عن الآخرة ، يصف حال الذين اشتغلوا بالخسيس ونسوا النفيس ، لذلك قال تعالى :

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ(1)حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ(2)كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(3)ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(4)كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5)لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ(6)ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ(7)ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ(8))

(سورة التكاثر)

الشيء الذي يعطى لمن يحب الله ولمن لا يحبه لا يعد مقياساً للتفاضل بين الناس :

أيها الأخوة الكرام ، الله عز وجل حينما قال :

(فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16))

(سورة الفجر)

الإنسان أحياناً يتوهم أن الله إذا منحه المال الوفير ، منحه الصحة ، منحه الأهل والأولاد ، منحه القوة، منحه الوسامة ، منحه الذكاء ، يتوهم أن هذا دليل على محبة الله له ، الله عز وجل يصحح لنا فهمنا ، قال تعالى :

(فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ)

يقول هو ، هذه مقولته ، هذا وهمه ، هذا تفكيره ، هذا تصوره ،

(وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)

جاء الجواب ردعاً ، والفرق كبير بين النفي والردع ، النفي تسأل إنساناً هل أنت جائع ؟ يقول لك : لا، نفى عنه الجوع ، أما حينما تتهمه بالسرقة يقول لك : ما كان لي أن أسرق ، الله عز وجل أجاب إجابة ردعية فقال :

(كَلَّا)

أي يا عبادي ليس عطائي إكراماً ولا منعي حرماناً ، عطائي ابتلاء وحرماني دواء ، أي الله عز وجل أعطى المال لمن يحب ولمن لا يحب ، أعطى القوة إلى فرعون وهو لا يحبه ، أعطى المال إلى قارون وهو لا يحبه ، وأعطى القوة إلى نبي كريم وهو سيدنا سليمان وهو يحبه ، وأعطى المال إلى سيدنا عبد الرحمن بن عوف وهو يحبه ، الشيء الذي يعطى لمن يحب ولمن لا يحب لا يعد مقياساً إطلاقاً .

الكسب و الرزق :

فلذلك أيها الأخوة :

(فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16)كَلَّا (17))

(سورة الفجر)

الإنسان حينما يتجه إلى التكاثر في مرحلة من مراحل حياته يبحث عن رزقه ، يشتري بيتاً ليتزوج ، لكن بعد أن ينجح في حياته يدخل في متاهة التكاثر ، يريد أن يحقق أكبر ربح ليزهو به ، مع أن الإنسان لا يستهلك إلا الشيء المحدود ، المستهلكات الحقيقية كما قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((يا بن آدم ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت))

[مسلم في صحيحه عن عبد الله بن الشِّخِّير]

والباقي يسمى عند العلماء كسباً تحاسب عليه حساباً دقيقاً مع أنك لم تنتفع به هو رزقك ، المستهلكات حصراً هي الرزق .

فرص العمل الصالح أمام القوي المسلم لا تعد و لا تحصى :

فيا أيها الأخوة الكرام ، حينما قال تعالى :

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ)

هذا زلت قدمه ، ونسي سرّ وجوده ، وغاية وجوده ، ودخل في متاهات تجميع أكبر أرباح ، ونسي أن الغني عبادته الأولى إنفاق المال ، وما جعل الله الغني غنياً إلا ليكون في أعلى درجات الفردوس بماله ، لأن العلم قوة ، ولأن المال قوة ، ولأن المنصب قوة ، وأنا أقول دائماً إذا كان طريق القوة في المال أو العلم أو المنصب وفق منهج الله ، فيجب أن تكون قوياً ، لأن فرص العمل الصالح المتاحة أمامك لا تعد ولا تحصى ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلّ خير))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

القوة مطلوبة لأن القوي أمامه خيارات للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى ، بل إن بعض العلماء يقولون: هناك عبادة الهوية ، أنت من ؟ أنت غني عبادتك الأولى إنفاق المال ، أنت قوي عبادتك الأولى إحقاق الحق وإنصاف المظلوم ، أنت عالم عبادتك الأولى تعليم العلم وألا تأخذك في الله لومة لائم ، قال تعالى:

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ)

(سورة الأحزاب الآية : 39)

والآية فيها ملمح دقيق جداً أن هذا الذي يلقي العلم على الناس لو أنه خشي غير الله فامتنع عن إلقاء الحق خوفاً وتكلم بالباطل إرضاءً وتملقاً ، ماذا بقي من دعوته ؟ انتهت دعوته :

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ)

(سورة الأحزاب الآية : 39)

فالعالم عبادته الأولى إلقاء العلم دون أن يخشى في الله لومة لائم ، والغني عبادته الأولى إنفاق ماله ليرقى به إلى رب الأرض والسماوات ، والقوي عبادته الأولى إحقاق الحق وإنصاف المظلوم .

علة خلق السماوات والأرض أن نعلم أن الله على كل شيء قدير :

لذلك :

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ)

حينما ينسى الإنسان سرّ وجوده وغاية وجوده ، حينما ينسى الأمانة التي حمله الله إياها ، حينما ينسى التكليف الذي كلفه الله به ، حينما ينسى أن يعبد ربه التي هي علة وجوده ويلتهي بالتكاثر ، فكأن غواصاً غاص في أعماق البحر ، وعرض حياته للخطر فجمع الأصداف ولم يجمع اللآلئ ، فاشتغل عن النفيس بالخسيس ، وهذا معنى قول الله عز وجل :

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ(1)حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ(2) . ولكن كيف ينبغي للمؤمن أن يستقيم على أمر الله ؟ قال تعالى :

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ)

(سورة الطلاق الآية : 12)

وكأن علة خلق السماوات والأرض أن نعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً :

(لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً)

(سورة الطلاق)

استقامة الإنسان على أمر الله إذا علم أن علم الله يطوله وقدرته تطوله :

هناك تساؤل لماذا الله اختار من أسمائه الحسنى اثنين فقط العليم والقدير ؟

(لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً)

لا بدّ من مثل للتوضيح ، تركب مركبة والإشارة حمراء ، والشرطي واقف أو آلة التصوير جاهزة ، لماذا لا تتجاوز هذه الإشارة ؟ لأنك تعلم علم اليقين أن واضع قانون السير علمه يطولك من خلال هذا الشرطي ، أو من خلال هذه الآلة ، وأن قدرته تطولك من ثقب الشهادة ثقوباً بعد حين تمنع أن تقود مركبة ، لأنك تعلم علم اليقين أن واضع القانون قدرته تطولك وعلمه يطولك لا يمكن أن تعصيه ، وأي إنسان إذا علم عِلم اليقين أن الله عز وجل يطوله لا يمكن أن يعصيه ، فعلم الله يطول الإنسان العاصي ، و قدرة الله تطول الإنسان العاصي ، أي أن الله يعلم وسيحاسب وسيعاقب ، لا يمكن أن تعصيه تماماً ، لكن الإنسان أحياناً في حياته الدنيا يعصي واضع القانون إذا كان علم واضع القانون لا يطوله ، أي إذا لم يكن هناك شرطي يمكن له أن يتجاوز الإشارة الحمراء بعد منتصف الليل ، أو إذا كان المتجاوز أقوى من واضع القانون ، مادام الإنسان علم الله يطوله وقدرته تطوله لا بد من أن يستقيم على أمره .

لا يليق بعطاء الله أن يكون في الدنيا لأن عطاء الله عظيم وأبدي :

فلذلك :

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ)

المصير :

(حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ)

ماذا بعد الغنى ؟ القبر ، ماذا بعد القوة ؟ القبر ، ماذا بعد الاستمتاع بكل مباهج الحياة ؟ القبر ، ماذا بعد الانغماس بملذات الحياة ؟ القبر ، القبر ينهي قوة القوي ، وضعف الضعيف ، وغنى الغني ، وفقر الفقير، وذكاء الذكي ، ومحدودية المحدود ، ووسامة الوسيم ، ودمامة الدميم ، الموت ينهي كل شيء ، لذلك لا يليق بعطاء الله أن يكون في الدنيا لأن عطاء الله عظيم ، عطاء الله أبدي ، فأي عطاء ينقطع مع انتهاء الحياة لا يسمى عطاءً ، يقول الله عن ذلك المعنى :

(قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ (77))

(سورة النساء)

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ(38))

(سورة التوبة)

الحقائق التي جاء بها الأنبياء تُكشف عند الموت ولكن تكشف بعد فوات الأوان :

هذا الذي جمع الدرهم والدينار ونسي الواحد الديان ، هذا الذي جعل همه التكاثر:

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ)

التهيتم بالخسيس عن النفيس ، سمعت عن جوهرة في متحف توبي كابي في استنبول ، قيمتها مئة وخمسون مليون دولار ، هي كالبيضة تماماً ، فالإنسان حينما يغوص في البحر ليلتقط الأصداف وينسى اللآلئ فقد انشغل بالخسيس عن النفيس :

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ(1)حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ(2))

والإنسان بالقبر إلى يوم القيامة ، إذاً هو البرزخ وقد جاءت الإشارة حتى زرتم والزائر يخرج ، الآن :

(كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)

تعلمون عند الموت الحقيقة الصارخة :

(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22))

(سورة ق)

تعلمون أن الذي جاء به الأنبياء هو حق لاشك فيه ، كل الحقائق التي جاء بها الأنبياء تكشف عند الموت ولكن تكشف بعد فوات الأوان ، الآن وقد عصيت من قبل ، ما من إنسان على وجه الأرض ، والناس على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، وطوائفهم ، عند الموت تكشف لهم الحقيقة ولكن بعد فوات الأوان ، كما لو أن طالباً لم يكتب شيئاً في الامتحان ، عاد إلى البيت فعرف إجابة السؤال ، ما قيمة هذه المعرفة؟ عرفها بعد فوات الأوان ، فلذلك الآية الكريمة :

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ(1)حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ(2)كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(3))

لو أن إنساناً ينطلق في سيارة في طريق منحدر شديد الانحدار ، وليس معه مكبح و هو لا يعلم ، وهذا الطريق الشديد الانحدار ينتهي بمنعطف حاد ، فإذا علم هذا السائق أن المكبح معطل يقول : انتهينا ، يستخدم الفعل الماضي يقول : متنا ، انتهينا ، لذلك :

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ(1)حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ(2)كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(3)ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(4))

أخطر الأيام اليوم المشهود و للإنسان الساعة التي هو فيها :

العلم الثاني يوم القيامة ، فالإنسان بين يوم مفقود الماضي ، ويوم مشهود هو الحاضر ، ويوم مورود هو الموت ، ويوم موعود هو القيامة ، ويوم ممدود إلى أبد الآبدين ، وأخطر هذه الأيام اليوم المشهود ،

ما مضى فات والمؤمل غيب ، ولك الساعة التي أنت فيها:

(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5)لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ(6))

لو علم الإنسان أن مركبته مع هذا الانحدار الشديد والسرعة العالية ، وهذا الانحدار ينتهي بمنعطف حاد وليس معه مكبح ، أيقن بالموت ، أيقن بحادث مروع يقضي عليه وعلى أسرته :

(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5)لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ(6)ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ(7)ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ(8))

هذا الوقت الفراغ المديد كيف أمضيته ؟ لمَ لم تطلب العلم ؟ لمَ لم تحضر دروس العلم ؟ لمَ لم تفتح القرآن الكريم ؟ لمَ لم تسأل العلماء عن معاني هذه الآية؟ لمَ لم توقع حركتك اليومية وفق منهج الله ؟ لمَ لم تفكر لماذا خلقت ؟ لماذا خلقك الله في الدنيا ؟ لمَ غفلت عن عبادته وعن طاعته ؟ لمَ جعلت همك التكاثر وجمع الأموال ؟ لمَ استعليت على الناس بمالك ؟ لمَ حرمت الناس من فضلك ؟ لماذا آثرت أن يبقى المال لك وأن تغرق في النعيم من خلال هذا المال وتنسى الفقراء والمساكين ؟

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ(1)حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ(2)كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(3)ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(4))

أما كلا فهي أداة ردع ، أنا ما خلقتكم لهذا :

((لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))

[الترمذي و ابن ماجه عن سهل بن سعد]

كلا إياكم والتكاثر ، ابحثوا عن سرّ وجودكم ، وعن غاية وجودكم ، ولماذا أنتم في الدنيا ؟ أنتم من أجل العمل الصالح ، والدليل أن الإنسان حينما يوشك أن يغادر الدنيا يقول:

(رَبِّ ارْجِعُونِ (99)لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ)

(سورة المؤمنون)

الله عز وجل خلق الإنسان ليسعده في الدنيا و الآخرة :

والله أيها الأخوة ، لو كشف الغطاء كما قال سيدنا علي : " والله لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ". أي أن يقينه قبل كشف الغطاء كيقينه بعد كشف الغطاء ، وله مقولة رائعة : " والله لو علمت أن غداً أجلي ما قدرت أن أزيد في عملي " .

وقال هذا الإمام الجليل : "قوام الدين والدنيا أربعة رجال : عالم مستعمل علمَه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وغني لا يبخل بماله ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه ، فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنيا غيره ".

فلذلك الآية الكريمة :

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ(1)حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ(2)كَلَّا)

أنا ما خلقتكم لهذا ، خلقتكم لمعرفتي ، خلقتكم للإيمان بي ، خلقتكم لعبادتي ، خلقتكم لأسعدكم في الآخرة ، في جنة عرضها السماوات والأرض ، أرسلت بكم إلى الدنيا كي تتهيؤوا للجنة ، كي يكون عملكم الصالح في الدنيا سبب دخول الجنة :

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ(1)حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ(2)كَلَّا)

لم تخلقون لهذا ، لم تخلقوا لهذا ، كلا سوف تعلمون عند الموت ، عند فوات الأوان ، كلا سوف تعلمون يوم القيامة ولكن بعد فوات الأوان :

(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5)لَتَرَوْنَ)

لترون ما أنتم فيه جحيماً ، لو يعلم الإنسان أن أخطاءه كلها سوف ترديه يكره سلوكه ، يكره حياته :

(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5)لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ(6)ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ(7))

على كل إنسان أن يستهلك وقت فراغه فيما خُلق من أجله :

عندنا علم استنباطي تماماً كما لو رأيت دخاناً وراء جدار ، تستنبط بعقلك أنه لا دخان بلا نار ، هذا علم يقيني ، ولكن إذا انتقلت إلى ما وراء الجدار فرأيت النار بعينك :

(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5)لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ(6)ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ(7)ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ(8))

قال بعض المفسرين : قطرة الماء البارد تسأل عنها ، نعمة الأمن تسأل عنه ، نعمة الزوجة والأولاد لمَ لم تحمل أهلك على طاعة الله ؟ لمَ لم تربِ أولادك؟ نعمة المال أين أنفقته ؟ هل أنفقته على الفقراء والمساكين أم استعليت به على خلق الله عز وجل ؟

(لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ(8))

تصور تحاسب عن نعمة الأمن ، تحاسب عن نعمة الصحة ، تحاسب عن أية نعمة على الإطلاق ، نعمة الفراغ لا تعدلها نعمة ، بإمكانك بالفراغ أن تطلب العلم ، بإمكانك بالفراغ أن تعرف الله ، أن تحضر مجالس العلم ، أن تقرأ القرآن الكريم ، أن تقرأ سيرة النبي عليه الصلاة والسلام بالفراغ تفعل كل شيء ، بل إن الإنسان الذي ليس عنده وقت فراغ لا يعد من بني البشر ، الإنسان بوقت الفراغ يؤكد ذاته ، فإذا كان عندك وقت فراغ هذا ينبغي أن تستهلكه فيما خلقت من أجله ، خلقت من أجل معرفة الله.

(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5)لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ(6))

لهوكم ، شرودكم عن الله، همكم الأول جمع الدرهم والدينار :

((من أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه ، وجمع عليه شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه ، وشتت عليه شمله ، و لم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له))

[الترمذي عن أنس]

سورة التكاثر تنقلنا من حال إلى حال ومن معصية إلى طاعة ومن غفلة إلى يقظة :

أيها الأخوة ، مرة ثانية :

((إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنؤوا فلاناً فقد اصطلح مع الله))

[ورد في الأثر]

ما من مخلوقٍ يعتصم بي من دون خلقي أعرف ذلك من نيَّته ، فتكيده أهل السماوات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً ، وما من مخلوقٍ يعتصم بمخلوقٍ دوني أعرف ذلك من نيَّته ، إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه ، وقطَّعت أسباب السماء بين يديه .

أيها الأخوة الكرام ، أرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه السورة القصيرة سورة يمكن أن تنقلنا من حال إلى حال ، من مقام إلى مقام ، من شرود إلى وجود ، من معصية إلى طاعة ، من غفلة إلى يقظة ، هذه السورة من أدق السور :

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ(1)حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ(2)كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(3)ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(4)كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5)لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ(6)ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ(7)ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ(8))

والحمد لله رب العالمين

الفهرس